السنة والشيعة

أو

الوهابية والرافضة

حقائق دينية تاريخية اجتماعية إصلاحية

(الرسالة الأولى ومقدمتها)

نشرت في مجلة المنار

بقلم

السيد الإمام محمد رشيد رضا

رحمه الله تعالى وغفر له

الطبعة الثانية : في سنة ١٣٦٦ هجرية (١٩٤٧ ميلادية)

أصدرتها (دار المنار) ١٤ شارع الانشا بالقاهرة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الذينَ فرَّقُوا دِينَهمْ وَكانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنهمْ فِي شيءٍ (سورة الأنعام ٦ : ١٥٩) فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ حنيفاً فِطرَةَ اللهِ التي فَطَرَ الناسَ عليها لا تبديلَ لخلقِ اللهِ . ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمونَ * مُنيبينَ إليهِ واتَّقوهُ وأقيموا الصلاةَ ولا تكونوا مِنَ المشركينَ * مِنَ الذينَ فرَّقُوا دِينَهمْ وكانوا شِيَعاً * كلُّ حزبٍ بما لديهمْ فرِحونَ (سورة الروم ٣٠ : ٣٠ - ٣٢)

برأ الله رسوله محمداً خاتم النبيين ﷺ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ، ونهى عباده المؤمنين من هذه الأمة المحمدية وحذرهم أن يكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، ولكن التفرق فى الدين إلى الشيع والأحزاب كالتفرق فى السياسة ، سنة من سنن الاجتماع تابعة لدأبهم فى الاتباع والابتداع

تاريخ التشيع ومذاهب الشيعة :

كان التشيع للخليفة الرابع على بن أبى طالب رضى الله عنه مبدأ تفرق هذه الأمة المحمدية فى دينها وفى سياستها ، وكان مبتدع أصوله يهودى اسمه عبد الله بن سبأ ، أظهر الإسلام خداعا للمسلمين ، ودعا إلى الغلو فى على كرم الله وجهه لأجل تفريق هذه الأمة و إفساد دينها ودنياها عليها ، كما فعل أمثاله فى النصرانية قديما وحديثا ، وسبب ذلك ما كان من العداوة والقتال بين قومه اليهود و بين النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وكانوا هم المعتدين فيه ، وقد انتهى ذلك بنصر الله تعالى لرسوله

عليهم و إخراجهم من جواره فى مدينته ودار هجرته ، ثم أجلى عمر بن الخطاب الخليفة الثاني بعده من بقى منهم فى أرض الحجاز .

ابتدع هذا اليهودى بدعته ، وأعانه عليها آخرون من أهل ملته ، أظهروا الإسلام نفاقا ليقبل المسلمون أقوالهم الخادعة ، ومنها وضع الأحاديث وغش رواة التفسير بالخرافات الإسرائيلية وغير ذلك .

بيد أن العداوة بين المسلمين واليهود لم يطل عليها الأمد لأن اليهود كانوا مظلومين مضطهدين فى وطنهم القديم من البلاد المقدسة وما جاورها ، وفى سائر البلاد التى تفرقوا فيها ، فلما فتح المسلمون الأمصار فى الشرق والغرب ، رفعوا عنهم ذلك الظلم الذى أرهقهم من نصارى الروم والقوط ، وعاملوهم بالعدل والرحمة كالمسلمين وغيرهم، فكفوا عن الكيد لهم وفضلوا سلطانهم على كل سلطان .

ولكن بدعة التشيع كانت قد سرت وانتشرت فى المسلمين

بالدعاية السرية ، وكانت أقوى الأسباب فى العداوة السياسية بين بعض كبراء الصحابة رضى الله عنهم بما كان مما يسمى فى عرف هذا العصر بسوء التفاهم وحسن النية . ومن راجع أخبار واقعة الجمل فى تاريخ ابن الأثير مثلا ، يرى مبلغ تأثير إفساد السبئيين لذات البين ، وحيلولتهم بالمكر والفساد دون ما كاد يقع من الصلح[١]

ولولا أن خلف زنادقة الفرس هؤلاء السبئيين ، فى إدارة دعاية التفريق بين المسلمين ، بالتشيع والغلو فى على وأولاده وأحفاده الطاهرين (رضى الله عنهم) لزال خطرها بعد ترك اليهود لزعامتها السرية ؟ ولكن الخليفتين الجليلين أبا بكر وعمر (رضى الله عنهما) حاربا الفرس وتم للثانى فتح جل بلادهم وثل عرش كسرى والقضاء على دياناتهم المجوسية ، فأحفظ ذلك قلوب أمرائهم وزعمائهم من رجال الدين والدنيا ، وليس لذى

(١) راجع ص ٩٥ و ٩٦ و ١٠٣ من الجزء الثالث وفى هذه الصفحة أنهم طعنوا على على ، وهم الدعاة إلى القول بألوهيته

العجز عن الثأر بالقوة الحربية ، إلا المكايد السرية ، فتولى مهرة رجال الفرس أمرها ، وكانوا أجدر بها وأهلها ، فمنهم من تولى السعى لافساد دين العرب الذى انتصروا بتعاليمه وجمعه لكلمتهم على الفرس وغيرهم . ومنهم من تولى السعى للافساد السياسى بتحويل الخلافة إلى العلويين ، ولما لم يجدوا منهم لزهدهم فى الدنيا من يواتيهم على كل عمل ولو غير مشروع فى الدين حولوها إلى العباسيين . ثم صاروا يكيدون للعباسيين بما كان أغرب طرقهم فيه ما قام به البرامكة من جعل جميع إدارة ملك الرشيد الواسع وسياسته فى أيديهم ، حتى تنبه لذلك فبطش بطشته الكبرى بهم ، وكانوا قد ملكوا عليه سويداء قلبه ، مع قبضهم على أزمة ملكه ، وكان أذكى من فطن لدسائس البرامكة وإلحاد الشيعة الباطنية ووقف على كثير من دقائقه العلامة المحقق القاضى أبو بكر بن العربى الأندلسى كما نوه به فى رحلته وفى كتابه (العواصم والقواصم) ويليه (حكيم الإسلام ابن خلدون) فقد أشار إليه فى مقدمة تاريخه .

كان من تعليم غلاة الشيعة بدعة عصمة الأئمة الذين استخدموا أسماءهم وشهرتهم لترويج سياستهم ، و بدعة تحريف القرآن والنقص منه بفريتهم، ثم البدع المتعلقة بالقائم المنتظر محمد المهدى وكونه هو الذى يظهر القرآن التام الصحيح الذى يزعمون أن علياً كتبه بيده بعد وفاة النبى ﷺ ، وفتحهم أبواب التأويلات لنصوصه بما لا يتفق مع شىء من قواعد اللغة ، فكان قدوة سيئة لجميع المبتدعة ، دع قول بعضهم بألوهية بعض أئمة أهل البيت الموروثة عند الإسماعيلية، وغير الموروثة عند غيرهم من الباطنية . ثم دع كون غايتهم بعد الوصول إلى آخر درجات الدعوة الكفر الصريح كما تراه مبسوطا فى خطط المقريزى وغيره .

وأهم ما يجب بيانه فى هذه المقدمة أنه كان بين من أطلق عليهم لقب الشيعة أو وصف التشيع على اختلاف تعاليمهم وعقائدهم الظاهرة والباطنة أناس من أهل السنة والجماعة كانوا يرون أن عليا (رضى الله عنه) أحق بالخلافة من غيره ، ومنهم

من يرى أنه أفضل من سائر الصحابة أو يفضله على من دون الشيخين ويرون أنه أحق بالخلافة من عثمان لا من أبى بكر وعمر ، ولكن لم يقل أحد من هؤلاء ببطلان خلافة الثلاثة . وكان عدد هؤلاء قليلا فى السلف والخلف ، ولكن السواد الأعظم من أهل السنة سلفهم وخلفهم يعتقدون أن معاوية كان باغيا على الإمام الحق أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، وإن قدر بدهائه وسياسته على تأليف قوة عظيمة له ، ولكن الجمهور تأولوا له بأنه كان مجتهداً أخطأ فى اجتهاده.

والغرض من ذكر هذا أن اسم الشيعة كان يطلق على بعض أهل السنة والجماعة وعلى كثير من المبتدعة الذين حافظوا على أركان الاسلام الخمسة ، وعلى فرق زنادقة الباطنية حتى إن بعض كبراء علماء الإمامية حاول جعل فرق الشيعة ٧٣ فرقة وفسر بذلك الحديث الذى ورد بافتراق هذه الأمة إليها ليخرج أهل السنة والجماعة التى هى السواد الأعظم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد انقسم الشيعة الذين يحافظون على أركان الاسلام إلى غلاة أطلق عليهم اسم الرافضة ، وإلى معتدلين وهم الذين خص أكثرهم باسم الزيدية ، لاتباعهم للامام زيد بن على (رضى الله عنهما) الذى أبى على الغلاة البراءة من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فرفضوه . ويوجد معتدلون فى غيرهم أيضا

ومن الغريب أن يشتبه أمر زنادقة الباطنيـة على كثير من مسلمى الشيعة حتى أهل العلم والذكاء منهم كالشريف الرضى المشهور باعتداله فى شيعيته الذى قال :

ألبس الذل فى ديار الأعادى ... وبمصر الخليفـة العلوى
من أبوه أبى ومولاه مولا ... ى إذا ضامنى البعيد القصىّ
لفّ عرقى بعرقه سـيدّ النا ... س جميعـاً محمـد وعلىّ
ان ذلى بذلك الجوعز ... وأوامى بذلك النقع رى

فالمراد بالأعادى عنده الخلفاء العباسيون أبناء عمومته وكان الخليفة العباسى يعامله معاملة الأقران حتى انه كان يفتخر عليه مخاطبا له بمثل الأبيات التى أنشدها الخليفة القادر بالله فى آخر قصيدة يمدحه بها :

مهلا أمير المؤمنين فاننـا ... فى دوحة العلياء لانتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... أبداً كلانا فى المفاخر معرق
إلا الخلافة ميزتك فإننى ... أنا عاطل منها وأنت مطوّق

فلهذا الاختلاط ترى فى تراجم المحدثين والعلمـاء والأدباء والشعراء أسماء رجال كثيرين وصفوا بالتشيع إذ كان هذا الوصف يطلق كثيرا على من عرفوا بالمبالغة فى حب آل البيت النبوى عليهم السلام ومدحهم وذم الظالمين لهم ، وإن لم يكن أحد منهم على مذهب أحد من الشيعة المعتدلين كالزيدية ولا روافض الإمامية ، فضلا عن كونهم من زنادقة الباطنية ، بل منهم المجتهـد المستقل والمنسوب لأحد مذاهب أهل السنة .

والشيعة الإمامية منهم معتدلون قريبون من الزيدية ،

ومنهم غلاة قريبون من الباطنية ، وهم الذين لقحوا ببعض تعاليمهم الإلحادية ، كالقول بتحريف القرآن وكتمان بعض آياته ، وأغربها فى زعمهم سورة خاصة بأهل البيت يتناقلونها بينهم حتى كتب الينا سائح سنى مرة أنه سمع بعض خطبائهم فى بلد من بلاد إيران يقرؤها يوم الجمعة على المنبر ، وقد نقلها عنهم بعض دعاة النصرانية (المبشرين)

فهؤلاء الإمامية الإثنى عشرية – ويلقبون بالجعفرية – درجات ، وينقسم جمهورهم إلى أصوليين وأخباريين. فالأصوليون هم الذين يعرضون ما يروى من أخبار الأئمة على أصول وضعها المتقدمون فيقبلون منها ما وافقها ويردون ما خالفها : والإخباريون هم الذين يتلقون جميع تلك الأخبار بالقبول . وإن خالفت المعقول وما عند أهل السنة والجماعة من المنقول ، وهدمت الفروع مع الأصول . وحدث فى المتأخرين

منهم مذاهب أخرى كالكشفية ، ولهم فى الدين فلسفة غريبة ، ويرد عليهم الشهاب الألوسى فى تفسيره (روح المعاني)

ولهذا الاستعداد فى الإمامية للغلو وقرب الكثيرين منهم من زندقة الباطنية ظهرت منهم وراجت فيهم بدعة البابية ثم البهائية الذين يقولون بألوهية البهاء ونسخه لدين الإسلام وإبطاله لجميع مذاهبه

وقد نقل الإمام (المقبلى) فى العلم الشامخ عن بعض العلماء أنه قال : ائتنى بزيدى صغير أخرج لك منه رافضيا كبيرا ، وائتنى برافضى صغير أخرج لك منه زنديقا كبيراً . (قال) يريد أن مذهب الزيدية يجر إلى الرفض ، والرفض يجر إلى الزندقة اه والمقبلى سلم هذا فى أفراد من الزيدية رد عليهم لا فى جملتهم .

سعينا للتأليف بين أهل السنة والشيعة :

كان من قواعد الإصلاح التى وضعها حكيم الإسلام فى هذا العصر وموقظ الشرق السيد جمال الدين الافغانى رحمه الله تعالى وجوب السعى لجمع كلمة المسلمين والتأليف بين فرقهم التى يجمعها الإيمان بالقرآن المجيد المعصوم ورسالة محمد خاتم النبيين ﷺ والاستعانة على ذلك بالسياسة التى كانت السبب الاول لهذا التفرق الذى أُلبس بعد ذلك لباس الدين، ولكن كما يلبس الفرو مقلوبا [1] فكانت سبب ضعف جميع الفرق، ومن أهم أسباب ضعفهم وسلب الاجانب لملكهم

ولا أعرف أحداً عنى بعد السيد المصلح رحمه الله بهذا السعى كما عنى به هذا العاجز (منشىء المنار) فى أسفاره ومقامه فى هذه البلاد الحرة أدام الله عمرانها ، وأتم لها استقلالها .

(١) هذا التشبيه مروى عن أمير المؤمنين على كرم الله وجهه

وفى المنار كثير من الدلائل والشواهد على هذا ، منها تقريظ له من أحد علماء الشيعة الفضلاء فى سورية نشر فى المجلد الثانى من مجلده السابع الذى صدر فى ١٦ المحرم سنة ١٣٢٢ (ص ٦٦ — ٦٨) كتم اسمه فى ذلك الوقت لتشديد الدولة فى منع المنار من بلادها وعقاب من يوجد عنده . ومما قاله فى المنار :

أقوال لعلماء الشيعة وساستهم فى المنار وصاحبه :

حسنة هذه الايام ، ونتيجة سعد هذا الدور (منار الإسلام) بل الساطع فى كافة الانام ، والماحى بلألائه حنادس الظلام . ولا بدع إذا انبثق من فرع زيتونة يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، وغصن شجرة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، ومن طابت أرومته ، وزكت جرثومته فهو الجدير بأن يحلو جناه . وتعرب عن طيب أصله أقواله وسجاياه

« مما استعذبته منه ، وكله عذب سائغ ، تأليفكم بين فرق

الإسلام ورفع الوحشة التى نشأت عليها أحداث الامة فى الاعصر الاواخر وفشت بين العامة والخاصة حتى فتت فى عضد الاجتماع وحلت عرى الارتباط » الخ.

ثم قال فى آخره : « وحقيق بحملة العلم فى كل قطر أن ترفع أيدى الابتهال ، إلى ذى العزة والجلال ، بالدعاء لكم بدوام التأييد والمجد ، والتوفيق لنصرة الدين و إيضاح الحق ، ودحض الباطل و إرشاد الضال وجمع الكلمة ، و إحكام الألفة بين المسلمين إنه على ذلك قدير و بالإجابه جدير آمين آمين » .

ولما أعلن الشاه مظفر الدين حكومة الشورى النيابية فى إيران نوهنا بعمله فى (م ٧ و ٨ من المنار) وفضلناه بها على سائر ملوك المسلمين و إن عارض ذلك بعض علمائهم المتعصبين الجامدين ، إذ بينا أن حكومة الشورى هى حكومة القرآن فاذا نفذتها حكومة إيران تكون هى الحكومة الإسلامية الوحيدة

ثم نشرنا فى ج ١٢ م ٩ رسالة جاءتنا من طهران فيما كان من تأثير ما كتبه فى المنار فى تلك العاصمة ذكر فيها مرسلها

أن الجرائد الفارسية ترجمت مقالتنا (الشورى فى بلاد إيران) فاعترض عليها سفير الدولة العثمانية الأمير شمس الدين بك وكتب بذلك إلى وزير الخارجية (علاء السلطنة) كتابا أغلظ فيه وزعم أن ما نقلته الجرائد عن المنار أسباب يلقيها أعداء الدولة لإيقاع النفاق بين الدولتين ، و إحداث الشقاق بين الفريقين الخ ـ وذكر أن وزير خارجية إيران أجاب السفير التركى بأن كاتب المقالة ليس من رعيتهم حتى يؤاخذوه الخ.

ومما قاله صاحب هذه الرسالة فى أولها

ان أول من ترجم مقالة المنار هو ذكاء الملك فى جريدته (تربيت) فنبه علماء الفرس وسواسهم وذكر لهم بعد الترجمة « أن منزلة ومقام حضرة حكيم الإسلام وفيلسوفه السيد محمد رشيد رضا عند جميع أهل الأقطار من المسلمين وخصوصاً العرب الكرام بمنزلة مائة عالم مجتهد من أهل التشيع ، فاغتنموا الفرصة وفكروا أيها السواس فى مقالة هذا الحبر واقرأوها على المنابر وفى المعابر »

وذكر صاحب الرسالة أن صاحب جريدة (مجلس) نقل الترجمة وما قالته جريدة تربيت فى جريدته وأنها جريدة يقرؤها فى طهران وسائر إيران الكبير والصغير والذكر والأنثى ، وأن مديرها السيد محمد صادق نجل السيد محمد الطباطبائى المجتهد الشهير

وذكر أيضاً أنه حضر فى أثر ذلك مجلساً غاصاً بطلاب العلوم الدينية فى طهران ، فتذاكروا فى المسألة ، وما جرى بين السفير التركى ووزير خارجيتهم ، فقام أحدهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وكان مما قاله :

« انفتحت علينا أوربة وأتانا أهلها من كل حدب ينسلون : هذا تاجر ، وهذا سائح ، وهذا حكيم ، والآخر داع إلى دينه — والقصد من الكل ابتلاعنا معاشر أهل الاسلام ، فإن تيقظتم ، وإلا فأنتم صبوحهم ونحن غبوقهم لا سمح الله بذلك .

« أيها الترك ! تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا نتخذ المستبدين أربابا من دون الله طاعتهم كطاعته ، ومعصيتهم كمعصيته ، بل نجادلهم بالسيف والسنان ، والقلب واللسان ، فإن توليتم فنشهدكم بأنا مسلمون ونبرأ إلى الله من المستبدين الخائنين ، ومستمسكون بقوله عز من قائل فى وصف المؤمنين (وأمرهم شورى بينهم) وهم الذين قال فيهم (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) .

هذا مثال مما كنا ندعو إليه ، ونسعى له سعيه ، من جمع كلمة المسلمين ، وتأييد المحسنين منهم وتفنيد المسيئين ، ولا نزال كذلك إن شاء الله تعالى حتى يأتينا اليقين ؛ ولكن هذا الذى أرضى عنا جماعة المسلمين المنصفين ، قد أغضب علينا المتعصبين المفرقين ، وإنما اشتد علينا غضبهم فى هذه السنين ، بعد أن أظهر الله تعالى دولة السنة باستيلاء إمامها عبد العزيز آل سعود على مهد الاسلام ، وقيامه بإحياء السنن ، وهدم مبانى البدع ، فأيدناه ودافعنا عنه كما يجب علينا شرعا ، وكما شرعنا من قبل فى تأييد دولة الشاه مظاتر الدين الشيعية ، فيما كنا ندعو إليه الدولة العثمانية ؛

من إقامة حكومة الشورى الاسلامية ، على ما بين الحكومتين من البون البين ، وما بين الشعبين من الفرقان المبين وليس بهين . فكان خصومنا فى تأييد دولة السنة فريقان : دعاة الالحاد وغلاة الروافض .

تعصب صاحب مجلة العرفان :

للشيعة مجلة عربية اسمها (العرفان) كنا نعد صاحبها من المعتدلين ، ونحسبه من أصدقائنا وأعواننا على جمع كلمة المسلمين ، على ما نرى من احتذائه فى تأييد مذهبه وأهل فرقته الامامية حذو مجلة المشرق اليسوعية فى تأييد الكاثوليكية ، وقد كان كتب إلينا فى ٣٠ رمضان سنة ١٩٢٧ رسالة ينكر فيها ما عزوناه إلى الشيعة من إباحة الجمع بين تسع نسوة ، واستطرد فيها إلى الطعن فى رسالة عالم من ثقات العلماء أرسلها إلينا من بغداد ذكر فيها بث الشيعة لمذهبهم فى بدو العراق وهى الرسالة التى ذكرت فى الفصل الاول من مقصد رسالتنا هذه ـ ولكنه

على شدة لهجته فى الانكار ، لم يكن قد بلغ من شدة التعصب ما بلغه فى هذه الأعوام ، بل كان متحليا بشىء يعتد به من الأدب والانصاف ، فقد افتتح رسالته بقوله :

« كتابى إلى مولاى الأستاذ الحكيم ، بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ كتاب معجب بما له من الأيادى البيضاء فى إصلاح الأمة ورفع « منار » الإسلام وإرشاد المسلمين إلى الطريق الأقوم والصراط السوى ، بيد أنى اعتقد أنه لا بد للجواد أن يكبو ، وللصارم أن ينبو »

ثم ذكر المسألة التى أنكرها ، وأحسن ماقاله فى هذه الرسالة انكاره نقل المخالف فى المذهب ووجوب أخذ أقوال كل طائفة من كتبها دون كتب المخالفين لها ، وقوله فى ذلك :

فإنى رأيت كثيراً ما ينسب علماء السنة إلى الشيعة ما يتبرءون منه وما لم يوجد فى كتبهم المعتبرة وكذلك يفعل علماء الشيعة . وخذ لذلك مثالا ما ينسبه أكثر المسلمين إلى الوهابية من المقالات الشنيعة والاعتقادات الفاسدة . ولو راجعنا كتبهم لألفيناهم

يتبرءون منها ولم تكن علاقتهم بها إلا كقول الشاعر :

إنما أنت من سليمى كواو   ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

ثم استطرد بمناسبة الخطأ فى النقل إلى الانكار على رسالة ذلك العالم السائح التى أرسلها الينا من بغداد وذكر مانشره من الرد عليها فى مجلته العرفان

وقد نشرت رسالته هذه فى (ج ١١ م ١٢ من المنار) مع تعليق بدأته بالشكر له على بيانه وذكرت فيه شدة كراهتى لعصبية المذاهب وختمتها بأن نشرى لرسالة ذلك العالم السائح من باب النقل ، وإن الناقل عدل ثقة عندى ولكنه قد يخطىء ويصدق بعض الروايات الباطلة

فهكذا كنا وكان زميلنا وصديقنا من قبل صاحب مجلة العرفان المفيدة على عصبيتها فى بث العلم والأدب ، وهذا ما كان يصرح به من افتراء الناس على الوهابية وكذبهم فى الطعن عليهم

ثم اشتدت حماسة الرجل وغلا فى الرفض فصار يطعن فينا كلما سنحت له فرصة ولا سيما بعد ظهور دولة السنة التى يلقبها هو

وأمثاله بالوهابية ويجعلون الوهابية (أى السنة) مما لا يتفق مع الاسلام فى عقائده ولا فى أحكامه ، ويقر ما كان أنكره من الطعن فيهم وبرأهم منه .

زعيم الرافضة وعدو السنة

ثم انتهى أمره بالتنويه بالكتاب الجديد الذى ألفه أشد علماء الروافض فى هذا العصر تعصباً وطعناً فى عقائد أهل السنة وخداع عوامهم بما يبثه من الدعوة إلى الرفض وما فيه من الخرافات والبدع ، وهو الشيخ الملا السيد محسن أمين العاملى

أظهر ملاحدة الترك معاداة الاسلام والبراءة منه والطعن فيه واجبار قومهم على الارتداد عنه فلم يظهر من هذا الشيخ العاملى أدنى غيرة عليه ولا أقل دفاع عنه

وظهر من ملاحدة إيران الشيعية وملاحدة الأفغان السنية بوادر الاقتداء بملاحدة الترك فى شر ماعادوا به الاسلام وسعوا فى هدمه فلم نسمع عنه . ولم تقرأ له كلمة انكار ولا نصيحة

لهؤلاء المغرورين الأغرار بأن يدعوا لهذه الشعوب حريتها فى دينها ، وكذلك صاحب المجلة التى تنشر له دعوته وتنوه بكتابه (الشيخ عارف الزين)

بل فشا الكفر البواح ، والفسق الصراح ، وتهتك النساء وذهاب الأعراض أدراج الرياح ، وكثر دعاتهما فى سائر الأقطار الإسلامية إلا نجد والحجاز واليمن ، ولم نر منهما غيرة على الدين ، ولا أعراض المسلمين ، وإنما ظهرت غيرتهما على الدين بل الرفض المبين لما أيد الله إمام السنة فى هذا العصر (عبد العزيز آل سعود) ورأيا أن السنة تنفذ بالفعل وهياكل البدعة تهدم فى مهد الاسلام ، فإن أكثر البدع والخرافات إنما جاءت من غلاة الشيعة وهم حماتها ودعاتها ، وهى مرتزق زعمائها ، وعليها مدار جاههم العريض ومنهم سرت عدواها إلى طريق الصوفية الذين ينتسبون كلهم إلى آل البيت بالباطل إلا طريقتين من الطرق المشهورة وهى المولوية التى أيدها الترك مباراة للروافض ، والطريقة النقشبندية الخفية ، التى ليس لها تقاليد ولا مظاهر بدعية ، وإنما ينكر عليها

المعتصمون بهدى السلف مسألة الرابطة والتزام الذكر غير المأثور

سعينا للتأليف بين الوهابية والشيعة

أما والله إننى لم أكن أرى فى طريق الدعوة إلى التأليف بين المسلمين عقبة يعسر اقتحامها الا التقريب بين الشيعة ولاسيما غلاة الإمامية ، وأهل السنة السلفيين الملقبين بالوهابية ، وقد جرى بينى وبين جلالة الملك فيصل حديث طويل فى هذه المسألة لما كنا فى دمشق ، وكان أهم غرض لى فى مقابلته المعروفة بمصر سؤاله عن مبلغ خبرته فى ذلك ، وأما البحث فى هذا بينى وبين أصحابى من عقلاء الشيعة والسنة فى مصر وسوريا وغيرها فكثير ومن ذلك ما كان من سعيى للتأليف بين الفريقين عندما سافر سفير دولة إيران السابق إلى مكة المكرمة للقاء ابن السعود وقد زودته بكتاب إليه فى ذلك وحمل هو إلى من ابن السعود كتابا بل كتباً أخرى تتعلق بالمؤتمر الاسلامى العام ، ولكن هذا السعى لم يثمر الثمرة الموجودة ، كما أثمر من قبله السعى إلى التأليف بين الإمامين الجليلين يحيى وعبد العزيز أحياهما الله وأعز بهما

ذلك بأنه ليس بين مذهب الزيدية ومذهب السنة من البعد كما بين الروافض وأهل السنة ، وقد كتبت إلى كل من الأمامين أدعوه إلى الاتفاق مع الآخر قبل فتح الحجاز بسنين ، فأجاب كل منهما إلى ذلك بالارتياح والقبول ، ودارت بينهما المكاتبات الودية فى ذلك على ما طرأ من أسباب الخلاف ، وما كان من سعى أهل الفساد لالقاء العداوة والبغضاء بينهما وإغراء كل منهما بقتال الآخر ، ونسأل الله تعالى أن يتم النعمة بنجاح ما نسعى له ويسعى له غيرنا من عقلاء المسلمين وأهل الغيرة منهم بعقد المحالفة التى تكون أقوى الوسائل لحفظ جزيرة العرب من التعدى على استقلالها . ولبلوغها أقصى ما هى مستعدة له من العمران وإحياء حضارة الإسلام .

ولما رأيت ما رأيت من سوء أمر مؤتمر النجف لشيعة العراق ، ومن أمارات نشر الإلحاد فى إيران والأفغان ، ومن تجديد الشيخ العاملى فى تواليفه ، والشيخ عارف الزين فى مجلته

الطعن فى السنة وتنفير المسلمين من دولتها الوحيدة فى إقامتها ونصرها ، ومن بث الرفض والخرافات بين المسلمين ، رأيت من الواجب على أن أظهر للمسلمين ما يخفى على جمهورهم من الحقائق التى لم يكن العاملى ولا الزين يعلمان بوقوفى عليها ، لعلهما يفيئان إلى أمر الله ، فكتبت الفصول التالية بهذه النية و « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى » .

وكنت عند البدء بالكتابة عقب اطلاعى على كتاب العاملى الجديد ، وما فيه من الطعن الباطل فى السنة باسم الوهابية ، وفى شيخ الإسلام المصلح الكبير ابن تيمية ، ومن تشريفى بطعنه فى وبهتانه على — كنت عند البدء بذلك — عازماً على الاختصار ، والاكتفاء بما ينشر فى المنار ، ثم جاءتنى مجلة العرفان ، فإذا هى بعد اطلاعها على الفصل الأول فى المنار وقد أسرفت فى البهتان ، والبغى والعدوان ، والشتم والسب ، والكذب والإفك ، فرأيت من الواجب فى نصر السنة ودفع البدعة ، أن أتوسع فى الكتابة ، ونشر ما أكتبه فى رسالة أو رسائل مستقلة .

ثم جاءنى بعد ذلك جريدة أم القرى حاملة تفصيل ذلك النبأ العظيم ، نبأ عقد المؤتمر الإسلامى فى الرياض عاصمة نجد ، الذى هو الحجة الكبرى على انفراد حكومة ابن السعود بإحياء حكومة الخلفاء الراشدين فى الأرض ، فشحذ ذلك غرار عزمى على نصرها وشد أزرها ، ومجاهدة أعداء الله ورسوله من الطاعنين فيها ، فى هذا العصر الذى نرى الحكومات الأعجمية تفضل شرائع أعدائهما على شريعتهما ، وفسادهم على إصلاحها ، والإلحاد على دين الله وهو الإسلام ، والعصبية العمية على الوحدة وجماعة ملة محمد عليه الصلاة والسلام .

وإننى أعتقد اعتقاداً جازماً بما تيسر لى من الاختبار الطويل ، بأن هذه الخرافات والبدع التى كان التشيع مثارها الأعظم ستقضى على الاسلام إن لم يقض المصلحون عليها . وإن سيرة ملاحدة الترك فى الصد عنها برهان على ذلك ، فإنهم يصورون لعامة أهل بلادهم تلك الخرافات الفاشية فى الأولياء والصالحين بأقبح الصور المنفرة ، ومن ذلك أنهم نبشوا بعض قبورهم ، وأروا الناس بأعينهم رميم عظامهم ، وعجزهم عن

الدفاع عن أنفسهم وعن مراقدهم . . . وطالما صرح المنار بإثبات فنائهم ، وأكل الأرض لأجسادهم ، وشرك الذين يدعونهم كما يدعون الله تعالى لجلب النفع لهم ودفع الضر عنهم .

وإننى أدعو عقلاء المسلمين كافة ، والمخلصين فى إسلامهم من عقلاء الشيعة المعتدلين خاصة أن ينهضوا معنا نهضة جريئة لإحياء عقيدة التوحيد الخالص ، والقضاء على عبادة الميتين من أئمة أهل البيت الطاهرين ، ومن سائر الأولياء والصالحين ، وعلى التمسك بما يدعيه فقهاء الشيعة الجامدين ، من تلقى الدين والفتوى من سرداب سامرا حيث اختبأ المهدى المنتظر . فإن هذا التشريع لا يقبله أحد من عقلاء البشر . ومن بين لى أننى على خطإ فيما دعوت إليه بالدليل ، فإننى أرجع إلى قوله من قريب (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) .

(انتهت المقدمة)

الرسالة الاولى

الفصل الاول

دعاية الرفض والخرافات والتفريق

بين المسلمين

وموقد نارها الشيخ محسن الامين العاملى

خطة المنار فى التأليف بين المسلمين :

يعلم جميع قراء المنار والمطلعين عليه ، وكذا الواقفون على النهضة الاصلاحية التى قام بها منشئه على أساس الوحدة الاسلامية منذ ثلاثين سنة أو أكثر أنه كان من سيرته فى مجاهدة البدع والخرافات ، التمثيل لها بما فشا منها بين أهل المذاهب المنسوبة إلى السنة دون ذكر أهل مذاهب الشيعة وغيرهم ، لئلا يتهمه المتعصبون من هؤلاء بالتعصب ، وإن كان يصرح دائماً ببناء دعايته على أساس نصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف

الصالح ، وعدم التقيد فيها بمذهب من المذاهب ؛ بل مع تصريحه بما يعتقده من أن التعصب لأى مذهب منها مناف للوحدة الاسلامية ، ومخالف لنصوص القرآن .

وقد اشتهرت قاعدته الذهبية التى دعا إليها علماء المذاهب كلها ، وهى : نتعاون فيما نتفق عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه ، وندعو علماء كل طائفة وأهل كل مذهب لمقاومة البدع الفاشية فيهم ، لتكون دعوتهم أقرب إلى القبول .

وقد وافقنا على دعوتنا هذه كثيرون من أهل السنة المستقلين والمقلدين للمذاهب ، ولكننا لم نر أحداً من علماء الشيعة نصرنا عليها بالكتابة ، وإنما استحسنها بعض المنصفين فيما شافهونا به (كالسيد هبة الدين الشهرستانى النجفى ، والسيد عبد الحسين العاملى ، والمرحوم الشيخ محيي الدين عسيران) على أننا لم نسلم من شر متعصبيهم ، فقد نشرنا مرة رسالة فى أول المجلد ١٦ من المنار (سنة ١٣٢٦) لصديقنا العلامة المرحوم الشيخ محمد كامل الرافعى من بغداد ، كتبها فى أثناء سياحته ،

وذكر فيها قيام علماء الشيعة بدعوة الأعراب إلى التشيع ، واستعانتهم على ذلك بإحلال متعة النكاح لمشايخ قبائلهم الذين يرغبون فى الاستمتاع بكثير من النساء فى كل وقت .

ولما نشرنا تلك الرسالة فى المنار علقنا عليها تعليقا رجونا أن يحول دون تعصب الشيعة ، واحتمائهم علينا ، ورمينا بضد ما نقوم به من التأليف والتوحيد . فقلنا : إن تعليم الأعراب الجاهلين مذهب الشيعة فى العبادات والحلال والحرام خير من بقائهم على جهلهم المعهود ، وحصرنا توجيه انتقاد الكاتب فى وجهته السياسية ، وهى ما كان يشوب تلك الدعاية من التنفير من الدولة العثمانية والتحبيب فى الدولة الإيرانية الخ . ولم ننشر اسم الكاتب يومئذ لئلا تؤذيه الحكومة الحميدية لما هو معلوم من حالها.

نشرنا هذا فى المنار ، فلم نجد أحداً منهم هاجه واحتمى عليه إلا هذا المتعصب الجامد على الرفض[1] الشيخ محسن

(١) الرفض يراد به الغلو فى التشيع فالشيعة منهم المعتدلون=

الأمين العاملى على خلاف ما نقل لنا بعض الناس عنه ، من إظهار الانصاف فى مجالسه ، مع علماء السنة من باب التقية ، فألف رسالة سماها (الحصون المنيعة ، فى الرد على ماأورده صاحب المنار فى حق الشيعة) لم يكن فى تأليفها محسنا فى الرد ، ولا أميناً فى النقل ، ولكنها فرصة اغتنمها لبث أمرين :

(أحدهما) فيما ارتأيت فى ذلك التاريخ صد نابتة الشيعة فى جبل عامل وغيره عن المنار ، إذ كانت قد أثرت فيهم خطته الاصلاحية ودعوته إلى الاستقلال فى فهم الدين من الكتاب والسنة ، وترك التقليد وعصبية المذاهب فيه ، والشيعة أشد الفرق فى ذلك حتى الذين يسمونهم المجتهدين منهم ، و يفتخرون على أهل السنة بأنهم هم الذين يأخذون بالاجتهاد ، الذى أقفل بابه أهل السنة . ومن المعلوم ببداهة العقل أن الاجتهاد الحقيقى الذى هو الاستقلال بأخذ الدين من ينابيعه ينافى التمذهب بمذهب معين

=ومنهم الغلاة ومنهم الباطنية الملاحدة اعداء الاسلام كالعبيديين والشيخ العاملى متعصب للجميع

فالشيعة أبعد عنه من أهل السنة ، الذين ظهر منهم فى كل قرن علماء مستقلون لا يقلدون مذهبا من المذاهب .

(الأمر الثانى) : بث مذهب الشيعة بين أهل السنة ، وترجيحه على مذهب السنة . وجعل مسألة متعة النكاح حجة على هذا الترجيح ، فأطال فيها بغير طائل .

أرسلت إلىّ هذه الرسالة عقب صدورها ، فلم أشأ أن أرد على أباطيلها لسببين: (أحدهما) مخالفة ذلك لخطتى فى التأليف بين فرق المسلمين، لأن المجادلات فى الانتصار للمذاهب تذكى نار التعصب والشقاق بين أهلها (وثانيهما) : أن صاحبها لا يستحق أن يرد على مثله، لأنه لا يطلب الحق فى المناظرة ، كما هو شأن المقلدين، ولاسيما المتعصبين الغلاة مثله . فمناظرتهم تضر ضرراً لا يقابله منفعة استبانة الحق لهم ، فيرجى رجوعهم إليه .

وكيف يرد مثلنا من المستقلين ودعاة التأليف على من يستدل على صحة المتعة بقوله تعالى : (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) فيزعم أن لفظ الأجور لا يصح أن

يكون بمعنى المهور ، لأنه لم يرد فى لغة القرآن بهذا المعنى ، وإنما سماها القرآن : الصدقات (بضم الدال) ؛ وزعمه هذا يدل على أحد أمرين : إما الجهل بالقرآن ولغته ، وإما تعمد تحريفه ، وقد يجتمعان . فقد قال الله تعالى فى سورة الممتحنة فى المؤمنات اللواتي يتركن أزواجهن المشركين ويهاجرن إلى المدينة : (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن) وقال تعالى ، بعد ذكر حل طعام أهل الكتاب من سورة المائدة : (والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان) .

وإنى لما حررت الدلائل فى مسألة متعة النكاح فى تفسير سورة النساء من جزء التفسير الخامس ، وتعرضت لخلاف الشيعة فيها قلت فى آخر البحث ما نصه (وهو قد كتب بعد تأليف تلك الرسالة) :

« ولا سعة فى هذا التفسير لهذه المباحث ، بل أخشى أن

أكون خرجت بهذا البحث عن منهاجى فيه ، وهو الإعراض عن مسائل الخلاف التى لا علاقة لها بفهم القرآن والاهتداء به ، وعن الترجيح بين المذاهب ، الذى هو مثار تفرق المسلمين وتعاديهم ، على اننى ابرأ الى الله من التعصب والتحيز الى غير مايظهر لى أنه الحق. والله عليم بذات الصدور — إلى أن قلت :

« فإن اطلعنا بعد ذلك على روايات أخرى للشيعة بأسانيدها ، فربما نكتب فى ذلك مقالا نمحص فيه ما ورد من الطريقين ، ونحكم فيه بما نعتقد من قواعد التعارض والترجيح وننشر ذلك فى المنار » اه

وقد أرسل علامة الشام المستقل الشيخ جمال الدين القاسمى (رحمه الله تعالى) رسالة العاملى فى أيام نشرها إلى علامة العراق المستقل السيد محمود شكرى الآلوسى (رحمه الله تعالى) ، وسأله عن رأيه فيها ، فأجابه برسالة تتضمن الرد الشديد عليها وتجهيل مؤلفها ؛ وقد اطلعنا على هذا الرد ولم نشأ أن ننشره لما تقدم بيانه ولكن العاملى الرافضى المتعصب عاد فى هذه الأيام إلى

ما هو شر مما كتبه فى تلك الرسالة ؛ لأن حرية الطعن والتفريق فى ظل الحكومة الفرنسية ، أوسع مما كان فى عهد دستور الدولة العثمانية ، فألف كتابا كبيراً استغرق خمسمائة صفحة فى هذا الموضوع جعل عنوانه «الرد على الوهابية» ودس فيه ما يبغى من الدعاية الرافضية ، و إثبات الخرافات القبورية ، والطعن فى صاحب المنار . لا فيما نشره مما يخالف مذهبه وتقاليده فقط ! بل طعن فى شخصه ونقل ما كتبه شاب إيرانى فرمسونى متعصب للدولة الايرانية ولمذهبها لأنه مذهبها ! ! ! فى بعض الجرائد من الطعن الشخصى فيه والافتراء عليه بضد الواقع ، ولا سيما فى مسألة الشريف حسين وأولاده والاتحاديين ، فقد زعم أننا كنا نمدح الشريف فى وقت عزه وملكه ، وذممناه بعد فقده ، وهذا كذب وبهتان كما يعلم جميع المطلعين على المنار ، كزعمه أن فيصلا هو الذى عين صاحب المنار رئيسا المؤتمر السورى العام فى دمشق وكل الناس يعلمون كالشيخ العاملى أن المؤتمر انتخب صاحب المنار لرياسته انتخابا ، وأنه ما كان لفيصل أن يعينه تعيينا .

طالبني بعض أهل السنة بالرد على هذا الكتاب وقد تصفحت أهم مسائل أبوابه فى زهاء ثلاث ساعات فرأيت فيها من الكذب فى النقل أو الاقتصار منه على مايوافق هوى مؤلفه ، ومن الدعاوى الباطلة ، والكلم المحرف عن مواضعه وتأويل النصوص القطعية ، مايبخل الحريص على وقته أن يقرأه كله ، فكيف يضيعه فى الرد على كل مافيه من الباطل ؟

ولكن فى نشر هذا الكتاب ضررا عظيما و إفسادا كبيرا لعقائد المسلمين كافة وعقائد أهل السنة خاصة ، لما فيه من الشبهات الكثيرة الصادرة فى صور الادلة على عبادة موتى الصالحين بالدعاء وغيره ، وتحريف نصوص القرآن الصريحة فى منع ذلك كقوله تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) وقوله تعالى (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) وقوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب و يرجون رحمته و يخافون عذابه) أى أولئك الذين يدعونهم من دون الله توسلا بهم اليه هم يبتغون الوسيلة والقربى إلى الله (أيهم أقرب) أى

يبتغى ذلك أقربهم إلى الله كالمسيح عليه السلام والملائكة ، فكيف من دونهم ؟ كما أنه يرد بعض الاحاديث الصحيحة الواردة فى ذلك لانها من رواية أهل السنه (!) أو يحرفها بالتأويل

وما أضعف المسلمين فى دينهم ودنياهم شيء كما أضعفهم وأفسدهم الاتكال على الميتين فى قضاء حاجاتهم ومصالحهم ودفع الأذى عنهم . فهذا مما يضر أهل السنة والشيعة ولا سيما فى هذا العصر وهو يوهم الفريقين أنه من الإسلام ، وأنه لم يخالف فيه أحد منهم إلا الوهابية . مع أنه لم يقل به أحد من أئمتهم لا أئمة أهل البيت كالصادق والباقر ولا أئمة الأمصار الآخرين كالأربعة رضوان الله عليهم أجمعين . بل النصوص عن أئمة أهل البيت عليهم السلام موافقة للأحاديث الصحيحة من منع هذه البدع الخرافية كما يعلم من المناظرة بين العالمين الشيعى والسلفى المستقل التى نشرناها فى المجلد الثامن والعشرين من المنار

ومثال ما يضر أهل السنة وحدهم ما صوره الرافضى المتعصب فى رسالته وكتابه لهم من أن أصول الدين والفقه عند الشيعة

وأهل السنة واحدة ، و إنما الفرق الوحيد بينهما مسألة حب آل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام وموالاتهم والاحتجاج بمارواه أئمتهم عنه وما اجتهدوا فيه وهو ما نبينه فيما يلى مع الإشارة الى دسيسته فيه

الفرق بين السنى والشيعى

يزعم الشيخ العاملى فى الفرق بين السنى والشيعى أن أصول أهل السنة والشيعة فى العقائد والأحكام واحدة وأن الخلاف بينهما هو كالخلاف بين فقهاء السنة و إنما يمتاز الشيعة بأنهم هم الذين « يوالون و يتبعون أهل البيت الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، الذين دخلوا مدينة العلم النبوى من بابها وتمسكوا بالثقلين كما أمرهم نبيهم » وهو يكرر هذا القول الذى نقلناه من آخر كتابه الجديد وقد قال بعده

« وهم مسلمون يقرون لله بالواحدانية ولنبيه بالرسالة . و يلتزمون

بجميع ما جاء به من عند ربه مما اتفق عليه جميع المسلمين [١] و يرجعون فيما اختلفوا فيه إلى أقوال الأئمة الذين لم يكونوا فوق الأئمة الأربعة وفوق ابن عبد الوهاب فى العلم فليسوا دونهم »

وقد ذكر فى مقدماته فصولا فى أصول الدين التى هى دلائل الاحكام يوهم قارئها من غير علماء السنة أنها اتفاقية ، وفيها ما سنشير اليه من الدسائس

وقد سبق له تفصيل للتفرقة بين الطائفتين فى رسالته (الحصون المنيعة) ذكر فيها أن المسلمين كانوا فى أول الإسلام « فرقة واحدة حتى قتل الخليفة الثالث و بويع الخليفة الرابع فلم يجد أعداؤه وسيلة إلى هدم خلافته والقدح فيه أقوى من نسبة قتل الخليفة الثالث اليه ، فسعوا فى ذلك جهدهم حتى تمكنوا من إقناع جم غفير من المسلمين بذلك وتهيأ لهم بما دبروه من الحيلة أن يقسموا المسلمين فرقتين ، فسميت إحداهما علوية والاخرى عثمانية . ونالوا

---

(١) يستثنى المؤلف بهذا القيد ما انفرد بروايته عنه ﷺ حفاظ السنة كمالك وأحمد والبخارى ومسلم وأصحاب السنن . وهل لسنته ﷺ حفاظ غيرهم ؟

بذلك ما أملوه من الملك وقهر علي بن أبي طالب وأولاده الذين هم أعدى أعدائهم و يخافون منازعتهم فى الملك ولهم عندهم ثارات بدر وغيرها . ولم يكتفوا بهذه حتى أمروا بسب على بن أبى طالب على جميع منابر الإسلام » (ص ٩ و ١٠)

وههنا أطال فى وصف هذه العداوة فذكر أنها استغرقت مدة ملك بنى أمية وجملة من ملك بنى العباس الذين قال فيهم : إنهم لم يكونوا أقل تشدداً فى قهر العلويين و إيذاء من ينسب اليهم من الامويين « حتى قل المنتسبون إلى أهل البيت بالنسبة إلى غيرهم وتستروا واختفوا خوفا على دمائهم وكثر المائلون إلى الامويين والعباسيين والمتقربون منهم رغبا أو رهبا » وذكر أن أهل البيت كانوا يخفون علومهم ثم أظهروها فى آخر مدة ملك بنى أمية وأول ملك بنى العباس لقلة الضغط ، فظهر مذهب أهل البيت فى عهد الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق الذى نسب اليه مذهب الشيعة فى الفروع

قال (ص ١٢) « ثم صار المنتسبون إلى أهل البيت عليهم

السلام يعرفون بالشيعة وغيرهم بالسنة ونسخ اسم العلوية والعثمانية

أقول : إن هذا التفصيل هو غير الحق وغير ما يعتقده الشيعة من أصل نحلتهم أيضا ، وهو صريح فى أن أعداء أهل البيت النبوى الذين كانوا يسمون العثمانية هم الذين صاروا يسمون أهل السنة ، فالشيخ محسن العاملى هذا وأمثاله يطعنون فى أهل السنة بمثل هذا القول الباطل ـ فان جميع أهل السنة يقولون بأن علياً (رض) هو الإمام الحق بعد عثمان وأن معاوية كان باغياً عليه ـ ويخدعون به مسلمى هذا العصر بجذبهم إلى التشيع لعلمهم بأنهم يحبون أهل البيت جميعهم الحب الصحيح المعتدل و بعضهم يغلو فيهم كلهم كما يغلو الشيعة فى بعضهم ـ فهم يجذبونهم إلى المذهب بهذه الدعوى الباطلة ، كما دافع هو والشاب الإيرانى عمن انتقدنا عليهم بث نزعة التشيع من الحضارمة وجعلهم من الروافض مثله على تصريحنا فى المنار بأنهم لا يدعون إلى مذهب الامامية ولا الزيدية ، بل يقولون إنهم شافعية سنية ، و إنما يدعون إلى الغلو فى تعظيم العلويين والخرافات بما أدى إلى النفور منهم

ومقاومة الجماهير لهم ولا سيما جمعية الإرشاد ، ونحن إنما انتقدناهم غيرة عليهم وعلى الدين الصحيح

ثم ذكر هذا الداعية ـ عقب ماتقدم ـ أصول فقه أهل السنة والشيعة إجمالا . ومنها انفراد الشيعة بأقوال أهل البيت وما استقل العقل بحسنه أوقبحه . وذكر بعد ذلك كثيراً من علمائهم ومصنفاتهم بما لايخلو من بحث ونظر ، وهو قد وضح أصول الأحكام الدينية ومآخذ الأدلة فى كتابه الجديد . فنشير إلى بعض الدسائس فى كلامه لا للرد عليه فان مثله لايناظر ، ولكن ليعرف أهل السنة دسائسه ولا يغتر غير الواقف على أصول الدين منهم بكلامه الموهم

(١) قال فى ص ٨٢ « الكتاب كلام الله المنزل على نبيه (ص) وهو قطعى السند لاتفاق المسلمين كافة على أن مابين الدفتين منزل منه تعالى » ونقول : لكن رافضة الشيعة يزعمون أن مابين الدفتين ليس كل كلام الله تعالى بل حذف منه الصحابة بعض الآيات وسورة الولاية أى ولاية على (ع . م) ويزعمون أن علياً كتبه من نسخة كانت عند النبى (ص) خصه بها وأمره أن يكتبه

منها وهو المعصوم دون سائر الصحابة من الخطأ فلم يقبلوها منه ، وينقلون عن أئمة أهل البيت أكاذيب فى القرآن وتحريف الصحابة (رض) له لعلها مما قال العاملى إنهم كانوا يكتمونه عن الناس ويخصون به الثقات من محبيهم ، ولبعض علماء القرن الماضى منهم كتاب سماه (فصل الخطاب . فى إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) ينقل عن كتبهم وأئمتهم الأباطيل فى ذلك ويقولون إن القائم المنتظر، وهو عندهم محمد المهدى بن الحسن العسكرى المختبىء منذ ألف سنة ونيف فى السرداب من بلدة سامرا (سر من رأى) سيظهر القرآن الصحيح التام ...

وقد ذكر فى الكلام على السنة والأخبار النبوية أن البابية يحتجون على ضلالتهم بخبر : إن المهدى يأتى بأمر جديد وقرآن جديد . ونقول : إن هذا الخبر لاوجود له فى كتب الأحاديث المروية عند أهل السنة والجماعة فلا بد أن يكون من أخبارهم هم ـ وهو إنما يخطىء البابية فى الاستدلال به على أن المهدى هو زعيمهم الباب لافى رواية الخبر نفسه لأنه ذكر ذلك فى سياق استدلال

كل طائفة من الأخبار كالآيات على نحلتها لاحتمال الألفاظ لذلك بالتأويل الذي هم فرسان ميدانه.

(٢) إنه عرف السنة بقوله « السنة قول المعصوم أو فعله أو تقريره » ويتوهم من لا يعرف عقائدهم أن هذا التعريف موافق لما عليه علماء أصول الفقه من أهل السنة أنها أقوال سيدنا محمد (ص) وأفعاله وتقريراته ، بناء على اعتقادهم أنه هو المعصوم في هذه الأمة إذ لا عصمة عند أهل السنة لأحد من البشر إلا للأنبياء عليهم السلام ، ولكن الشيعة يقولون بعصمة أئمة أهل البيت ، ويقولون بأن العصر لا يخلو من معصوم كما صرح العاملي به في تعريف الإجماع من كتابه هذا

وليعلم القراء أن السنة المرادة بقول العلماء « أهل السنة والجماعة » في مقابلة أهل البدع كالروافض والجهمية هي السيرة العملية التي كان عليها المسلمون في عصر النبي (ص) وصدر الاسلام قبل ظهور البدع . ومن ذلك قول علي كرم الله وجهه لابن عباس (رضي الله عنهما) حين أرسله لمحاجة الخوارج : احملهم على السنة فإن

القرآن ذو وجوه – يعني أنهم يتأولونه بغير المراد منه. وأما السنة بمعنى السيرة العملية فلا يمكن تأويلها ، ولكن الشيعة لا يحتجون بها

(٣) من أصول الدين المهمة عندهم مسألة الامامة العظمى ويزعمون أن ثبوتها – بالنص كما صرح به هو وغيره – وأن النبي (ص) نص في يوم (غدير خم) على إمامة علي (ع . م) ووصى له بها وأن جمهور الصحابة عصوا نبيهم وخالفوا عن أمره حباً في الرياسة فجعلوها باختيار أهل الحل والعقد ، ولما كان الزعيمان الأكبران الأعظمان في الصحابة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما هما اللذان قاما بهذا الأمر كانا أعدى أعدائهم ، وكان من شعارهم لعنهما ، ويلقبون الأول بالعجل والثاني بالسامري ، بل صرح بعض علمائهم بأنهما قد ارتدا عن الاسلام هما وجمهور الصحابة الذين وافقوهم ، وزعموا أن علياً كرم الله وجهه لم يبايعهما إلا تقية!! وحاشا بطل الاسلام أشجع الشجعان وأزهد الزهاد من هذا النفاق المسمى بالتقية . وأنت ترى هذا الرافضي وأمثاله من غلاة الشيعة لا يطلقون الترضي عن الصحابة بل يقيدونه بمثل قوله في أول

كتابه « وصلى الله على سيدنا محمد وآله وخيار أصحابه وسلم » و يعنى بخيار أصحابه شيعة على، كسلمان الفارسى وعمار والمقداد رضى الله عنهم أجمعين

وليعلم القارىء أنه كان فى الصحابة والتابعين من يرون أن عليا كرم الله وجهه أحق بالإمامة العظمى من غيره ولكنهم لم يكونوا يعتقدون أن ولاية غير الأولى والأحق غير جائزة ، ولا أن الشيخين العظيمين وركنى الاسلام الركينين قد ارتدا عن الاسلام أو ضلا عن صراطه المستقيم ، وكذلك أكثر من كانوا يفضلون علياً على غيره من علماء القرون الأولى، و يطلق هو وغيره عليهم لقب الشيعة

ومن المعلوم لجمهور [١] المتعلمين فى هذا الزمان أن للبشر من جميع الأمم نظريتين فى الولاية العامة والملك (إحداهما) أن

(١) المراد بالجمهور هنا العارفون بالشؤن العامة من جميع الطوائف والشيعة يطلقون هذا اللفظ ولفظ العامة على أهل السنة و يسمون شيعتهم الخاصة

الحق فيها لاختيار الأمة الذى يعبر عنه فى عرف هذا العصر بالديمقراطية ، وهى المرجحة عند جميع أمم المدنية ، وقد سبقهم اليها المسلمون بارشاد القرآن فى قوله عز وجل (وأمرهم شورى بينهم) و إنما خالف فيها الشيعة ذاهبين إلى (النظرية الثانية) وهى أن الحق فيها لشرفاء الأمة ذوى الانساب والاحساب — وهى التى يعبرون عنها اليوم (بالارستقراطية) ولكنهم يزعمون أنهم يتمسكون فيها بنص نبوى بل يزعم المجازفون منهم أنها كانت منصوصة فى القرآن فأسقط جمهور الصحابة ذلك النص كما تقدم

و بناء على هذه النظرية والعصبية العمية يقاوم الروافض الامام عبد العزيز بن سعود ملك الحجاز ونجد تعصبا لمذهبهم على مذهب أهل السنة الذى يقيمه ابن سعود إقامة لم يسبق لها نظير بعد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم — إلا فى فترات أجلها مدة خلافة عمر بن عبد العزيز (رض) — ولكن العاملى يطعن فيه وفى قومه ملقباً إياهم بالوهابية ، ومدعياً أنهم مخالفون لجميع المسلمين الذين لا فرق بين سنيهم وشيعيهم بزعمه إلا حب آل بيت الرسول وولايتهم

والاهتداء بعلمهم . ومراده بذلك التوسل للطعن فى عقائد سلف الأمة وهديهم وفى مذهب إمام أئمتها وأستاذ أعظم حفاظها أحمد بن حنبل (رض) فهو يقول (مثلا) إن الوهابية يكفرون تارك الصلاة ويرد عليهم ، وهذا مذهب الامام أحمد كما هو مشهور ومنصوص فى كتب الفقه من قبل وجود الوهابية . وقد ظهر لجميع العالم بطلان استدلاله على جواز منع إيران للحج بأن فيه خطراً على حياتهم وحريتهم من ملك الحجاز

ألا تراه على افترائه الكذب فى طعنه بالوهابيين راضياً بأعمال الشريف حسين وأولاده ومدافعا عنهم فالشريف عبد الله بن حسين الذى اقتطع بخداع أخيه الشريف على أهم منطقة حربية غنية من أرض الحجاز وجعلها تحت سلطة الانكليز وهو يجبر أهل البلاد التى تولى إمارتها على اقرار المعاهدة المخزية التى عقدها معهم ، وكذلك السيد تاج الدين الحسينى رئيس حكومة سوريا الحاضرة وخادم فرنسا فيها — هما عنده أفضل وأحق لنسبهما بالحكم من جميع الوطنيين الذين اشتهروا بخدمة أمتهم ووطنهم ، وجاهدوا

فى سبيلهما بأموالهم وأنفسهم

• نكتفى الآن بهذا التنبيه العام للمسلمين فى مقابلة الدعاية الخرافية التى نشط لبثها فيهم الملا محسن العاملى ونقفى عليها بالرسالة الوجيزة التى كتبها علامة العراق المرحوم السيد محمود شكرى الالوسى إلى علامة الشام المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمى مع حذف بعض العبارات القاسية التى فيها ، ننشرها الآن للضرورة التى أشرنا اليها، وليعلم بعض ماعندنا أولئك الذين يتوخون إظهار الاعتدال فى الدعاية الشيعية والرد على مخالفيها كزميلنا الفاضل صاحب مجلة العرفان المفيدة فى بث العلم والأدب الذى عرض بالانتقاد علينا مراراً . ونطلب من علماء الشيعة المنصفين أن يبينوا لنا مايرونه فيها وفيما كتبناه من خطأ بالدليل والبرهان لنعترف لهم به (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل)

الفصل الثانى

رد السيد الالوسى

على حصون العاملى الرافضى

صورة الكتاب الذى أرسله علامة العراق السيد محمود شكرى الألوسى إلى علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمى فى الرد على صاحب رسالة (الحصون المنيعة فيما أورده صاحب المنار فى الشيعة وشنعهم القبيحة (والعناوين للمنار) .

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة العالم الأوحد ، والعلم المفرد ، فخر هذا الزمان ؛ والمشار إليه بالبنان ، الأخ الأكمل ، والخل المفضل ، جمال الدنيا والدين ، وبهجة الإسلام والمسلمين ، جناب السيد جمال الدين افندى القاسمى ، كان الله تعالى له ، وأناله من الدين ما أمله .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فلم أزل أتشرف بألطافكم العلية ، وتتوارد على المخلص نعمكم السنية ، فأتضرع إلى الله تعالى وأسأله أن يجزيكم عنى خير الجزاء .

قبل هذا وصل إلى كتاب (النصائح الكافية) فرأيت مصنفه ممن اتبع هواه ، ولم يراقب مولاه ، وفى هذه الأيام وردنى كتاب (الحصون المنيعة) ، فلما طالعته وجدته أيضاً كتابا دل دلالة صريحة على أن مصنفه من المتعصبين فى الرفض ، المغالين فى البغضاء للسنة النبوية ؛ ورأيت الإعراض عن كلا الكتابين هو الحزم ، فإنا لو رمينا . . . وأظن أن المقالة التى فى ﴿المنار﴾ حررها الشيخ كامل افندى الرافعى ، فقد مر عند ذلك التاريخ على العراق ، واجتمعنا به ، وسررنا بملاقاته حيث كان سلفىّ العقيدة منور الفكر ، فكتب ما كتب عما رأى من أحوال رافضة العراق .

ومن العجب أن الرافضى ادعى أن فرقته أطوع الناس للحكومة مع أن سيفها لم يزل على رقابهم ، ولم يمض يوم من الأيام

إلا والحرب معهم قائمة على ساقها ، فكم ألجأوا الحكومة إلى خسائر أموال ونفوس ، وجميع القبائل الذين ترفضوا هم أعدى الناس لدولة الاسلام ، وفى هذا الأسبوع ورد تلغراف يخبر عن هجوم جمع منهم على شطرة المنتفق ، وقتلهم جمعاً من الضباط وعدداً كثيراً من الأفراد . وحروبهم فى العمارة شهيرة ، وكذلك قبائل الديوانية والنجف والسماوة وكربلاء لم يزالوا قائمين على ساق الحرب مع الحكومة ، واختلال العراق دائماً إنما هو من الأرفاض فقد تهرى أديمهم من سم ضلالهم . ولم يزالوا يفرحون بنكبات المسلمين حتى أنهم اتخذوا يوم انتصار الروس على المسلمين عيداً سعيداً ، وأهل إيران زينوا بلادهم يومئذ فرحا وسرورا[١] ، ولو بسطنا القول فى هذا الباب ، وذكرنا حروبهم ومخازيهم

(١) المنار : الانصاف أن الدولة العثمانية هى التى أثارت عصبية الشيعة عليها بحروبها لدولة إيران ، وما زالت السياسة تستخدم الدين لأهواء أهلها .

لاستوجب إفراد مجلد كبير ، والمنكر لذلك كالمنكر للشمس رأد الضحى .

بغض الروافض لبعض أهل البيت :

وأعجب من ذلك دعوى الرافضى حب أهل البيت والعمل بعلومهم والأخذ بالكتاب والسنة إن الروافض كاليهود يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ، وذلك لأن العترة بإجماع أهل اللغة تقال لأقارب الرجل ، وهم ينكرون نسب بعض العترة ، كرقية وأم كلثوم ابنتى رسول الله ﷺ ، ولا يعدون بعضهم داخلا فيها كالعباس عم رسول الله ﷺ وجميع أولاده ، وكالزبير بن صفية عمة رسول الله ﷺ ، ويبغضون كثيرا من أولاد فاطمة رضى الله عنها ، بل يسبونهم كزيد بن على بن الحسين ؛ وقد كان فى العلم والزهد على جانب عظيم . وكذا يحيى ابنه فإنهم أيضاً يبغضونه ، وكذا إبراهيم وجعفر ابنا موسى الكاظم رضى الله عنهم . وقد لقبوا الثانى بالكذاب ، مع أنه كان من

أكابر الأولياء ، وعنه أخذ أبو يزيد البسطامى ، ولقبوا بالكذاب أيضا جعفر بن على أخا الإمام الحسن العسكرى . ويعتقدون أن الحسن بن الحسن المثنى ، وابنه عبد الله المحض ، وابنه محمد الملقب بالنفس الزكية ارتدوا — حاشاهم — عن دين الإسلام .

وهكذا اعتقدوا فى إبراهيم بن عبد الله ، وزكريا بن محمد الباقر ، ومحمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن ، ومحمد بن القاسم بن الحسن ، ويحيى بن عمر الذى كان من أحفاد زيد بن على بن الحسين ، وكذلك فى جماعة حسينيين وحسنيين كانوا قائلين بإمامة زيد بن على بن الحسين ، إلى غير ذلك مما لا يسعه المقام . وهم حصروا حبهم بعدد منهم قليل ، كل فرقة منهم تخص عددا وتلعن الباقين ، هذا حبهم لأهل البيت والمودة فى القربى المسئول عنها ، على أن الحب ليس عبارة عن لطم الخدود وشق الجيوب ، وهتك سادة الأمة فى كل عام . وما أحسن ما قال الأخرس فى ذلك :

هتكوا الحسين بكل عام مرة   وتمثلوا بعداوة وتصوروا

ويلاه من تلك الفضيحة إنها   تطوى وفى أيدى الروافض تنشر

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وأين أهل الابتداع من الاتباع ؟

زعم الرافضة تحريف القرآن :

ادعوا أنهم أخذوا دينهم من الكتاب والسنة وأقوال العترة ، كذبوا والله فى ذلك ، فإن الكتاب الكريم محرف بزعمهم قد أسقطوا منه نحو ثلثه ، كما صرحت بذلك كتبهم ، فلا يعبأون به ولا يعرجون عليه ولا يقيمون له وزنا ، وأنه مخلوق لا ينزهونه . وهذا شأن الكتاب لديهم . وأما السنة فعندهم أن الصحابة ارتدوا جميعا عن دين الإسلام ، إلا سلمان وعددا يسيرا معه لا يبلغون العشرة ، بسبب عدم قيامهم بنص الغدير على زعمهم .

الكتب المعتمدة عند الشيعة الأمامية:

وأما العترة. فاعلم أن الروافض زعموا أن أصح كتبهم أربعة:
الكافي، وفقه من لا يحضره الفقيه، والتهذيب، والاستبصار:
وقالوا: إن العمل بما في الكتب الأربعة من الأخبار واجب.
وكذا بما رواه الامامي ودونه أصحاب الأخبار منهم. نص عليه
المرتضى وأبو جعفر الطوسي، وفخر الدين الملقب عندهم بالمحقق
الحلي وهو باطل، لأنها أخبار آحاد وأصحها الكافي، ومنهم من
قال أصحها فقه من لا يحضره الفقيه، وقال بعض المتأخرين منهم
الناقد لكلام المتقدمين: أحسن ما جمع من الأصول كتاب
الكافي للكليني والتهذيب والاستبصار. وكتاب من لا يحضره
الفقيه حسن. وقد طالعت في بعضها

وما زعموه من الصحة باطل من وجوه، لأن في أسانيدها من
هو من المجسمة كالهشامين وشيطان الطاق المعبر عنه لديهم بمؤمنه،
وأمثال هؤلاء ممن اعترف الرافضة أنفسهم باتصافهم بما ذكرنا.

ومنهم من أثبت الجهل لله في الأزل؛ كزرارة بن أعين،
والأحولين، وسليمان الجعفري، ومحمد بن مسلم وغيرهم (ومنهم)
فاسد المذهب كابن مهران وابن بكير؛ وجماعة أخرى (ومنهم)
الوضاع كجعفر القزاز وابن عياش. (ومنهم) الكذاب كمحمد
ابن عيسى. (ومنهم) الضعفاء، وهم كثيرون. (ومنهم) المجاهيل
وهم أكثر كابن عمار وابن سكرة (ومنهم) المستور حاله كالبلقسي
وقاسم الخراز وابن فرقد وغيرهم؛ وهؤلاء رواة أصح كتبهم.
وقد اعترف الطوسي بنفي وجوب العمل بكثير من أحاديثهم
التي صرحوا بصحتها، والكليني يروي عن ابن عياش،
وهو كذاب.

والطوسي يروي عمن يدعي الرواية عن إمام، مع أن غيره
يكذبه كابن مسكان، فإنه يدعي الرواية عن الصادق وقد كذبه
غيره، ويروي عن ابن المعلم وهو يروي عن ابن مابويه الكذوب
صاحب الرقعة المزورة؛ ويروي عن المرتضى أيضاً، وقد طلبا
العلم معاً وقرآ على شيخهما محمد بن النعمان وهو أكذب من

مسيلمة ، وقد جوز الكذب لنصرة المذهب ، والكلام على أكاذيبهم وفاسد رواياتهم يطول ، والمقصود تكذيب قول الرافضى أنهم تلقوا علوم العترة .

تعبد الإمامية بالرقاع الصادرة من المهدى المنتظر :

نعم إنهم أخذوا غالب مذهبهم — كما اعترفوا — من الرقاع المزورة التى لا يشك عاقل أنها افتراء على الله ، والعجب من الروافض أنهم سموا صاحب الرقاع بالصدوق وهو الكذوب ، بل إنه عن الدين المبين بمعزل .

كان يزعم أنه يكتب مسألة فى رقعة فيضعها فى ثقب شجرة ليلا ، فيكتب الجواب عنها المهدى صاحب الزمان بزعمهم ، فهذه الرقاع عند الرافضة من أقوى دلائلهم ، وأوثق حججهم فتبا . . . . . .

واعلم أن الرقاع كثيرة : منها رقعة على بن الحسين بن موسى بن مابويه القمى ، فإنه كان يظهر رقعة بخط الصاحب

فى جواب سؤاله ، ويزعم أنه كاتب أبا القاسم بن أبى الحسين ابن روح أحد السفرة على يد على بن جعفر بن الأسود ، أن يوصل له رقعته إلى الصاحب فأوصلها إليه ، فزعم أبو القاسم أنه أوصل رقعته إلى الصاحب (أى المهدى) وأرسل إليه رقعة زعم أنها جواب صاحب الأمر له .

ومنها رقاع محمد بن عبد الله بن جعفر بن حسين بن جامع ابن مالك الحريرى أبو جعفر القمى ، كاتب صاحب الأمر ، سأله مسائل فى أبواب الشريعة . قال : قال لنا أحمد بن الحسين : وقفت على هذه المسائل من أصلها ، والتوقيعات بين السطور . ذكر تلك الأجوبة محمد بن الحسن الطوسى ، فى كتاب الغيبة ، وكتاب الاحتجاج .

والتوقيعات خطوط الأئمة بزعمهم فى جواب مسائل الشيعة وقد رجحوا التوقيع على المروى بالإسناد الصحيح لدى التعارض .

قال ابن مابويه فى الفقه بعد ذكر التوقيعات الواردة من الناحية المقدسة فى (باب الرجل يوصى إلى رجلين) هذا التوقيع عندى

بخط أبي محمد بن الحسن بن على ، وفى الكافى للكليني رواية بخلاف ذلك التوقيع عن الصادق ، ثم قال : لا أفتى بهذا الحديث بل أفتى بما عندى من خط الحسن بن على .

(ومنها) رقاع أبي العباس جعفر بن عبد الله بن جعفر الحميرى القمى . (ومنها) رقاع أخيه الحسين ورقاع أخيه أحمد .

فهؤلاء كلهم كانوا يزعمون أنهم يكاتبون صاحب الأمر (المهدى المنتظر) و يسألونه مسائل فى أحكام الشرع ؛ وأنه يكتب جواب أسئلتهم كما ذكره النجاشى وغيره من علمائهم . وأبو العباس هذا قد جمع كتابا فى الأخبار المروية عنه ، وسماه (قرب الاسناد إلى صاحب الأمر) .

(ومنها) رقاع على بن سليمان بن الحسين بن الجهم بن بكير بن أعين أبو الحسن الرازى ، فانه كان يدعى المكاتبة أيضا و يظهر الرقاع . قال النجاشى: كان له اتصال بصاحب الأمر وخرجت له التوقيعات

هذه نبذة مما بنوا عليه أحكامهم ودانوا به وهى نغبة من

دأماء[١] وقد تبين بها حال دعوى الرافضى فى تلقى دينهم عن العترة والعبد كتب عليهم عدة ردود قبل نحو عشرين سنة ، وشكوا على إلى شاه العجم ناصر الدين « وهو خاذله » وكتب على إلى السلطان المخلوع ، فصادرت الحكومة ما وجدوه من كتبى المطبوعة فى الهند . وهذا الرافضى له علم بما جرى ؛ فلا لوم عليه إن نبذني بما نبذنى

طعن الشيخ محسن فى الوهابية

كل أحد يعلم أنه لاحقيقة له عندهم بل دل على جهله ؛ على أن زخرفة القبور حرام لدى كافة المسلمين وهم أول من ابتدع ذلك وسرى إلى غيرهم . والرافضة يصرحون فى كتبهم — وقد رأيته بعيني — أن زيارة أحد قبور الأئمة أفضل من سبعين حجة . ولذلك تراهم يطوفون عليها ، و يطلبون جميع حوائجهم منها . و بنوا عليها القباب من الذهب ، وعلقوا عليها كل

(١) أى كحسوة طائرة من بحر

ما يستطرف ، و يوقدون عليها كل ليلة ما يكفى لتنوير مدينة عظيمة (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)

ندب الحسين وسب الصحابة

واجتماع رجالهم فى النجف وغيره للطم الخدود ، وقراءة القصص المكذوبة وأكل النذور و إضلالهم لجهلة الأعراب أيضا لهذه العلة . ودينهم الذى يدينون به سب الصحابة وتكفيرهم و إضلالهم الأعراب بذلك ، و إلا فهم أجهل الناس بكل علم . وكم بحثت مع من ادعى منهم الاجتهاد فالقمتهم « ولله الحمد » بحجر السكوت ، واعترفوا بجهلهم لدى خاصتهم ، وهؤلاء الدجالون أضر على المسلمين من جميع المخالفين ، فإن اليهود والنصارى وعباد الأوثان لا يتمكنون من إغواء أحد من الأعراب ، ولا يمكنهم التقرب اليهم ، ولا تسمع منهم كلمة لديهم ، فالأعراب آمنون من شر هؤلاء .

أما هؤلاء الدجالون ، والضالون المضلون ، فقد تزيوا بزى المسلمين وشاركونا فى كثير من الشعائر ، فربما نفقت خزعبلاتهم

على عوام الأعراب لنيل شهواتهم ، والتوصل إلى مقاصدهم ، من جمع النذور ، وأخذ الخمس ، وأجرة قصص التعازى ونحو ذلك . مع حثهم ووعظهم على عدم طاعة الحكومة ولا إعانتها فى شىء . حتى حصل مقصودهم وأصبح العراق نيرانا تستعر . فكم أسالوا دماء المسلمين وأضروا الحكومة ضررا عظيما ، والحكومة لم تتنبه لذلك إلا بعد أن اتسع الخرق على الراقع

والرافضى يقول إن العراق كان ولم يزل دار الروافض . مع أني أعلم أن أقواما من القبائل كانوا على مذهب أهل السنة وفى هذا العصر ترفضوا منهم قبائل زبيد وهم عمدة قبائل الطرق قوة وشجاعة وكثرة عدد ، وهكذا قسم عظيم من شمر وقسم من بنى تميم فضلا عن العصور التى لم أدركها

ومن العجب من هذا الرافضى أنه عد فرقته من المتبعين. وجعل أهل السنة كالوهابية وأضرابهم من المبتدعين ، مع أن الروافض يبيحون شتم جمهور أصحاب رسول الله ﷺ بل يحكمون بارتدادهم إلا عددا يسيرا ، ويفضلون الأئمة الإثنى عشر على أولى

العزم من المرسلين ، و يقولون إن الأئمة يوحى اليهم ، و يقولون إن موتهم باختيارهم ، و يقولون بالرجعة أى بأن الأئمة سيرجعون إلى الدنيا و ينتصفون من أعدائهم أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ومن والاهما و يصلبونهم و يقتلونهم ، وان إمام الوقت هو محمد المهدى الذى غاب فى سرداب (سر من رأى) وأنه حى يرزق ، و يزعمون أنه إذا ذكر فى مجلس حضر فيقومون له ، واعتقدوا بتحريف القرآن ونقصانه وأن الله لايرى فى الآخرة وأنكروا كثيرا من ضروريات الدين .

ومع ذلك يقولون إنهم على الحق ، وغيرهم المتبعون لرسول الله ﷺ المحافظون على ماجاء به من الهدى ودين الحق هم المبتدعون ، وما أحسن ما قال فيه القائل [1]

ليس التقى هذى التقية إنما ... هذا النفاق وما سواه المنكر

وما تكلم به فى المتعة يكفى لإثبات ضلالهم ، وعندهم متعة

(١) نكتفى بالأول من الأبيات التى ذكرها هنا لأن ما بعدها طعن شديد لانستحسن نشره

أخرى يسمونها المتعة الدورية [1] و يروون فى فضلها ما يروون وهى أن يتمتع جماعة بامرأة واحدة ، فتكون لهم من الصبح إلى الضحى فى متعة هذا ، ومن الضحى إلى الظهر فى متعة هذا ، ومن الظهر إلى العصر فى متعة هذا ، ومن العصر إلى المغرب فى متعة هذا ، ومن المغرب إلى العشاء فى متعة هذا ، ومن العشاء إلى نصف الليل فى متعة هذا ، ومن نصف الليل إلى الصبح فى متعة هذا . فلا بدع ممن جوز مثل هذا النكاح أن يتكلم بما تكلم به و يسميه (الحصون المنيعة) و ينبز أهل الإيمان والتوحيد بما ينبزهم به (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ، و إن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور)

وقد ردوا على الرافضة قولهم بالمتعة فى كتب مفردة وقد ردها عليهم الجد فى تفسيره ، والردود العامة عليهم لا تحصى فالعلامة محمد أمين السويدى رد عليهم بأربع مجلدات (سماه الصارم الجديد)

(١) لدينا رسالة منه فى هذه المتعة التى هى أقبح الزنا وأضره

فى البدع ومخالفة هداية دينهم كما يصدق فى بعض آخر منهم قوله صلى الله عليه وسلم بأنه لا تزال طائفة من أمته ظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله ، ويقولون إن الذين اتبعوا سنن من قبلهم هم أهل البدع من الجهمية والروافض وغيرهم ، وإن القائمين بأمر الله هم المحافظون على الاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على الهدى الذى كان عليه السلف الصالح من قبل ظهور البدع ، ومن قاوم البدع بعد ظهورها من علماء الامصار وفى مقدمتهم الامام أحمد ابن حنبل رضى الله عنهم أجمعين

(ثالثاً) إن ما ذكره من العقائد التى زعم أن ابن تيمية وابن عبد الوهاب وأمثالهم أباحوا بها حمى التوحيد وهتكوا ستوره بإثباتهم لله تعالى صفة العلو والاستواء على العرش الخ إنما أثبتوا بها كسائر أهل السنة ما أثبته الله تعالى فى كتابه المعصوم وفى سنة خاتم أنبيائه المعصوم المبينة له . ذلك الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه خلافاً لغلاة الروافض المارقين من الاسلام بزعمهم أن كتاب الله المنزل على

محمد صلى الله عليه وسلم لم يكتبه كما نزل إلا على كرم الله وجهه ، وأنه كتمه عن المسلمين إلا أئمة أهل بيته ، وانه انتهى أخيراً إلى مهدى السرداب ، وأنه سيظهره فى آخر الزمان - وزعم الكثيرين منهم أن القرآن الذى تواتر بين المسلمين من عهد النبى وخلفائه الراشدين إلى اليوم قد حرفه الصحابة رضوان الله عليهم وكتموا بعضه وأن علياً وسائر أئمة البيت المعصومين عندهم قد وافقوهم على ذلك ظاهراً من باب التقية التى لا تنافى العصمة عندهم ، بل يباح بها الكذب وكذا الكفر كاستباحة كتمان القرآن ! ! ولكن منهم من بين الحقيقة سراً لبعض أتباعهم فظلوا يتناقلونها إلى أن أذاعها بعضهم وجمع نصوصها عنهم صاحب كتاب فصل الخطاب المطبوع فى إيران ، برأ الله كتابه وأهل بيت نبيه من هذا الكفر والضلال

وأما كونهم يثبتون تلك النصوص بمعانيها الحقيقية بدون تأويل ولكن مع إثبات التنزيه - فهم متبعون فى ذلك لسلف الامة الصالح غير مبتدعين له وإنما ابتدع التأويل الجهمية والمعتزلة

والصواقع بتقديم القاف لأحد علماء الهند مجلد ضخم رد عليهم أيضاً، والتحفة وللجد ثلاثة ردود مختصرة والفقير رد عليهم بنحو ألف ورقة فاغتصبتـه الحكومة وذلك بثلاث مصنفات أحدهـا المسمى بصب العذاب على من سب الأصحاب

يوم المولد سنة ١٣٢٨ عبد الله محمود شكرى

كنا نريد أن نكتفى فى إبطال دعاية الرافضى الشيخ ـ أو السيد أو الملا ـ محسن الأمير العاملى فى كتابه الجديد وصـد المسلمين عنها بمـا نشرناه فى الجزء الماضى ولـكننا رأينا أن نجيب دعوة من دعونا إلى التوسع فى ذلك بتأييد ما حكمنا به على صاحب هذا الـكتاب من الـكذب فى النقل والطعن فى السنة النبوية وغش المسلمين بعزوها إلى الوهابيـة وابن تيمية وابن تيمية وتلاميذه دون سائر المسلمين ـ وبالا كتفاء من النقل من الـكتب بمـا يؤيد مزاعمه وكتمان غيره من كلام من ينقل عنهم وكلام غيرهم فى الموضوع ، و بغير ذلك مما تدعوا اليه الحاجة ، و يوجبه درء الفتنة ، و إبطال البدعة ، فنقول

﴿ طعن العاملى فى الوهابية وابن تيمية ﴾

قال الرافضى العاملى فى أول صفحة ١٢٩ من كتابه تحت عنوان (اعتقاد الوهابية ومؤسس دعوتهم وقدوتهم ابن تيميـة فى الله تعالى وصفاته) ما نصه :

« اعلم أن الوهابية ومؤسس دعوتهم محمد بن عبد الوهاب وباذر بذورها أحمد بن تيمية وتلميذه ابن القيم وأتباعهم ادعوا أنهم موحدون ، وأنهم باعتقاداتهم التى خالفوا بها جميع المسلمين حموا جناب التوحيد أن يتطرق اليه شيء من الشرك ، وادعى الوهابيون أنهم هم الموحدون وغيرهم من جميع المسلمين مشركون كما سيأتى ، ولـكن الحقيقة أن ابن تيمية وابن عبد الوهاب وأتباعهما قد أباحوا حمى التوحيد وهتكوا ستوره وخرقوا حجابه ونسبوا إلى الله تعالى مالا يليق بقدس جلاله تقدس وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً

« فأثبتوا لله تعالى جهة الفوق والاستواء على العرش الذى هو فوق السموات والأرض ، والنزول إلى سماء الدنيا ، والمجيء

والقرب وغير ذلك بمعانيها الحقيقية ، وأثبتوا لله تعالى الوجه واليدين واليد اليمنى واليد الشمال والأصابع والكف والعينين كلها بمعانيها الحقيقية من دون تأويل ، وهو تجسيم صريح

« وحملوا ألفاظ الصفات على معانيها الحقيقية فأثبتوا لله تعالى المحبة والرحمة والرضا والغضب وغير ذلك بمعانيها الحقيقية من غير تأويل ، وأنه تعالى يتكلم بحرف وصوت فجعلوا الله تعالى محلا للحوادث وهو يستلزم الحدوث كما بين فى محله من علم الكلام

« أما ابن تيمية فقال بالجهة والتجسيم والاستواء على العرش حقيقة والتكلم بحرف وصوت وهو أول من زقا بهذا القول وصنف فيه رسائل مستقلة كالعقيدة الحموية والواسطية وغيرهما ، واقتفاه فى ذلك تلميذه ابن القيم وابن عبد الهادى وأتباعهم . ولذلك حكم علماء عصره بضلاله وكفره ، وألزموا السلطان بقتله أو حبسه ، فأخذ إلى مصر ونوظر فحكموا بحبسه فحبس وذهبت نفسه محبوساً بعد ما أظهر التوبة ثم نكث . ونحن ننقل ماحكوه

عنه فى ذلك وما قالوه فى حقه لتعلم ما هى قيمة ابن تيمية عند العلماء .

« قال أحمد بن حجر الهيتمى الشافعى صاحب الصواعق فى كتابه (الجوهر المنظم فى زيارة القبر المعظم) فى جملة كلامه الآتى فى فصل الزيارة : أن ابن تيمية تجاوز إلى الجناب المقدس وخرق سياج عظمته بما أظهره للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم الخ

« وقال ابن حجر أيضاً فى (الدرر الكامنة) على ما حكى : ان الناس افترقت فى ابن تيمية (فمنهم) من نسبه إلى التجسيم لما ذكره فى العقيدة الحموية والواسطية وغيرهما من ذلك بقوله ان اليد والقدم والساق والوجه حقيقية لله ، وانه مستو على العرش بذاته . فقيل له يلزم من ذلك التحيز والانقسام . فقال أنا لا أسلم ان التحيز والانقسام من خواص الاجسام فألزم بأنه يقول بالتحيز فى ذات الله الخ »

أقول حسبى هذه الجملة من نقول الرافضى نموذجاً على كذبه

في نقوله ومزاعمه واقتصار في النقل على ما يوافق هواه ، ويؤيد دعايته ودعواه ، كما يفعل دعاة النصرانية (المبشرون) فيما ينقلونه من القرآن العظيم وكتب الحديث وغيرها من كتب المسلمين لتشكيكهم في الدين ثم تحويلهم عنه إن لم يكن إلى النصرانية فالى الالحاد والزندقة ، لأنهم يفضلونها على الاسلام الذى جاء بتوحيد الله تعالى وتنزيهه وبكون المسيح عليه السلام نبيه جعله وأمه آية للناس بحملها به من نفخ روح الله جبريل عليه السلام الخ – كما فعل أمثالهم أعداء الاسلام من يهود الحجاز عندما سألهم مشركو مكة عن دينهم ودين محمد أيهما الحق ؟ فشهدوا لهم بأن دين الوثنية وعبادة الأصنام هو الحق وبان دين محمد وهو التوحيد والبعث والشهادة بالرسالة لموسى عليه السلام وغيره من رسل الله هو الباطل ! ! كذلك يفضل هذا الرافضى البدعة على السنة وعلى ظاهر القرآن أيضاً

بيان تقول العاملي على ابن تيمية والوهابية

زعم الرافضى العاملي المتعصب أن أول من زقا بهذه العقائد

أى صاح بها ودعا اليها هو ابن تيمية وتبعه بها تلميذاه ابن القيم وابن عبد الهادي ولذلك حكم علماء عصره بضلاله وكفره وألزموا السلطان بقتله أو حبسه الخ

أقول (أولا) أن الوهابية يدعون بحق أنهم موحدون وحامون لحمى التوحيد من تطرق الشرك ، وكان يدعى هذه الدعوى بحق من قبلهم شيخ الاسلام ، وعلم أهل السنة الأعلام ، وهادم أركان بدع الروافض وغيرهم من المبتدعة أرباب الخرافات والأوهام ، وماحق شبهات الفلاسفة ، وضلالات الكفرة

(ثانياً) أن الوهابية لم يدعوا انهم هم الموحدون وحدهم وأن غيرهم من جميع المسلمين مشركون كما افترى عليهم هذا الرافضى المتعصب وغيره ، بل لم يدعوا أنهم فرقة أو أهل مذهب مستقل حتى يصفوا أنفسهم بوصف من دون سائر المسلمين وانما يقولون كما يقول غيرهم من العلماء بتوحيد الله الذى دعت اليه جميع رسله إن المسلمين قد صدق فى بعضهم حديث نبيهم الثابت فى الصحاح من اتباعهم سنن من قبلهم من أهل الكتاب

وأتباعهم من الروافض بشبه تنزيه الله تعالى عن التجسيم والتشبيه ؛ وكان أبو الحسن الاشعرى من المعتزلة المتأولين ثم رجع عن أشهر قواعد الاعتزال واتبع فيها أهل السنة وظل على ما اعتاد من بعض تأويلات الاعتزال حتى صفا له مذهب أهل السنة من الشوائب ورجع إلى مذهب السلف كما صرح به فى آخر كتابه المسمى بالإبانة ، ولكن عدوى التأويل المبتدع سرت إلى كبار النظار من أتباعه فجرى لبعض أساطينهم ماجرى له من رجوعهم إلى مذهب السلف فى أواخر أعمارهم أو قبل ذلك كما جرى للامام الجوينى والامام الغزالى وغيرهما من المتقدمين ، ولشيخنا الأستاذ الامام من المتأخرين

وأما شبهة المبتدعة المتأولين فهى تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه التى يعبرون عنها فى تأويل بعض الصفات بالتجسيم والتحيز وغيرهما من لوازم الاجسام ؛ فبهذه الشبهة عطلوا أكثر صفات الله تعالى حتى صارت عندهم فى حكم العدم . والسلف الصالح أعلم منهم بمعانى النصوص و بما يجب الايمان به وأشد

منهم تنزيهاً للرب تبارك وتعالى ، وقد كاد ذلك يخفى على أهل القرون الوسطى لقصرهم علماء السنة السلفيين على علوم القرآن والسنة وإعراضهم عن علم الكلام وعلم الفلسفة المبتدع ونظرياته الجدلية الخلابة ، حتى ظهر شيخ الإسلام الامام ابن تيمية فنظر بعد الإحاطة بعلوم السنة والنقل المروية والمدونة فى الكلام والفلسفة والمنطق وأظهر كثيراً من فساد نظرياتها وأثبت صحة مذهب السلف من طريق النقل وطريق العقل جميعاً

والقاعدة فى ذلك أن تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه قد ثبت بدليل العقل والنصوص القطعية من النقل كقوله تعالى (ليس كمثله شىء) وأن السلف يجمعون بين الأمرين : تنزيه الرب سبحانه ووصفه بما وصف به نفسه من الرحمة والمحبة والرضا والغضب وغير ذلك وعدم التحكم فى التفرقة بين هذه الصفات والصفات العلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام : فيقولون إن رحمته تعالى رحمة حقيقية ليست كرحمة البشر كما أن علمه ليس كعلم البشر وسمعه ليس كسمع البشر وغيرها الخ . وكذلك

يقول السلف فى استوائه تعالى على عرشه أنه استواء يليق بجلاله وتنزهه عن مشابهة خلقه ليس كاستواء الملوك على عروشها ؛ ولا نتحكم بعقولنا بتأويل ذلك كزعم من قالوا: الاستواء بمعني الاستيلاء مثلا ـ وستأتى أقوالهم فى ذلك

ذلك بأن مبتدعة التأويل يقيسون الخالق على المخلوق فيزعمون أن المعاني الحقيقية لتلك الصفات الإلهية تستلزم التشبيه الممنوع عقلا ونقلا فوجب إخراج الألفاظ الدالة عليها عن مدلولها وحملها على معانى مجازية ليتفق العقل مع النقل . وفاتهم أن تلك المعانى المجازية هى مستعملة فى المخلوقات كالمعانى الحقيقية فالذين أولوا رحمة الله تعالى بإحسانه إلى خلقه فاتهم أن الإحسان المستعمل فى اللغة تعبيراً عن صفات المخلوقين وأعمالهم محال على الله تعالى أيضاً إذ هو عبارة عن بسط يد بعطاء أو إنقاذ غريق من البحر مثلا ؛ وهذا لايكون إلا بحركات الأعضاء فهو يستلزم التشبيه أيضاً

كما يلزم ذلك متكلمى الأشعرية الذين وافقوا المعتزلة والجهمية

والرافضة فى تأويل ما عدا الصفات الثمانية التى يسمونها صفات المعاني . فان العلم الذى هو أبعد هذه الصفات عن الحاجة إلى التأويل عندهم هو عبارة فى اللغة المستعملة فى البشر عن انطباع صور المعلومات فى ذهن العالم بهـا ، والله تعالى منزه عن ذلك . وعلمه أزلى ليس له صورة ذهنية للمعلومات التى ثبت الحدوث لماعدا ذاته وصفاته الذاتية سبحانه وتعالى منها ، فى صفات الأفعال خلاف معروف . فوصفه تعالى بالعلم بمعناه الحقيقى المعروف فى لغة البشر يستلزم تشبيهه بالبشر أيضاً ، ولذلك أنكر أئمة النار من المبتدعة جميع صفات الله تعالى وعطلوها عن معانيها ومنهم هذا الرافضى وأمثاله . ومذهب سلف الأمة يهدم هذه البدعة وشبهتها من أساسها بما بينه به شيخ الإسلام ابن تيمية أوضح بيان كما نقلناه عنه وعن غيره مراراً . وخلاصته أننا نثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من صفاته وأفعاله بمعانيها الصحيحة المتبادرة من اللغة مع القول بالتنزيه ككون محبة الله لأنبيائه وأوليائه ورحمته بعباده ليستا كمحبة المخلوقين

ورحمتهم فيما بينهم كما أن علمه تعالى ليس كعلمهم – فهذا هو اعتقاد المسلمين المؤمنين الذين يتلقون دينهم من كتاب ربهم وما صح عن رسوله اليهم صلى الله عليه وسلم إثباتاً ونفياً من غير تحكيم للأهواء والبدع بشبهة قياس الخالق على المخلوق والرب على العبد

ومثل ذلك إثبات صفة العلو والفوقية له تعالى فقد سمى الله تعالى نفسه (العلى الكبير) فيقول سلف الأمة الصالح إن علوه تعالى على جميع خلقه ليس كعلو رأس الإنسان على جثته ولا علو من فى الغرفة على من فى أسفل الدار ، كما يقولون مثل ذلك فى اسمه الكبير والعظيم أى أنه ليس بمعنى كبر الأجسام وعظمتها ككون الجبل أكبر من الصخرة مثلا . وقد شرحنا هذه المسألة من طريق العقل والنقل والعلم الكونى مراراً وأثبتنا أن العلو الحسى بين الأجسام أمر نسبى ليس له حقيقة ثابتة ، فكيف نستنبط من لوازمه ما نعطل به صفة الله التى وصف بها نفسه فى الآيات والأحاديث الصحيحة التى أخذها السلف الصالح بالتسليم من غير جدل ولا تعطيل ولا تأويل . وقد سبق إلى ذلك شيخ

الإسلام فى كتابه العرش وغيره فبين أن العلو الحقيقى المطلق لا يثبت إلا لله العلى الكبير القاهر فوق عباده وما عداه فعلو نسبى ولا سيما على القول بكروية العالم

وقد اشتهر فى كتب العقائد وعلم الكلام القديمة والحديثة للأشاعره أن أهل السنة انقسموا فيما عدا صفات المعانى الذاتية إلى سلف يفوضون حقيقة تلك الصفات إلى الله تعالى ويرونها كما جاءت فى الكتاب والسنة مع تنزيه الرب تعالى عن الشبه والمثل – وخلف يؤولونها تأويلا يوافق قواعد اللغة التى وردت بها . وقال بعضهم: إن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم ولكن المحققين المنصفين منهم قالوا إن مذهب السلف هو الأسلم والأعلم والأحكم . بل قال أبو حامد الغزالى إن علم الكلام ليس من علوم الدين الأصلية وإنما هو ضرورة ألجأ العلماء اليها الرد على المبتدعة والفلاسفة فيما خالفوا فيه ماجاء فى نصوص الدين القطعية فهو كحرس الحجيج الذى يحرسهم من قطاع الطريق إنما يجب ما وجد المعتدون على الحجيج فاذا لم يوجد من يعتدى

عليهم يستغنى عن الحرس لأنه ليس من أركان الحج ولا من واجباته ولا من سننه

نتيجة ما تقدم فى إبطال زعم الرافضى

زعم الرافضى العاملى أن ابن تيمية أول من أثبت ما ذكر من صفات الله تعالى بدون تأويل وتبعه بعض تلاميذه ثم الوهابية وأنهم خالفوا فى ذلك جميع المسلمين . وهذا كذب وافتراء وتضليل لعوام أهل السنة ، وتمهيد إلى جذبهم الى الرفض الذى من أصوله تعطيل صفات الله تعالى بالتأويل وجعله عز وجل كالعدم تعالى الله عما يقول المبتدعون علواً كبيراً . فما من صفة من تلك الصفات إلا وهى منصوصة فى القرآن أو فى الأحاديث النبوية الصحيحة : ولعل كل قارىء للقرآن أو سامع له من المسلمين قد قرأ أو سمع قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) وقوله (لما خلقت بيدى) وزعم الرافضى أن ابن تيمية يثبت لله تعالى يميناً وشمالا ونصوصه تدل على أنه يتبع الكتاب والسنة وإنما ثبت فيهما اليدين ولفظ اليمين فى قوله تعالى (والسموات مطويات بيمينه)

وثبت فى حديث مسلم والنسائى « وكلتا يديه يمين » والحديث فى إثبات الشمال لا يصح كما بينه الحافظ ابن حجر فى الفتح والحافظ البيهقى قبله فى كتابه (الاسماء والصفات) وكأن الرافضى لم يره - وسمع قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) وما فى معناها وقوله تعالى فى الملائكة (يخافون ربهم من فوقهم) وقوله (وجاء ربك والملك صفا صفا) وقوله عز وجل (وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب) الخ وليعلم القارىء أن ما عزاه هذا الرافضى إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه الأعلام ثم الوهابية مما ليس فى القرآن فهو فى الأحاديث الصحيحة كقوله ﷺ فى حديث البخارى ومسلم وغيرهما « ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا » الخ وأما الصوت فقد ذكر فيها البخارى عن ابن مسعود (رض) « إذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السموات شيئا فاذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت وعرفوا أنه الحق من ربهم ونادوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق » قال البخارى ويذكر عن جابر بن عبد الله عن عبد الله بن أنيس سمعت رسول الله ﷺ

يقول « يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان » .

أما حديث ابن مسعود فقد رواه البخارى فى كتاب التوحيد تعليقا موقوفا عليه ووصفه البيهقى فى الأسماء والصفات وغيره كما فصله الحافظ ابن حجر فى فتح البارى . وأما حديث عبد الله بن أنيس (بالتصغير) فذكر الحافظ فى شرحه من فتح البارى من أخرجه مسندا وروى البخارى بعده بسنده المتصل إلى أبى سعيد الخدرى (رض) قال قال النبى ﷺ « يقول الله يا آدم فيقول : لبيك وسعديك ، فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار » وذكر الحافظ فى شرحه له أن « ينادى » وقع مضبوطا للأكثر بكسر الدال وفى رواية أبى ذر بفتحها ، أى والثانية تحتمل من التأويل ما لاتحتمل الأولى .

وذكر الحافظ فى شرح الحديث الأول تأويل من أوله من الأشعرية ثم قال ما نصه (ص ٣٨٣ ج ١٣) : « وهذا حاصل

كلام من ينفى الصوت من الأئمة ويلزم منه أن الله تعالى لم يسمع أحداً من ملائكته ورسله كلامه بل ألهمهم إياه . وحاصل الاحتجاج للنفى الرجوع إلى القياس على أصوات المخلوقين لأنها التى عهد أنها ذات مخارج ولا يخفى ما فيه إذ الصوت قد يكون من غير مخارج كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة كما سبق . سلمنا لكن نمنع القياس المذكور وصفات الخالق لاتقاس على صفات المخلوق . وإذا ثبت الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة (وكان الحافظ قد بين غير ما فى البخارى منها) وجب الإيمان بها ثم إما التفويض وإما التأويل وبالله التوفيق » اهـ ،

وظاهر كلامه أنه يختار التفويض اتباعا للسلف .

ثم قال الحافظ فى شرح حديث أبى سعيد ما نصه (ص ٣٨٦ ج ١٣) : «واختلف أهل الكلام فى أن كلام الله تعالى هل هو بحرف وصوت أولا ؟ فقالت المعتزلة لا يكون الكلام إلا بحرف وصوت والكلام المنسوب إلى الله تعالى قائم بالشجرة ، وقالت الأشاعرة كلام الله ليس بحرف ولا صوت وأثبتت الكلام

النفسى ، وحقيقته معنى قائم بنفسه وإن اختلفت عنه العبارة كالعربية والعجمية ، واختلافها لا يدل على اختلاف المعبر عنه ، والكلام النفسى هو ذلك المعبر عنه . وأثبتت الحنابلة أن الله تعالى متكلم بحرف وصوت : أما الحروف فللتصريح بها فى ظاهر القرآن ، وأما الصوت فمن منع قال ان الصوت هو الهواء المنقطع المسموع من الحنجرة وأجاب من أثبته بأن الصوت الموصوف بذلك هو المعهود من الآدميين كالسمع والبصر ، وصفات الرب بخلاف ذلك ، فلا يلزم المحذور مع اعتقاد التنزيه وعدم التشبيه ، وأنه يجوز أن يكون من غير الحنجرة فلا يلزم التشبيه . وقد قال عبد الله بن أحمد بن حنبل فى كتاب السنة سألت أبي عن قوم يقولون لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت . فقال لى أبى بل تكلم بصوت هذه الأحاديث تروى كما جاءت وذكر حديث ابن مسعود وغيره اه .

فهذه النقول من أحفظ الحفاظ صريحة فى أن إثبات هذا الصوت لكلام الله المنزه عن مشابهة أصوات الخلق هو مذهب

الإمام أحمد بن حنبل وأتباعه ، وأن دعوى الرافضى العاملى أن أول من قال به هو ابن تيمية وخالفه فيه جميع المسلمين إلا الوهابية كذب وافتراء ولا يزال جمهور أهل الحديث إلى اليوم يتبعون الإمام أحمد فى هذا ولا أقول يقلدونه بل يتبعون رسول الله ﷺ فيما صح من حديثه فيه كغيره . وأى فرق بين إثبات الكلام وإثبات الصوت وكل منهما ثابت للبشر ، وكذلك السمع والبصر وسائر الصفات . وهل على المؤمن الذى لا يحكم هواه ولا شبهاته النظرية ولا يقلد رجال مذهبه فى عقيدته إلا أن يثبت لله تعالى جميع ما أثبته له كتابه ورسوله من تنزيه وصفات لم يكن من وسيلة لتبليغها للبشر إلا لغاتهم التى وضعوها لصفاتهم مع نفى التشبيه والتمثيل ، على أننا لسنا هنا بصدد ترجيح مذهب الحنابلة وسائر أئمة السلف بل نحن فى صدد تكذيب الرافضى المتعصب فى زعمه أن هذا شىء افتجره ابن تيمية « فحكم علماء المسلمين بكفره » وقلده فيه بعض تلاميذه ثم الوهابية وخالفهم سائر المسلمين .

ولا يبعد أن يعنى الرافضى بالمسلمين الشيعة وحدهم أو مع

من سبقهم فى التأويل من مبتدعة الجهمية والمعتزلة الذين صارت الشيعة عيالا عليهم فى مخالفة النصوص بالتأويل – كما تقدم عن بعض متعصبيهم فى تفسير حديث افتراق هذه الأمة إلى ٧٣ فرقة إذ حاول جعل هذه الفرق كلها من الشيعة ليخرج أهل السنة عن عداد أمة محمد ﷺ .

وجملة القول : أن ما طعن به الرافضى العاملى على ابن تيمية والوهابية من إثبات ما ورد فى الكتاب والسنة من صفات الله تعالى بدون تأويل هو أصل مذهب أهل السنة من الصحابة والتابعين وأئمة الأمصار، كما ثبت فى كتب السنة التى صنفت قبل ابن تيمية وفى عصره وبعده ، ومنها كتب خاصة فى إثبات علو الله تعالى على خلقه . وهذا الرافضى أراد أن يطعن فى أهل السنة ويبطل عقائدهم وأن يروج طعنه عند عوام المسلمين لحصر مذهب السنة فى الوهابية وزعم أنه لاسلف لهم فيه إلا ابن تيمية وتلاميذه وأن علماء المسلمين كفروه لقوله بها ، والصحيح أن هؤلاء كانوا أظهر أنصار السنة كل فى عصره ، وهذا عصر الوهابية منذ ظهروا إلى اليوم

وإننا ننقل هنا صفوة ماأورد الحافظ ابن حجر فى شرحه للبخارى الذى هو عمدة المحدثين وجميع أهل السنة من عصره إلى اليوم فى مذهب أهل السنة فى صفات الله وهو ما كتبه فى شرح قول البخارى (باب وكان عرشه على الماء) الخ وذلك قوله بعد ذكر كثير من أقوال السلف وغيرهم وأقوال أهل اللغة فى معنى الاستواء على العرش وغيره . وهذا نصه :

(من ص ٣٤٢ و ٣٤٣ ج ١٣ من طبعة بولاق الأميرية)

وقد نقل أبو إسماعيل الهروى فى كتاب الفاروق بسنده إلى داود بن على بن خلف قال : كنا عند أبي عبد الله بن الأعرابى يعنى محمد بن زياد اللغوى فقال له رجل (الرحمن على العرش استوى فقال هو على العرش كما أخبر ، قال ياأبا عبد الله إنما معناه استولى فقال اسكت لا يقال استولى على الشىء إلا أن يكون له مضاد ومن طريق محمد بن احمد بن النضر الأزدى سمعت ابن الأعرابى يقول: أرادنى احمد بن أبى دؤاد أن أجد له فى لغة العرب (الرحمن على العرش استوى) بمعنى استولى . فقلت والله ماأصبت هذا .

وقال غيره لو كان بمعنى استولى لم يختص بالعرش لأنه غالب على جميع المخلوقات . ونقل محيي السنة البغوى فى تفسيره عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناه ارتفع. وقال أبو عبيدة والفراء وغيرهما بنحوه . وأخرج أبو القاسم اللالكائى فى كتاب السنة من طريق الحسن البصرى عن أمه عن أم سلمة أنها قالت «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والاقرار به إيمان والجحود به كفر» ومن طريق ربيعة ابن أبي عبدالرحمن أنه سئل كيف استوى على العرش ؟ فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول وعلى الله الرسالة وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم وأخرج البيهقى بسند جيد عن الأوزاعى قال: كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله على عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته ، وأخرج الثعلبى من وجه آخر عن الأوزاعى أنه سئل عن قوله تعالى (ثم استوى على العرش) فقال: هو كما وصف نفسه . وأخرج البيهقى بسند جيد عن عبد الله بن وهب قال : كنا عند مالك فدخل رجل فقال ياأبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى)

كيف استوى ؟ فأطرق مالك فأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال (الرحمن على العرش استوى) كما وصف به نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع . وما أراك إلا صاحب بدعة أخرجوه ، ومن طريق يحيى بن يحيى عن مالك نحو المنقول عن أم سلمة لكن قال فيه «والاقرار به واجب والسؤال عنه بدعة» وأخرج البيهقى من طريق أبى داود الطيالسى قال: كان سفيان الثورى وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحددون ولا يشبهون ويروون هذه الأحاديث ولا يقولون «كيف» قال أبو داود وهو قولنا. قال البيهقى وعلى هذا مضى أكابرنا ، وأسند اللالكائى عن محمد بن الحسن الشيبانى قال اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التى جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ فى صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير فمن فسر شيئاً منها وقال بقول جهم فقد خرج عما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه وفارق الجماعة لأنه وصف الرب بصفة لا شيء ، ومن طريق الوليد بن مسلم سألت الأوزاعى ومالكا والثورى والليث بن سعد عن

الأحاديث التي فيها الصفة فقالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف

وأخرج ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي عن يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول : لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر ، وأما قبل قيام الحجة فانه يعذر بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ، ولا الرو ية والفكر ، فنثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال (ليس كمثله شيء) وأسند البيهقي بسند صحيح عن أحمد ابن أبي الحواري عن سفيان بن عيينة قال : كل ماوصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه ، ومن طريق أبي بكر الضبعي قال مذهب أهل السنة في قوله (الرحمن على العرش استوى) قال بلا كيف ، والآثار فيه عن السلف كثيرة وهذه طريقة الشافعي وأحمد بن حنبل . وقال الترمذي في الجامع عقب حديث أبي هريرة في النزول : وهو على العرش كما وصف به نفسه في كتابه كذا قال غير واحد من أهل العلم في هـذا الحديث وما يشبهه من الصفات . وقال في باب فضل الصدقة : قد ثبتت هذه

الروايات فنؤمن بها ولا نتوهم ولا يقال « كيف » كذا جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم أمروها بلا كيف وهذا قول أهل العلم من أهـل السنة والجماعة. وأما الجهمية فأنكروها وقالوا هذا تشبيه . وقال اسحق بن راهو به إنما يكون التشبيه لو قيل يد كيد وسمع كسمع .

وقال في تفسير المائدة قال الأئمة : نؤمن بهذا الحديث من غير تفسير ؛ منهم الثوري ومالك وابن عيينة وابن المبارك ، وقال ابن عبد البر : أهل السنة مجمعون على الاقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة . ولم يكيفوا شيئاً منها وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج [1] فقالوا من أقر بها فهو مشبه ، فسماهم من أقر بها معطلة

« وقال إمام الحرمين في الرسالة النظامية اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر. فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن. وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف

(١) أي ومثلهم الشيعة ، فانهم أخذوا التاويل عن الجهمية والمعتزلة :

عن التأويل و إجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الله تعالى ، والذى نرتضيه رأيا وندين الله به عقيدة اتباع سلف الأمة، للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة فلو كان تأويل هذه الظواهر حتما لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة ، و إذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الاضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع . اهـ

« وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث وهم فقهاء الأمصار كالثورى والاوزاعى ومالك والليث ومن عاصرهم وكذا من أخذ عنهم من الأئمة فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة ؟

فهذا بعض نصوص أئمة أهل السنّة من علماء السلف قبل وجود ابن تيمية بعدة قرون . و اننا ننقل بعض ماقاله ابن تيمية نفسه فى العقيدة الحموية نفسها ، التى زعم الرافضى أنه خالف فيها جميع المسلمين بإثبات الصفات الواردة بغير تأويل ، ليظهر للناس مقدار جرأته على الكذب فى سبيل إثبات الرفض والتعطيل ،

ولإزاغة المسلمين عن الكتاب والسنة بالافك والتضليل . قال شيخ الاسلام كما فى (ص ٤٢٧ وما بعدها من مجموعة الرسائل الكبرى المطبوعة بمصر) بعد سرد بعض النصوص ، وأقوال أهل السنة والمبتدعة فيها ما نصه :

« ثم القول الشامل فى جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، وبما وصفه به السابقون الاولون لا يتجاوز القرآن والحديث . اهـ

« قال الإمام أحمد رضى الله عنه : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ، لا يتجاوز القرآن والحديث . ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ، ليس فيه لغز ولا أحاجى بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه . وهو سبحانه مع ذلك (ليس كمثله شيء) فى نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ، ولا فى أفعاله ، فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة ، وله أفعال حقيقة ، فكذلك له صفات حقيقية ، وهو (ليس كمثله شيء) لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله .

وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً ، فإن الله منزه عنه حقيقة ، وأنه سبحانه مستحق للكمال الذى لاغاية فوقه ، وممتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه ، واستلزام الحدوث سابقة العدم ، ولافتقار المحدث إلى محدث ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى .

« ومذهب السلف بين التعطيل و بين التمثيل ، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه ، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ، فيعطلوا أسماءه الحسني ، وصفاته العليا ، ويحرفوا الكلم عن مواضعه ، و يلحدوا فى أسماء الله وآياته ، وكل واحد من فريقى التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل .

« أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق ، ثم شرعوا فى نفى تلك المفهومات ، فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل ، مثلوا أولا وعطلوا آخراً ، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم ، وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء

والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى ، فإنه إذا قال القائل: لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا، وكل ذلك محال ، ونحو ذلك من الكلام ، فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأى جسم كان على أى جسم كان ، وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم ، أما استواء يليق بجلال الله و يختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الثلاثة، كما يلزم سائر الاجسام وصار هذا مثل قول المثل : إذا كان للعالم صانع ، فإما أن يكون جوهراً أو عرضاً ، إذ لا يعقل موجود إلا هذان . أو قوله : إذا كان مستويا على العرش ، فهو مماثل لاستواء الانسان على السرير أو الفلك، إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا . فإن كلاهما مثل ، وكلاهما عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه ، وامتاز الأول بتعطيل كل مسمى للاستواء الحقيقى ، وامتاز الثانى بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين .

« والقول الفاصل: هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله و يختص به ، فكما أنه موصوف

بأنه بكل شىء عليم ، وعلى كل شىء قدير ، وأنه سميع بصير ، ونحو ذلك ، ولا يجوز أن نثبت للعلم والقدرة خصائص الاعراض التى لعلم المخلوقين وقدرهم ، فكذلك الله سبحانه هو فوق العرش ، ولا نثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ولوازمها .

« واعلم أنه ليس فى العقل الصريح ولا فى النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلا ، لكن هـذا الموضع لا يتسع للجواب عن الشبهات الواردة عن (؟) الحق ، فمن كان فى قلبه شبهة وأحب حلها فذلك سهل يسير .

« ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة من المتأولين هذا الباب فى أمر مريج ، فإن من ينكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها ، وأنه مضطر فيها إلى التأويل ، ومن يحيل أن لله علما وقدرة ، وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك ، يقول إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل ، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقى فى الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك ، وأنه مضطر إلى التأويل ، ومن يزعم أن الله ليس فوق

العرش يزعم أن العقل أحال ذلك ، وأنه مضطر إلى التأويل .

« ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء : أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل ، بل منهم من يزعم أن العقل جوز أو أوجب ما يدعى الآخر أن العقل أحاله .

« يا ليت شعرى بأى عقل يوزن الكتاب والسنة ؟ فرضى الله عن مالك بن أنس الإمام حيث قال : أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هـذا ؟ وكل من هؤلاء مخصوم بمثل ما خصم به الآخر ، وهو من وجوه :

(أحدها) بيان أن العقل لا يحيل ذلك .

(الثانى) أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل .

(الثالث) أن عامة هذه الأمور قد علم أن الرسول جاء بها بالاضطرار ، كما أنه جاء بالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان . فالتأويل الذى يحيلها عن هذا بمنزلة تأويلات القرامطة والباطنية فى الحج والصوم والصلاة وسائر ما جاءت به النبوات ، على أن

الأساطين من هؤلاء والفحول منهم معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين فى عامة المطالب الإلهية . و إذا كان هكذا ، فالواجب تلقى علم ذلك من النبوات على ما هو عليه . ونحن نذكر من ألفاظ السلف بأعيانها ، وألفاظ من ننقل مذهبهم بحسب مايحتمله هذا الموضع ما يعلم به مذهبهم » .

ثم شرع بعد هذا فى نقل أقوال أئمة السلف فى ذلك بنصوصها، وحسبنا الخلاصة التى نقلناها منها عن شرح البخارى للحافظ ابن حجر ، فهى تلقم الرافضى الحجر ، وتبين لأهل السنة ،ولذى العقل والإخلاص من الشيعة كذبه وافتراءه . وهذا التحقيق من شيخ الإسلام فى مسألة الصفات الجامع بين العقل والنقل ، يهدم كل شبهات المبتدعة والمتكلمين المخالفة لها ، ومزاعم من رماه بالتجسيم والتشبيه .

نموذج من تقوله فى الطعن على ابن تيمية :

أول شىء نقله الرافضى العاملى فى طعن العلماء على شيخ الإسلام ابن تيمية ، كلمة للفقيه أحمد بن حجر الهيتمى المكى ، وهى دعوى التجسيم .

فنقول فى الكلام عليها :

(أولا) هل يعد الرافضى العاملى كلام ابن حجر هذا فى الدين ورجاله حكما صحيحاً مع علمه بما قاله فى كتاب الصواعق ، وفى كتابه مناقب معاوية فى بدع الشيعة وتضليلهم الخ . أم يقبل قوله فى ابن تيمية وحده دون معاوية ، ودون الشيعة كلهم ، كما هى عادة أمثاله من المتعصبين الذين لا يقبلون إلا ما يوافق أهواءهم ؟

نحن لا ننكر أن ابن حجر الهيتمى طعن فى ابن تيمية ،وما هو من طبقته فى علم من العلوم لا علوم الحديث ولا التفسير ولا الأصول ولا الكلام ولا الفقه أيضاً ، فابن حجر هذا فقيه مقلد لمذهب

الشافعى ، غاية شأوه بيان ما قاله من قبله ، و بيان الراجح من المرجوح والصحيح وغيره ، وأما ابن تيمية فمن أكبر حفاظ السنة ، ومع كون طبقته فى فقه الحنابلة أعلى من طبقة ابن حجر فى فقه الشافعية فهو حافظ لفقه الأئمة كلهم ، ومن أهل الترجيح بينها ، بل هو مجتهد مطلق ، كما اعترف له أهل الإنصاف من علماء عصره ومن بعدهم ، و إن أنكر عليه بعضهم بعض المسائل المخالفة لمذاهبهم ، وما من إمام مجتهد إلا وقد أنكر عليه المخالفون بعض أقواله ، وهم خير ممن يقلدوه الرافضةو يعدونه من المعصومين فى عدم مخالفته فى شيء مما ثبت عنه .

ومع هذا نعتقد أن ابن حجر الهيتمى هذا لم يطلع على كتبه و إنما قال فيه ما قال اعتماداً على ما أشاع عنه خصومه من المبتدعة ومتأولة الأشاعرة ومغرورى المتصوفة ؛ فمن أعظم سيئاته عند هؤلاء : رده على الشيخ محيي الدين بن عربى ، و بيانه لضلالة وحدة الوجود المشهورة عنه وعن أمثاله .

وأما قوله بإظهاره للعامة على المنابر دعوى الجهة والتجسيم ، فهو مقلد فيه لأولئك الخصوم فى تسميتهم صفة العلو لله تعالى جهة مستلزمة للتحيز والتشبيه للتنفير والتشهير بشناعة الألفاظ ، كتسميتهم لإثبات الاستواء على العرش والنزول إلى سماء الدنيا ونحوهما تجسيما ، أى بطريق اللزوم ، فإن كان يلزم من إثبات نصوص الكتاب والسنة ما ذكروا كما زعموا ، فهل يترك المسلمون نصوص الكتاب والسنة لأجل نظرياتهم فى هذه اللوازم ؟ ثم هل يقولون بضلال سلف الأمة الصالحين ، وحصر الهداية الدينية فى المبتدعة المتأولين ، مع العلم بأن مذهب السلف ونصيرهم ابن تيمية : نفى هذه اللوازم كلها ؟

هذا عين ما ناظره فيه العلماء المقلدون الذين شكوا أمره إلى سلطان مصر . قالوا : إنه يذكر للعوام آيات الصفات وأحاديثها من غير تأويل ، وطلبوا منه هو عدم التصريح بذلك للعوام ، فأبى عليهم ذلك ، لأنه كتمان لما أنزله الله ، والله تعالى يقول فى كتابه (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله و يلعنهم

اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحوا و بينوا ، فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) . وأى طعن فى الدين وجناية عليه أعظم من القول بوجوب كتمان صفات الله المنزلة فى كتابه ، بناء على أن المبتدعة ومغرورى المتكلمين قالوا بوجوب تأويلها.

وقد قال الرافضى العاملى بعد نقل ماذكر عن ابن حجر الهيتمى:

وقال ابن حجر أيضا فى (الدرر الكامنة) على ما حكى أن الناس افترقت فى ابن تيمية ، فمنهم من نسبه إلى التجسيم . الخ .

ونقول فى هذه الكلمة : (أولا) إن ابن حجر صاحب الدرر الكامنة ليس ابن حجر الهيتمى المكى ، كما يدل عليه قوله « أيضا » بل هو الحافظ ابن حجر العسقلاني وكتابه (الدرر الكامنة) تاريخ له فى أعيان المائة الثامنة ، وهو مشهور ، وإن جهله الرافضى العاملى المدعى — فما أجهل هذا الرافضى برجال أهل السنة وكتبهم !

(وثانيا) إن الحافظ ذكر فى تاريخه هذا ما تقوله الناس على ابن تيمية وما طعنوا به عليه كما يذكر هو وغيره من

المؤرخين مثل ذلك فى غيره من الأئمة حتى المعصومين عند الشيعة ولكنه هو يثنى عليه أجل الثناء . وقد رأيت كلامه فى الانتصار لمذهب الحنابلة ، وهو مذهب السلف فى الصفات الالهية ، ومنها صفة العلو ، وكذا فى مسألة الحرف والصوت فى شرحه للبخارى الذى نقلناه آنفا ، ولكن الرافضى يعمى عن رؤية ذلك و يوهم قراء كتابه أن الحافظ ابن حجر شيخ الاسلام ، وأستاذ أشهر العلماء والحفاظ فى عصره يطعن فى ابن تيمية ، ويقول بكفره لعدم تأويله للآيات والأحاديث الواردة فى صفات الرب تعالى، كما أوهم مثل ذلك فى الحافظ الذهبى ، إذ قال بعد ما تقدم نقله عنه فى ص ١٣٢ من كتابه ما نصه :

« ورد أقاويله و بين أحواله الشيخ ابن حجر فى المجلد الأول من الدرر الكامنة ، والذهبى فى تاريخه ، وغيرهما من المحققين » .

(وثالثا) ننقل من ترجمة الحافظ ابن حجر لابن تيمية ،

ترجمة الحافظ الذهبى فيها مايعرف به الحق من الباطل فى مزاعم هذا الرافضى الكذاب الذى يفترى على العلماء ، وينقل من كلامهم ما يوافق هواه ويكتم ما يخالف بدعته ، كما هو شأن أمثاله من سلفه الطالحين الذين قال فيهم الشاعر :

إن الروافض قوم لا خلاق لهم
من أجهل الناس فى علم وأكذبه

ترجمة
شيخ الاسلام ابن تيمية
قدس الله سره

للحافظ ابن حجر فى تاريخه الدرر الكامنة (١)

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية الحرانى ، ثم الدمشقى الحنبلى ، تقى الدين أبو العباس بن شهاب الدين بن محمد مجد الدين

ولد سنة إحدى وستين وستمائة وتحول به أبوه من حران سنة سبع وستين وستمائة فسمع من ابن عبد الدائم والقاسم الاربلى والمسلم ابن علان وابن أبى عمر والفخر فى آخرين . وقرأ بنفسه ونسخ سنن أبي داود، وحصل الأجزاء ، ونظر فى الرجال والعلل وتفقه ، وتمهر ، وتميز ، وتقدم ، وصنف ، ودرس ، وفاق الأقران

---

(١) كان عندنا أصل من هذه الترجمة منقول من نسخة من الدرر الكامنة فى بغداد كثيرة التحريف والتصحيف صححناه على نسخة دار الكتب المصرية ونسخة الأزهر

وصار عجبا فى سرعة الاستحضار وقوة الجنان، والتوسع فى المنقول والمعقول ، والاطلاع على مذاهب السلف والخلف

وأول ما أنكروا عليه من مقالاته فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وستمائة : قام عليه جماعة من الفقهاء بسبب الفتوى الحموية وبحثوا معه ومنع من الكلام ، ثم حضر أمام القاضى الدين القزوينى فانتصر له وقال هو وأخوه جلال الدين : من قال عن الشيخ تقى الدين شيئا عزرناه

(ثم ذكر الحافظ ما وقع له من الاضطهاد والحبس والإطلاق بتواريخه مفصلا ـ فعلم منه أن سببه سعاية بعض الجامدين على التقاليد الأشعرية والفقهية والمتصوفة إلى السلطان فى انتصاره لمذهب السلف وفى إنكاره على الصوفية ولاسيما ابن عربى وفى مسألة الطلاق الثلاث حتى اتهموه بطلب الخلافة كما سيأتى ، وذكر أن جميع الحنابلة كانوا يضطهدون معه ، وكان بعض المنصفين ينتصرون له لما امتازوا به من الاستقلال فى العلم . حتى إن الحكومة أكرهت الحنابلة كلهم على الإقرار بأنهم على معتقد الإمام الشافعى

وذكر أن ابن تيمية نفسه كتب بخطه أنه على معتقد الإمام الشافعى وهذا تخلص حسن إن صح ، فالشافعى كان على مذهب السلف فى اعتقاده بلا شك . وذكر أن ممن انتصر لابن تيميه فى دمشق قاضى الحنفية شمس الدين الحريرى وأنه توفى معتقلا فى القلعة لعشرين ليلة خلت من رجب (الصواب ذى القعدة) سنة ٧٢٨

ثم قال :

قال الصلاح الصفدى كان كثيرا ما ينشد :

تموت النفوس بأوصابها ... ولم يدر عوادها ما بها
وما أنصفت مهجة تشتكى ... أذاة إلى غير أحبابها

وأنشد له على لسان الفقراء :

والله ما فقرنا اختيار ... وإنما فقرنا اضطرار
جماعة كلنا كسالى ... وأكلنا ماله عيار
يسمع منا إذا ما اجتمعنا ... حقيقة كلها فشار

وسرد أسماء تصانيفه فى ثلاثة أوراق كبار وأورد فيه من أمداح أهل عصره كابن الزملكاني قبل أن ينحرف عليه وكابن

الوكيل وغيرهما ، قال ورثاه محمود بن على الدقوقى ومجير الدين الخياط وصفى الدين عبد المؤمن البغدادى وجمال الدين بن الأثير وتقى الدين محمد بن سليمان الجعبرى وعلاء الدين بن غانم وشهاب الدين بن فضل الله العمرى وزين الدين بن الوردى وجمع جم . وأورد لنفسه فيه مرثية على قافية الضاد المعجمة

قال الذهبى ما ملخصه : كان يقضى منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجح ، وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه ، قال: وما رأيت أسرع منه انتزاعا للآيات الدالة على المسألة التى يوردها ولا أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه ، كأن السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة لا يسبقه بها غيره وعين مفتوحة ، وكان آية من آيات الله فى التفسير والتوسع فيه

وأما أصول الديانة ومعرفة أقوال المخالفين ، فكان لا يشق غباره فيه ، هذا مع ما كان عليه من الكرم والشجاعة والفراغ عن ملاذ النفس ، ولعل فتاويه فى الفنون تبلغ ثلاثمائة مجلد بل

أكثر . وكان قوالا بالحق لا تأخذه فى الله لومة لائم (ثم قال) ومن خالطه وعرفه قد ينسبنى إلى التقصير فيه ، ومن نابذه وخالفه قد ينسبنى إلى التغالى فيه ، وقد أوذيت من الفريقين من أصحابه وأضداده

وكان أبيض أسود الرأس واللحية قليل الشيب ، شعره إلى شحمة أذنيه ، كأن عينيه لسانان ناطقان ، ربعة من الرجال . بعيد ما بين المنكبين ، جهورى الصوت ، فصيحاً سريع القراءة تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم (قال) ولم أر مثله فى ابتهاله واستعانته بالله وكثرة توجهه . وأنا لا أعتقد فيه عصمة بل أنا مخالف له فى مسائل أصلية وفرعية ، فانه كان مع سعة علمه وفرط شجاعته وسيلان ذهنه وتعظيمه لحرمات الدين بشراً من البشر تعتريه حدة فى البحث وغضب ، وسطة للخصم تزرع له عداوة فى النفوس وإلا لو لاطف خصومه لكان محل إجماع ، فان كبارهم خاضعون لعلمه ، معترفون بتفوقه ، مقرون بندور خطئه ، وأنه بحر لا ساحل له ، وكنز لا نظير له ، ولكن ينقمون عليه أخلاقا

وأفعالا ، وكل أحد يؤخذ من قوله و يترك إلا رسول الله ﷺ

(قال) وكان محافظاً على الصلاة والصوم معظما للشرائع ظاهراً و باطناً ، لايؤتى من سوء فهم ، فان له الذكاء المفرط ، ولا من قلة علم فانه بحر زاخر ، ولا كان متلاعباً بالدين ، ولا ينفرد بمسئلة من التشهى ، ولا يطلق لسانه بما اتفق ، بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس ، و يبرهن و يناظر أسوة من تقدمه من الأئمة ، فله أجر على خطئه وأجران على إصابته .

إلى أن قال : تمرض أياما بالقلعة بمرض حاد إلى أن مات ليلة الاثنين العشرين من ذى القعدة (١) وصلى عليه بجامع دمشق وصار يضرب بكثرة من حضر جنازته المثل ، وأقل ماقيل فى عددهم إنهم خمسون ألفاً

قال الشهاب بن فضل الله: لما قدم ابن تيمية على البريد إلى القاهرة فى سنة سبعمائة نزل عند عمى شرف الدين ، وحض أهل المملكة على الجهاد وأغلظ القول للسلطان والأمراء ورتبوا له

(١) وفى بعض الكتب العاشر منه

فى مدة إقامته فى كل يوم ديناراً ومخفقة طعام فلم يقبل من ذلك شيئا . وأرسل له السلطان بقجة قماش فردها

(قال) ثم حضر عنده شيخنا أبو حيان فقال: مارأت عيناى مثل هذا الرجل ثم مدحه بأبيات ذكر أنه نظمها بديهة وأنشده إياها

لما أتانا تقى الدين لاح لنا … داع إلى الله فرد ماله وزر
على محياه من سيما الأولى صحبوا … خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبراً … بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية فى نصر شرعتنا … مقام سيد تيم إذ مضت مضر
وأظهر الحق إذ آثاره اندرست … وأخمد الشر إذ طارت له شرر
يامن يحدث عن علم الكتاب أصخ … هذا الإمام الذى قد كان ينتظر (١)

قال : ثم دار بينهما كلام فجرى ذكر سيبويه فأغلظ ابن تيمية القول فى سيبويه ، فناظره أبو حيان وقطعه بسببه . ثم عاد ذاما له وصير ذلك ذنبا لا يغفر .

(١) وفى نسخة :
كنا نحدث عن حبر يجىء بها … انت الامام الذى قد كان ينتظر

(قال) وحج ابن المحب سنة ٢٤ فسمع من أبي حيان أناشيد فقرأ عليه هذه الأبيات فقال قد كشطتها من ديواني ولا أذكره بخير ، فسأله عن السبب في ذلك فقال ناظرته في شيء من العربية فذكرت له كلام سيبويه ، فقال: يفشر سيبويه ، قال أبو حيان وهذا لا يستحق الخطاب . ويقال: ان ابن تيمية قال له : ما كان سيبويه نبي النحو ولامعصوما بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعا ماتفهمها أنت . فكان ذلك سبب مقاطعته إياه وذكره في تفسيره البحر بكل سوء وكذلك في مختصره النهر . ورثاه شهاب الدين ابن فضل الله بقصيدة رائية مليحة وترجم له ترجمة هائلة تنقل من المسالك إنشاء الله تعالى ورثاه زين الدين بن الوردي بقصيدة لطيفة طائية .

وقال جمال الدين السرمري في أماليه : ومن عجائب ماوقع في الحفظ من أهل زماننا أن ابن تيمية كان يمر بالكتاب يطالعه مرة فينتقش في ذهنه وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه .

وقال الأقشهري في رحلته في حق ابن تيمية : بارع في

الفقه والأصلين والفرائض والحساب وفنون أخر، ومامن فن إلا له فيه يد طولى وقلمه ولسانه متقاربان ، قال الطوفي : سمعته يقول من سألني مستفيداً حققت له . ومن سألني متعنتا ناقضته ، فلا يلبث أن ينقطع فأكفى مؤنته . وذكر تصانيفه. وقال في كتابه إبطال الحيل : هو عظيم النفع . وكان يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث، فيورد في ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر مالا يقدر أحد أن يورده في عدة مجالس ، كأن هذه العلوم بين عينيه فيأخذ منها مايشاء ويذر منها ما يشاء .

ومن ثم نسبت أصحابه الى الغلو فيه واقتضى له ذلك العجب بنفسه ، حتى زها عن أبناء جنسه ، واستشعر أنه مجتهد ، فصار يرد على صغير العلماء وكبيرهم ، قديمهم وحديثهم . حتى انتهى إلى عمر فخطأه في شيء ، فبلغ الشيخ ابراهيم ازرقي فأنكر عليه فذهب إليه واعتذر واستغفر . وقال في حق علي : أخطأ في سبعة عشر شيئا (كذا) ثم خالف فيها نص الكتاب منها اعتداد المتوفى عنها زوجها أطول الأجلين .

وكان لتعصبه لمذهب الحنابلة يقع فى الأشاعرة حتى إنه سب الغزالى ، فقام عليه قوم كادوا يقتلونه . ولما قدم غازان بجيوش التتر إلى الشام خرج إليه وكلمه بكلام قوى ، فهم بقتله ثم نجا واشتهر أمره من يومئذ .

واتفق أن الشيخ نصراً المنبجى كان قد تقدم فى الدولة لاعتقاد بيبرس الجاشنكير فيه فبلغه أن ابن تيمية يقع فى ابن عربى (١) لأنه كان يعتقد أنه مستقيم وأن الذى ينسب إليه من الاتحاد أو الإلحاد من قصور فهم من ينكر عليه ، فأرسل ينكر عليه وكتب إليه كتابا طويلا نسبه وأصحابه إلى الاتحاد الذى هو حقيقة الإلحاد فعظم (٢) ذلك عليهم وأعانه عليه قوم آخرون ضبطوا عليه كلمات فى العقائد مغيرة وقعت منه فى قواعده وفتاويه فذكر أنه ذكر حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين ، وقال

---

(١) لعله سقط من هنا شيء .

(٢) قد نشرنا فى المنار كتاب ابن تيمية للشيخ نصر هذا من قبل .

كنزولى هذا (١) فنسب إلى التجسيم ، ورده على من توسل بالنبى ﷺ واستغاث به . فأشخص من دمشق فى رمضان سنة ٦٩٨ فجرى عليه ماجرى وحبس مرارا فأقام على ذلك نحو أربع سنين أو أكثر وهو مع ذلك يشتغل ويفتى إلى أن اتفق أن الشيخ نصراً قام على الشيخ كريم الدين الآيلى شيخ خانقاه سعيد السعداء فأخرجه من الخانقاه ، وعلى شمس الدين الجزرى فأخرجه من تدريس الشريفية فيقال : أن الإيلى دخل الخلوة بمصر أربعين يوما فلم يخرج حتى زالت دولة بيبرس وخمل ذكر نصر . وأطلق ابن تيمية إلى الشام .

وافترق الناس فيه شيعا (٢) فمنهم من نسبه إلى التجسيم لما ذكر فى العقيدة الحموية والواسطية وغيرها ، من ذلك قوله فى

---

(١) الصحيح أنه قال : لا كنزولى هذا ـ كما نقله بعض المؤرخين ، وهو الموافق لما صرح به في مواضع من وجوب الجمع بين امرار النصوص ونفى التشبيه . فحرف كلامه أعداؤه ولعل بعضهم لم يسمع حرف «لا» فنقله مثبتاً .

(٢) اقتصر الرافضى العاملى من هذه الترجمة الحافلة على=

اليد والقدم ، والساق والوجه : صفات حقيقية لله وأنه مستو على العرش بذاته ، فقيل : يلزم من ذلك التحيز والانقسام . فقال إنا لا نسلم أن التحيز والانقسام من خواص الأجسام ، فألزم بأنه يقول بالتحيز فى ذات الله تعالى .

ومنهم من نسبه إلى الزندقة لقوله : النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يستغاث به ، و إن فى ذلك تنقيصا ومنعا من تعظيم النبى ﷺ وكان أشد الناس عليه فى ذلك النور البكرى ، فإنه لما عقد له المجلس بسبب ذلك قال بعض الحاضرين : يعزر ، وقال البكرى : لا معنى لهذا القول ، فإنه إن كان تنقيصا يقتل و إن لم يكن تنقيصا لم يعزر .

ومنهم من ينسبه إلى النفاق لقوله فى على ما تقدم ولقوله إنه كان مخذولا حيثما توجه ، و إنه حاول الخلافة مرارا ولم ينلها ،

= ذكر هذه المطاعن المنقولة التى سيأتى فيها ما يدل على بطلانها من كلام العلامة العمرى وقد شاهدنا فى عصرنا مثلها فى شيخنا الأستاذ الامام وشيخه السيد جمال الدين .

و إنما قاتل للرياسة لا للديانة ، ولقوله انه كان يحب الرياسة ، و إن عثمان كان يحب المال ، ولقوله فى أبى بكر أسلم شيخا يدرى ما يقول وعلى أسلم صبيا والصبى لا يصح إسلامه على قول ، و بكلامه فى قصة خطبته بنت أبي جهل وما بها من الثناء وقصة أبى العاص ابن الربيع وما يؤخذ من مفهومها فإنه شنع فى ذلك فألزموه بالنفاق لقوله ﷺ « لا يبغضك إلا منافق » .

ونسبه قوم إلى أنه يسعى فى الإمامة الكبرى فإنه كان يلهج بذكر ابن تومرت ويطريه. فكان ذلك مؤكداً لطول سجنه وكان له وقائع شهيرة . وكان إذا حوقق وألزم، يقول لم أرد هذا وانما أردت كذا فيذكر احتمالا بعيداً .

(قال) وكان من أذكياء العالم ،وله فى ذلك أمور عظيمة . منها أن محمد بن بكر السكاكينى عمل أبياتا على لسان ذمى فى إنكار القدر أولها :

أيا علماء الدين ذمى دينكم ... تحير دلوه بأعظم حجة
اذا ما قضى ربى بكفرى بزعمكم ... ولم يرضه منى فما وجه حيلتى

فوقف عليها ابن تيمية فثنى احدى رجليه على الأخرى وأجاب فى مجلسه قبل أن يقوم بمائة وتسعة عشر بيتا أولها .

سؤالك يا هذا سؤال تعنت   يخاصم رب العرش بارى البرية

وكان يقول : أنا ماقرأت فى الأقفاص .

وقال شيخ شيوخنا الحافظ أبو الفتح العمرى فى ترجمة ابن تيمية : حدا بى يعيش[1] المزى على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقى الدين فألفيته ممن أدرك من العلوم حظا ، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظا ، إن تكلم فى التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر فى الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، أو حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته فى ذلك ولا أرفع من درايته ، برز فى كل فن على أبناء جنسه ، ولم ترعين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه . كان يتكلم فى التفسير ، فيحضر مجلسه الجم الغفير ، ويروون من بحر علمه العذب النمير . ويرتعون من ربيع فضله فى روضة وغدير ، الى

(١) لعله يوسف .

أن دب اليه من أهل بلده داء الحسد ، وألب أهل النظر منهم على ماينتقد عليه من أمور المعتقد ، فحفظوا عنه فى ذلك كلاما ، أوسعوه بسببه ملاما ، وفوقوا لتبديعه سهاما ، وزعموا أنه خالف طريقهم ، وفرق فريقهم ، فنازعهم ونازعوه ، وقاطع بعضهم وقاطعوه ، ثم نازع طائفة أخرى ينتسبون من الفقر الى طريقة ، ويزعمون أنهم على أدق نظر منها وأجلى حقيقة ، فكشف تلك الطرائق ، وذكر لها على زعمه (؟) بوائق ، فآضت الى الطائفة الأولى من منازعيه ، واستغاثت بذوى الضغن عليه من مقاطعيه فوصلوا بالإمراء أمره ، وأعمل كل منهم فى كفره فكره ، فرتبوا محاضر ، وألبوا الرويبضة[1] للسعى بهاتين للأكابر وسعوا فى

(١) العبارة غير واضحة وهى اشارة إلى حديث ورد فى أمارات الساعة منه «وأن تنطق الرويبضة» قيل وما الرويبضة يارسول ؟ قال «الرجل التافه ينطق فى امر العامة» قال فى النهاية والتافه الخسيس الحقير . والمراد أن ادعياء العلم المقلدين الحاسدين صاروا يتكلمون فى ذم إمام كشيخ الاسلام نابغة الاعصار .

نقله الى حضرة المملكة بالديار المصرية فنقل ، وأودع السجن ساعة حضوره واعتقل ، وعقدوا لإراقة دمه مجالس ، وحشروا لذلك قوما من عمار الزوايا وسكان المدارس ، ما بين مجامل فى المنازعة ، ومخاتل فى المخادعة ، ومجاهر بالتكفير مبادر بالمقاطعة يسومونه ريب المنون ، وربك يعلم ما تكن صدورهم ومايعلنون ، وليس المجاهر بكرهه بأسوأ حالا ، من المخاتل ، وقد دب اليه عقارب مكره ، فرد الله كيده فى نحره ونجاه على يد من اصطفاه والله غالب على أمره ، ثم لم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة ، ولم يزل ينتقل طول عمره من محنة الى محنة ، الى أن فوض أمره الى بعض القضاة فتقلد ما تقلد من اعتقاله ، ولم يزل بمحبسه ذلك الى حين ذهابه الى رحمة الله تعالى وانتقاله ، والى الله ترجع الأمور ، وهو المطلع على خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وكان يومه مشهوداً ضاقت بجنازته الطريق ، وأتى لها المسلمون من كل فج عميق ، يتقربون بمشهده يوم يقوم الأشهاد ، و يتمسكون تسريره حتى كسروا تلك الأعواد .

وقال الذهبى مترجما له فى بعض الاجازات : قرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ ، و برع فى العلوم والتفسير وأفتى ودرس وهو دون العشرين ، وصنف التصانيف وصار من أكابر العلماء فى حياة شيوخه ، تصانيفه نحو أربعة آلاف كراسة وأكثر

وقال فى موضع آخر : وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلا عن المذاهب الأربعة فليس له نظير

وفى موضع آخر : وله باع طويل فى معرفة أقوال السلف وقل أن يذكر مسألة إلا و يذكر فيها مذاهب الأئمة ، وقد خالف الأئمة الأربعة فى عدة مسائل صنف فيها واحتج بالكتاب والسنة

ولما كان معتقلا بالاسكندرية التمس منه صاحب سبتة أن يجيز له بعض مروياته فكتب له جملة من ذلك فى عشرة أوراق بأسانيده من حفظه بحيث يعجز أن يعمل بعضه أكبر من يكون وأقام عدة سنين لا يفتى بمذهب معين

وقال فى موضع آخر : بصير بطريق السلف واحتج له بادلة وأمور لم يسبق اليها ، وأطلق عبارات أحجم عنها غيره ، حتى

قام عليه خلق من العلماء المصريين (؟) فبدعوه وناظروه وهو ثابت لايداهن ولا يحابى بل يقول الحق إذا أداه اليه اجتهـاده وحـدة ذهنه وسعة دائرته ، فجرى بينه و بينهم حملات حربية ، ووقعات مصرية وشامية ، ورموه عن قوس واحدة ، ثم نجاه الله تعالى ، وكان دائم الابتهال كثير الاستغاثة قوى التوكل رابط الجأش ، له أوراد وأذكار يديمها يومية وجمعية

وكتب الذهبى إلى السبكى يعاتبه بسبب كلام وقع منه فى حق ابن تيمية. فأجابه، ومن جملة الجواب : وأما قول سيدى فى الشيخ تقى الدين فالمملوك يتحقق كبر قدره ، وزخارة بحره ، وتوسعه فى العلوم العقلية والنقلية ، وفرط ذكائه واجتهاده و بلوغه فى كل فن ، ذلك المبلغ الذى يتجاوز الوصف ، والمملوك يقول ذلك دائماً وقدره فى نفسى أكبر من ذلك وأجل مع ماجمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ، ونصرة الحق والقيام فيه لالغرض فى هذا سواه وجريه على سنن السلف وأخذه بذلك المأخذ الأوفى وغرابة مثله فى هذا الزمان بل من أزمان . اهـ

وقرأت بخط الحافظ صلاح الدين العـلائى فى بيت شيخ شيوخنا الحافظ بهاء الدين عبد الله بن محمد بن خليل مانصه : وسمع بهاء الدين المذكور على الشيخين شيخنا وسيدنا و إمامنا فيما بيننا و بين الله تعالى ، شيخ التحقيق ، السالك بمن اتبعه أحسن الطريق ذى الفضائل المتكاثرة ، والحجج القاهرة ، التى أقرت الأمم كافة أن هممها عن حصرها قاصرة ، متعنا الله تعالى بعلومه الفاخرة ، ونفعنا به فى الدنيا والآخرة ، وهو الشيخ الامام العالم الربانى ، والحبر البحر القطب النورانى ، إمام الأئمة ، بركة الأمة ، علامة العلماء ، وارث الأنبياء ، آخر المجتهـدين ، أوحد علماء الدين ، شيخ الإسلام ، فخر الأعلام ، قدوة الأنام ، برهان المتكلمين ، قامع المبتدعين، سيف المناظرين ، بحر العلوم ، كنز المستفيدين ترجمان القرآن ، أعجوبة الزمان ، فريد العصر والأوان ، تقى الدين إمام المسلمين ، حجة الله على العـالمين ، اللاحق بالصالحين ، والمشبه بالماضين ، مفتى الفرق ، ناصر الحق ، علامة الهدى ، عمدة الحفاظ ، فارس المبانى والألفاظ ركن الشريعة ، ذو الفنون

البديعة ، أبو العباس ابن تيمية

وقرأت بخط الشيخ برهان الدين محدث حلب قال: اجتمعت بالشيخ شهاب الدين الأذرعى سنة ٧٩ لما أردت الرحلة إلى دمشق فكتب لى كتباً إلى الباسوقى والحسبانى وابن الجابى وابن مكتوم وجماعة الشافعية إذ ذاك فحصل لى بذلك منهم تعظيم . وذكر لى فى ذلك المجلس الشيخ تقى الدين ابن تيمية وأثنى عليه وذكر لى شيئاً من كراماته وذكر أنه حضر جنازته وأن الناس خرجوا من الجامع من كل باب وخرجت من باب البريد فوقعت سرموذتى فلم أستطع أن أستعيدها وصرت أمشي على صدور الناس ، ثم لما فرغنا ورجعت لقيت السرموذة وذلك من بركة الشيخ رحمه الله تعالى انتهى

(يقول أبو محمد شفيع صاحب المنار) هذا ماقاله الحافظان الذهبى وابن حجر وما نقلاه من ثناء الحفاظ والمؤرخين المنصفين فى شيخ الاسلام احمد تقى الدين ابن تيمية وما نقلاه من نقولات حساده وخصومه من المشايخ المقلدين الجامدين ، وماحققه بعضهم

من أسبابها . ومنه يعلم كنه كذب السيد محسن العاملى الرافضى وتعصبه وجهله ، فإنه أوهم قراء كتابه الملفق أن الحافظين الذهبي وابن حجر كانا يطعنان فى عقيدته ، وأنه لم يوجد فى المسلمين من زكاه إلا تلاميذه ثم الشيخ محمد عبد الوهاب ثم صاحب المنار ، وحسبنا هذا فى بيان كذبه وافترائه عليه وعلى العلماء وعلى الوهابية عن عمد وعلى جهل . ومازال غلاة الشيعة أكذب الفرق وأبعدها عن طلب الحق فى خلافها لغيرها كما قال أحد علماء الألمان المستشرقين

وقد ألفت كتب ورسائل فى مناقب شيخ الإسلام ذكر فيها من ثناء أكبر علماء عصره ومن بعدهم مالا يعهد له نظير فى غيره من العلماء الذين قبله والذين بعده ، ومن أجمعها كتاب (الرد الوافر) وهو مطبوع . وفى كتاب (غاية الأمانى) فى الرد على الدجال النبهانى طائفة عظيمة من هذه النقول .

وأما طعن الرافضى علينا فاننا نفوض إلى الله تعالى أمر جزائه عليه (إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل مختال فخور)

(تمت الرسالة الأولى)

فهرس

﴿ الرسالة الأولى من رسائل السنة والشيعة ﴾

تم الفهرس

صواب الخطأ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	٦	القيِّم	القيُّم
٢٤	٧	أعراض	على أعراض
٢٤	١٢	إلى طريق	إلى طرق
٢٥	١٤	الموجودة	المرجوة
٣٨	آخر سطر	نهم إليه	بهم إليه
٤٣	١٠	ليغلوا فيهم	يغلو فيهم
٤٨	٤	يرون أن	يرون أن عليا
٦٣	آخر سطر	طائرة	طائر
٧٧	آخر سطر	كسمع البشر وغيرها	كسمع البشر ، و بصره ليس كبصر البشر وغيرها الخ
٧٩	٦	فى صفات	وفى صفات
٨١	٦	يرونها	يمرونها
٨٢	١٤	يتبع الكتاب	يتبع نصوص الكتاب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨٢	آخر سطر	اليدين	لفظ اليدين
٨٣	٨	ثم الوهابية	ثم إلى الوهابية
٨٣	١٠	وتعالى إلى	وتعالى كل ليلة إلى
٨٣	١١	ذكر فيها	ذكر فيه
٨٤	٤	ووصفه	ووصله
٩٧	٧	قول المثل	قول الممثل
١٠٠	١	والفحول منهم معترفون	الفحول معترفون
١٠٠	٤	من ننقل	من نقل
١٠٠	٥	هفاا	هذا
١٠٢	١	من قبله	قبله فى المذهب
١٠٢	٨	يقلدوه الرافضة ويعدونه	يقلدونه ويعدونه
١٠٧	١٢	ودرس ، وفاق	ودرس وأفتى وفاق
١٠٨	٥	أمام القاضى	القاضى إمام
١١٢	٦	بكرهه	بكفره
١١٦	٧	يعتقد أنه	يعتقد فيه أنه
١٢٥	آخر سطر	المبانى	المعانى
١٢٦	١٤	نقولات	تقولات

السنة والشيعة

أو

الوهابية والرافضة

حقائق دينية تاريخية اجتماعية إصلاحية

(الرسالة الثانية ومقدمتها)

نشرت فى مجلة المنار

بقلم

السيد الإمام محمد رشيد رضا

رحمه الله تعالى وغفر له

الطبعة الثانية : فى سنة ١٣٦٦ هجرية (١٩٤٧ ميلادية)

أصدرتها (دار المنار) ١٤ شارع الانشا بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه ، ولعنة الله على من فرقوا دينهم ، بالتفريق بينهم .

أما بعد فقد علم قراء فصول الرسالة الأولى فى موضوع « السنة والشيعة » أن شيعة سورية ولبنان قد نشطوا فى ظل الحكومة الفرنسية (المنتدبة) إلى الدعاية لهدم السنة ونشر الرفض . وأن أكبر داع أو داعٍ لهم إلى ذلك : هو أنه قد نشأت فى هذا العهد دولة جديدة للسنة ، قائمة بأمر إحيائها بالعلم والعمل والحكم ، وهدم البدع بالعلم والعمل والحكم ، ألا وهى الدولة السعودية أيدها الله تعالى ، وأن عشرات الألوف ومئات الألوف من حجاج بيت الله الحرام ، يشاهدون مناقب إمام عبد العزيز الفيصل آل سعود فى كل عام ، فينشرونها فى جميع أقطار الأرض على شعوب الإسلام وأن النهضة العربية التى ينشد زعماؤها والمستجيبون لهم فى كل

قطر ملكا عربيا قويا مستقلا؛ لايجدون أمامهم إلا هذا الملك العربى الحر الصميم ، وأن آمالهم تزداد تعلقاً به سنة بعد سنة ؛ لا يصدهم عن ذلك اختلاف التربية الدينية ولا السياسية ، فبادر بعضهم إلى تجديد دعاية الرفض وهدم السنة وصد المسلمين عنها بتسميتها وهابية وتسمية زعيمها وأنصارها وهابيين ، ظنا منهم أن ما كان يروج من هذه السخافات التى أذاعها الترك فى العالم من عهد محمود خان إلى عهد عبد الحميد خان ، وأعوانهم أمراء الحجاز ، من عهد الشريف غالب إلى عهد حسين بن على وأولاده لايزال يروج فى هذا العهد ، عهد الحركة السياسية الاجتماعية واستقلال الفكر

وكأن أول المصنفين فى هذا الشيخ الكبير السيد عبد المحسن أمين العاملى صاحب الكتاب الذى فضحنا وساوسه وكشفنا دسائسه فى الرسالة الأولى ، ومروج دعايته الاستاذ الشيخ عارف الزين صاحب مجلة العرفان ، التى كانت داعية الشيعة من الوجهة الأدبية فى الأكثر ، مع ميل إلى وحدة الجامعة الاسلامية لاينكر

ثم صارت تروج الدعاية الرافضية المذهبية ، مع شىء من التقية .

وإننا قبل أن تم الرد على ذلك الكتاب اطلعنا على كتاب آخر لأحد كبراء علمائهم العامليين (هو الشيخ الكبير ، السيد عبد الحسين الشهير) جعله الكلمة الأولى من ثلاث كلمات رافضية شعوبية ، هى كما يظهر من أولاها ـ أضر على دين الاسلام والأمة العربية ، من دعاة الثالوث الهندى وثالوث النصرانية ، وإن شهد له صاحب مجلة العرفان ، على عصبية بغير علم ولا عرفان بتحرى الحق فى اخباره ، وتمنى لو سكت عن بعض الحقائق ؟ التى تسوء أهل السنة ، وسيرى القراء نموذج هذه الجهالات ، وأمثلة هذه الضلالات ، فيعرف ما عند هذا الشاهد من الانصاف ودعوى حب الائتلاف .

وأما المؤلف فانه لم يراع فيها قاعدة مذهبهم فى التقية أدنى مراعاة ، بل صرح فيها بتضليل أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ، والطعن فى دينهم وطاعتهم لله ورسوله ، وجهادهم فى سبيله ، وبالطعن فى حفاظ السنة ومدونيها ، وفى الأمة العربية برمتها ، من صدر الاسلام إلى اليوم أقبح الطعن وأكذبه

وأصرحه ، لأن عصبيته الرافضية سولت له أن الغلو الممقوت فى على رضى الله عنه وكرم الله وجهه لايتم إلا بذلك كله ، فهو قد كشف قناع الرفض ، بل ألقى رداء الحياء و إزاره، لاقناعه فحسب حتى ظهر عريانا بادى السوأتين ، أعمى العينين ، ليس دونه شىء من ستار لقب الوهابية ، ولا من شفوف التقية .

وكان عهدى بالشيخ عبد الحسين وعبد على ، فى زمن الدستور العثمانى ، يقول معى كما أقول: أن الذى فرق المسلمين ، ولا سيما أهل السنة والشيعة ، وألقى بينهم العداوة والبغضاء ، هو الاهواء السياسية ، لا الاختلاف فى الاصول الدينية ، وستجمعهم السياسة كما فرقتهم ، إذ ظهر بالبرهان والعيان أن التفرق أضاع عليهم دينهم ودنياهم ، ثم تبين أن ذلك من تلقين التقية الشيطانية ، وذكر لى من سأله عن كتب الحديث المعتمدة عند الشيعة وما يتعلق بها من الجرح والتعديل، وتمييز الصحيح من غيره ، كصحيح البخارى عندنا ؟ فقال له : كتب الحديث واحدة ، وأثنى على البخارى أجل الثناء واعترف بماله من المنة فى أعناق هذه الامة ، وسيرى القراء مايقوله الآن .

لم يسعني وقد رأيت هذا الكتاب إلا أن أوجز فى الرد على الاول ، وأنصرف إلى الرد على الثانى .

واتفق أن وصلت فى تلك الاثناء فى تفسيرى إلى سورة براءة (التوبة)وأن رأيت له فى بعض مباحث تفسيرها غلواً و إسرافا فى تكبير مناقب الخليفة الرابع وتصغير مناقب الخليفة الاول ، وفى بعضها طعنا صريحا فى جميع المهاجرين والانصار من الصحابة الكرام و إفراطا فى على وحده (رضى الله عنهم أجمعين) فهو يجعل الغلو فى على سيفاً يقطع به عنق السنة وأهلها وهداتها ، وحملتها ورواتها ، ومجنا يتقى به من يصول عليه ، فينبزهم بلقب النواصب ، كما يحتكر هو وسائر شيعتهم لانفسهم حب آل البيت عليهم السلام ، كأن آل الرسول وأصحابه ضدان لايجتمعان ، وخصمان لايتفقان ، وما هذا إلا زور و بهتان ، ابتدعه عبد الله ابن سبأ اليهودى ونظمه المجوس عباد النيران ، فاضطررت إلى البدء فى الرد عليه بما يتعلق بالتفسير ، وأعود بعده إن شاء الله إلى سائر المباحث المهمة من ذلك فى فصول مرتبة فأقول :

(الفصل الاول)

شبهة للشيعة في مسألة

(إمارة أبي بكر على الحج سنة تسع . وتلاوة علي أوائل سورة براءة يوم الحج الأكبر من الموسم. وهو ما جعلناه ذيلا لتفسير الآيات الأربع الأولى من سورة براءة) وهو :

إن بعض الشيعة يكبرون هذه المزية لعلي عليه السلام كعادتهم و يضيفون اليها ما لا تصح به رواية ، ولا تؤيده دراية فيستدلون بها على تفضيله على أبي بكر رضي الله عنهما،وكونه أحق بالخلافة منه ، و يزعمون أن النبي ﷺ عزل أبا بكر من تبليغ سورة براءة لأن جبريل أمره بذلك، وأنه لا يبلغ عنه إلا هو أو رجل منه ولا يخصون هذا النفي بتبليغ نبذ العهود وما يتعلق به بل يجعلونه عاما لأمر الدين كله،مع استفاضة الأخبار الصحيحة بوجوب تبليغ الدين على المسلمين كافة . كالجهاد في حمايته والدفاع عنه ، وكونه فريضة لا فضيلة فقط ،ومنها قوله ﷺ في حجة الوداع على مسمع

الألوف من الناس « ألا فليبلغ الشاهد الغائب » وهو مكرر في الصحيحين وغيرهما ، وفي بعض الروايات عن ابن عباس « فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته : فليبلغ الشاهد الغائب » الخ وحديث « بلغوا عني ولو آية » رواه البخاري في صحيحه والترمذي ولولا ذلك لما انتشر الإسلام ذلك الانتشار السريع في العالم .

بل زعم بعضهم - كما قيل - أنه ﷺ عزل أبا بكر من إمارة الحج وولاها عليا . وهذا بهتان صريح مخالف لجميع الروايات في مسألة عملية عرفها الخاص والعام، والحق أن عليا كرم الله وجهه كان مكلفا بتبليغ أمر خاص (١) وكان في تلك الحجة تابعا لأبي بكر في إمارته العامة في إقامة ركن الإسلام الاجتماعي العام ، حتى كان أبو بكر يعين له الوقت الذي يبلغ فيه . فيقول : يا علي قم فبلغ رسالة رسول الله ﷺ كما تقدم التصريح به في الروايات الصحيحة ، كما أمر بعض الصحابة بمساعدته على هذا التبليغ كما تقدم في حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيرهما

(١) أي نبذ عهود المشركين ، كما هو مفصل في التفسير

ولقد كان تأمير النبى ﷺ أبا بكر على المسلمين فى إقامة الحج فى أول حجة المسلمين بعد خلوص السلطان لهم على مكة ومشاعر الحج كلها، كتقديمه للصلاة بالناس قبيل وفاته ﷺ كلاهما تقديم له على جميع زعماء الصحابة فى إقامة أركان الإسلام التى كان يقوم بها ﷺ، وعدها جميع الصحابة ترشيحاً له لتولى الإمامة العامة بعده . فالواقعة دليل على خلافة أبى بكر لا على خلافة على رضى الله عنهما . وقد علم الله أن كلا منهما سيكون إماماً فى وقته . قال الآلوسى بعد ذكر شىء فى هذا المعنى :

وقد ذكر بعض أهل السنة نكتة فى نصب أبى بكر أميراً للناس فى حجهم ونصب الامير كرم الله تعالى وجهه مبلغاً نقض العهد فى ذلك المحفل ، وهى أن الصديق رضى الله تعالى عنه كان مظهراً لصفة الرحمة والجمال، كما يرشد اليه ما تقدم فى حديث الإسراء وما جاء من قوله ﷺ « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر » أحال اليه عليه الصلاة والسلام أمر المسلمين الذين هم مورد الرحمة ، ولما كان على كرم الله وجهه الذى هو أسد الله مظهر جلاله فوض اليه نقض

عهد الكافرين الذى هو من آثار الجلال وصفات القهر . فكانا كعينين فوارتين يفور من إحداهما صفة الجمال ، ومن الاخرى صفة الجلال ، فى ذلك المجمع العظيم الذى كان انموذجاً للحشر وموردا المسلم والكافر انتهى . ولا يخفى حسنه لو لم يكن فى البين تعليل النبى ﷺ اهـ

وإذا كان تعليله ﷺ التبليغ على نبذ العهود عنه بكونه من أهل بيته ينافى أن تكون النكتة المذكورة علة ، فهو لا يأبى أن تكون حكمة .

ورأيت فى مصنف جديد لبعض الشيعة المعاصرين ضرباً آخر من المبالغة والتكبير لهذه المسألة كما فعل بغيرها من مناقبه كرم الله وجهه من حيث يصغر مناقب الشيخين إن لم يجد شبهة أو وسيلة لإنكارها ، حتى إنه جعل تنويه كتاب الله عز وجل بصحبة الصديق الأكبر للرسول الاعظم فى هجرته وإثبات معيته عز وجل لهما معاً فى الغار مما لاقيمة له ولا يعد مزية للصديق (رض) ولولا أنهم قد نشطوا فى هذه الايام لدعاية الرفض والبدع

والصد عن السنة وأعلامها لما جعلنا شبهة التبليغ تستحق أن تذكر وتبين هنها

ذلك أنه اقتصر من روايات المسألة على ما نقله عن ابن جرير الطبرى عن السدى من قوله : لما نزلت هذه الآيات إلى رأس الأربعين ـ يعنى من سورة براءة ـ بعث بهن رسول الله ﷺ مع أبى بكر وأمره على الحج. فلما سار فبلغ الشجرة من ذى الحليفة، أتبعه بعلى فأخذها منه . فرجع أبو بكر إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله بأبى أنت وأمى أنزل فى شأنى شىء ؟ قال «لا ، ولكن لا يبلغ عنى غيرى أو رجل منى » اهـ ثم استنبط من هذه الرواية أنها تدل على أن نفس على من الرسول ﷺ منزلة نفسه، وأنه خير الصحابة وأفضلهم عند الله وأكرمهم عليه. فان من كان بهذه الصفة هو الذى يمثل شخص النبي ويقوم مقامه و يكون بمنزلة نفسه الشريفة ثم قال : ودل هذا القول منه ﷺ على أن كون على من رسول الله ﷺ ونفسه نفسه أمر محقق ثابت لا ريب فيه عند أبى بكر ولهذا لم يحتج ﷺ لذكره . وذلك ظاهر عند العارف بطريق

الاستدلال ، وترتيب الأشكال ، وقد عمد بعض النواصب إلى الحط من هذه الكرامة . فزعم أنه ﷺ إنما أراد بأنه نفسه ومنه هو القرب فى النسب دون الفضيلة، مدعياً أن من عادة العرب إذا أراد أحدهم أن ينبذ عهداً نبذه بنفسه ، أو أرسل به أقرب الناس إليه ـ الخ ما غالط به ، و بنى على زعمه هذا أن العباس أقرب إلى النبى ﷺ من على نسباً، فلماذا لم يرسله بهذا التبليغ؟ مع علمه بأنه لم يقل أحد من أهل السنة بأنه لا بد من الأقرب ؛ بل قالوا : إن التبليغ فى مثله لعاقد العهد أو لأحد عصبته الأقربين ؛ ولا بأن الرواية بمعنى ما زعمه .

(وأقول) فى قلب شبهته هذه حجة عليه

(أولا) إن هذا الشيعى المتعصب اختار رواية السدى من روايات فى المسألة لأنها تحتمل من تأويله وغلوه ما لا يحتمله غيرها .

(ثانياً) إن السدى قال هذا القول من عند نفسه ، ولم يذكر له سنداً إلى أحد من الصحابة .

(ثالثاً) إن ما ذكرناه من الروايات الصحيحة عن على

وأبى هريرة وغيرها من الصحابة يخالف قول السدى هذا من بعض الوجوه وهى أولى بالتقديم والترجيح

(رابعاً) إن هذا الشيعى الذى يدعى التحقيق لم يذكر قول السدى كله، بل أسقط منه قول النبى ﷺ المروى عن غير السدى أيضاً «أما ترضى يا أبا بكر أن كنت معى فى الغار وأنك صاحبى على الحوض؟» قال: بلى يارسول الله. فسار أبو بكر على الحاج وعلى يؤذن ببراءة. فقام يوم الاضحى فقال: لايقربن المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا، ولا يطوفن بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فله عهده إلى مدته. وإن هذه أيام أكل وشرب، وإن الله لايدخل الجنة إلا من كان مسلماً. فقالوا: نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك إلا من الطعن والضرب. فرجع المشركون، فلام بعضهم بعضاً وقالوا ماتصنعون وقد أسلمت قريش؟ فأسلموا اهـ نص رواية السدى هذه فى تفسير ابن جرير (ص ٢٧ ج ١٠ من الطبعة الاميرية).

فاذا كان هذا الشيعى يعتمد هذه الرواية - كما هو الظاهر من اختياره

لها على غيرها فهى حجة عليه فيما تقدم بيانه، ومنه كون الآية الأربعين من سورة براءة هى قوله تعالى (إلا تنصروه فقد نصره الله، إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار، إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا)

ولا يظهر لأمره ﷺ بتبليغها للناس فيما يبلغه من نبذ عهود المشركين وهى ليست من موضوعها إلا بيان فضل أبى بكر ومكانه الخاص من الرسول ﷺ وحكمة جعله نائبا عنه ﷺ فى إقامة ركن الاسلام الاجتماعى العام، وجعل على نفسه - على قربه وعلو مكانته - تحت إمارته حتى فى تبليغه هذه الرسالة الخاصة عنه ﷺ فقد تقدم فى الروايات الصحيحة أن أبا بكر كان يأمره بذلك، ولهذا أسقط الرافضى بقية الرواية على كونه ينكر على الصديق الأكبر مزية اختيار الرسول ﷺ إياه بأمر الله على مرافقته له وحده فى أهم حادثة من تاريخ حياته، وهى الهجرة الشريفة، التى كانت مبدأ ظهور الإسلام، وانتشار نوره فى جميع العالم. ولو كانت هذه الصحبة أمراً عاديا أو صغيرة لما ذكرت

في القرآن المجيد مقرونه بتسميه الصديق صاحباً لسيد البشر وإثبات معية الله تعالى لهما معاً ، وفرق بين وصف الله تعالى لشخص معين بهذه الصحبة وبين تعبيره ﷺ عن أتباعه بالأصحاب ، تواضعا منه ﷺ

ثم إن قوله ﷺ للصديق « وصاحبي على الحوض » يدل على ماسيكون له معه من الخصوصية والامتياز على جميع المؤمنين في يوم القيامة ، ولو كان شأنه فيه كشأن غيره ممن يرد الحوض لما كان لهذا التخصيص في هذا المقام مزيه ، وكلام رسول الله ﷺ ينزه عن العبث .

(خامسا) أن قوله ﷺ « أو رجل مني » في رواية السدي قد فسرتها الروايات الأخرى عند الطبري وغيره بقوله ﷺ « أو رجل من أهل بيتي » وهذا النص الصريح يبطل تأويل كلمة « مني » بان معناها أن نفس علي كنفس رسول الله ﷺ وأنه مثله ، وأنه أفضل من كل أصحابه .

(سادساً) ان ما عزاه إلى بعض النواصب هو المعروف عن جميع العلماء من أهل السنة الذين تكلموا في المسألة

ولكن لم يقل أحد منهم بأن علياً كرم الله وجهه لا مزية له في هذا الأمر ، ولا ان سبب نوطه به القرابة دون الفضيلة ، وأنه تبليغ لا فخر فيه ولا فضل ، بل هذا كله مما اعتاد الروافض افتراءه على أهل السنة عند نبزهم بلقب النواصب ، فان كان يوجد في النواصب من ينكر مزية علي في هذه المسألة ففي الروافض من ينكر ما هو أظهر منها من مزية أبي بكر في نيابته عن الرسول ﷺ في امارة الحج وإقامة ركنه وتعليم الناس المناسك وتبليغ الدين للمشركين ، ومنعهم من الحج بعد ذلك العام تمهيداً لحجة الوداع ، إذ كان يكره ﷺ أن يحج معهم ويراهم في بيت الله عراة نساؤهم ورجالهم يشركون بالله في بيته ، وما يتضمن هذه الامارة مماتقدم بيانه . وأهل السنة وسط يعترفون بمزية كل منهما رضي الله عنهما وعن سائر آل رسول الله ﷺ وأصحابه ، وعن المتبعين لهم في اتباع الحق والاعتراف به لأهله ، ومحبة كل منهما بغير غلو ولا تقصير ، وقاتل الله الروافض والنواصب الذين يطرون بعضاً وينكرون فضل الآخر ويعدون محبته منافية لمحبته .

الفصل الثانى

افتراء الروافض فى غزوة حنين

(والطعن فى جميع الصحابة وحفاظ السنة)

هذا فصل جعلناه ذيلا مكملا لتفسير قوله تعالى (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) الخ

ملخص غزوة حنين : ان جيش المسلمين كان ثلاثة أضعاف جيش المشركين ، ولكن كان فيه الفان من الطلقاء أهل مكة منهم المنافق المصر على شركه ، الذى يتربص بالمؤمنين الدوائر ليثأر منهم ، والذى يريد قتل النبى ﷺ نفسه ، ومنهم ضعفاء الايمان ، والشبان الذين جاءوا للغنيمة لا لإعزاز الحق بالجهاد وانه لما وقع عليهم رشق النبال كرجل الجراد [1] فر هؤلاء وأدبروا فذعر الجيش وفر غيرهم اضطراباً كما هى العادة فى مثل هذه الحال لا جنباً ، وكانت حكمة الله فى ذلك تربية المؤمنين

(١) رشق النبال هو رمى الجماعة لها دفعة واحدة . ورجل الجراد ــ بكسر الراء ــ الجماعة الكثيرة منه

كما تقدم شرحه [1] وثبت رسول الله ﷺ كعادته وثبت معه من كان قريبا منه من أهل بيته وغيرهم من كبار المهاجرين الذين لم يكونوا يفارقونه، كأبى بكر وعمر وابن مسعود رضى الله عنهم . وقد صرح ابن مسعود بأن الذين ثبتوا معه ﷺ كانوا ثمانين رجلا كما تقدم ، ومن عدهم أقل من ذلك فانما عد من رآه بالقرب منه . ومن حفظ حجة على من لم يحفظ . وليس معنى هذا : أن سائر الجيش قد انهزم جبناً ، وترك الرسول وهو يعرف مكانه عمداً ، بل ولى الجمهور مدبرين بالتبع للطلقاء والاحداث الذين فروا من رشق السهام ، وأكثر هذه الالوف لا يعرف مكانه عليه الصلاة والسلام ، كما عرف هؤلاء الذين كانوا حوله ﷺ ولما علم سائر المسلمين ولا سيما الأنصار بمكانه ﷺ من نداء العباس (رض) أسرعوا فى العطف والرجوع. هذا ما رواه المحدثون والمؤرخون

(١) ملخصه: أنه اعتراهم زهو وغرور بقوتهم حتى قال بعضهم: لا نغلب اليوم من قلة، فرباهم الله تعالى بابتلائهم بهذه الهزيمة بسببها المذكور ليزدادوا إيمانا بفضل الله عليهم ونصره لهم

وأما الروافض فانهم يطعنون كعادتهم فى جميع أصحاب رسول الله ﷺ ويزعمون أنهم فروا كلهم جبنا وعصيانا لله وإسلاما لرسوله إلى الهلكة ، واستحقوا غضبه تعالى ووعيده الذى تقدم فى سورة الأنفال ، إلا نفرا قليلا لا يتجاوزون العشرة يزعمون أنهم ثبتوا بالتبع لثبات على كرم الله وجهه ، وأنه هو الذى ثبت وحده بنفسه ، وأنه لولاه لقتل النبى ﷺ وزال الاسلام من الأرض .

ذكرنا فى آخر تفسير الآيات الأربع الاولى من هذه السورة كتابا لبعض علماء الشيعة المعاصرين كبر فيه مسألة تلاوة على أوائل هذه السورة على المشركين سنة تسع ، وصغر إمارة أبي بكر على الحج وفندنا شبهه فى ذلك .

وقد كبر صاحب هذا الكتاب ثبات على مع النبى ﷺ فى حنين أضعاف ذلك التكبير ، وحقر سائر الصحابة أقبح التحقير ، وزعم أن عمر بن الخطاب قد فر فى ذلك اليوم مع الفارين وهم بزعمه جميع المسلمين ، إلا علياً وثلاثة رجال « وقيل تسعة » ثبتوا بثباته .

أما زعمه أن عمر قد فر وهو مالم يقله أحد من المحدثين ولا أصحاب السير - فقد تأول به رواية لأبى قتادة عند البخارى ذكر فيها هزيمة المسلمين وأنه انهزم معهم ، وأنه قال : فاذا عمر بن الخطاب فى الناس ، فقلت : ماشأن الناس؟ قال أمر الله . ثم تراجع الناس إلى رسول الله ﷺ اه

فوجب أن نبين مافى كلامه من الجهل والافتراء لانه جعله تفسيراً لهذه الآية لئلا يضل بعض المطلعين على كتابه فى فهمها

قال : روى البخارى فى صحيحه باسناده عن أبى قتادة الخ والمتبادر من قوله روى باسناده . أنه رواه مسنداً موصولا . والصواب أن هذه الرواية فيه معلقة بدأها البخارى بقوله : وقال الليث حدثنى يحيى بن سعيد الخ قال الحافظ (ابن حجر) فى شرحه من الفتح : وروايته هذه (يعنى يحيى بن سعيد) وصلها المصنف فى الاحكام عن قتيبة عنه لكن باختصار . اه ويريد بهذا الاختصار ذكر الحديث المرفوع منها وهو قوله ﷺ « من أقام بينة على قتيل قتله فله سلبه » وليس فيها ذكر عمر (رض) ولذلك لم يذكرها

الرافضي لان غرضه محصور في قول أبي قتادة «فإذا عمر بن الخطاب في الناس» ليفسره بأنه في الناس الفارين. فإن العبارة محتملة لو لم يثبت أن عمر كان فيمن ثبتوا ، ولذلك فسره القسطلاني بأنه كان في الناس الذين لم ينهزموا . ومتى كان عمر جباناً يفر من القتال ؟ وهو الذي كان رسول الله ﷺ يدعو الله بأن يعز به الاسلام . وفي بعض الروايات « يشد به الدين » فاستجاب الله دعاءه حتى قال عبد الله بن مسعود : ماعبد الله جهرة حتى أسلم عمر

وقد طعن الرافضي في جميع الصحابة ، ولا سيما أصحاب بيعة الرضوان ، الذين أثنى الله تعالى عليهم في القرآن ، وأقسم أنه رضي عنهم وجعل ذلك مما يتعبد به المسلمون إلى آخر الزمان ، إذ قال عز وجل (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم مافي قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً) ثم قال فيهم (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة . ومثلهم في

الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ، ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما)

وهذا الكتاب كسائر كتب الروافض يدل على أنهم أشد غيظاً بهم من جميع الكفار ، فان هذا الرافضي زعم أن جميع المسلمين فروا في أثر المؤلفة قلوبهم من أهل مكة ، قال «ولم يبق مع رسول الله ﷺ إلا ثلاثة : علي (ع) يضرب بالسيف بين يدي رسول الله ﷺ ، والعباس آخذ بلجام بغلته ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب آخذ بركابه . قيل وابن مسعود إلى جانبه الأيسر . وقيل ثبت معه تسعة من بني هاشم ، وهو الذي اعتمده الشيخ المفيد في الإرشاد » اه .

وهو لم يعتمد على إرشاد مفيده وهو من شيوخهم وكبار مصنفيهم في تأييد نحلتهم ، فذكر ما اعتمده بصيغة التمريض بعد جزمه هو بثبات الثلاثة فقط .

ثم زعم أن قوله تعالى (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى

المؤمنين) خاص بهؤلاء الذين ثبتوا معه ﷺ فيقال له : ولماذا عطف على ماقبله بثم الدالة على التراخى ؟ أليس دليلا على أن الرسول والذين ثبتوا معه كانوا قد اضطربوا عند اضطراب الجمهور فى تلك الهزيمة ؟ أو ليس نزول السكينة لازما أو ملزوما لعودة المهاجرين والأنصار من أهل بيعة الرضوان تحت الشجرة إلى القتال؟ وهل عادوا إلا بعد زوال ذلك الاضطراب واختلاط الأمر الذى عرض لهم بفرار المؤلفة قلوبهم ؟ وهل زال ذلك إلا بما أنزل الله عليهم من السكينة لما سمعوا نداء الرسول ﷺ ونداء العباس (رض) وعلموا مكانه ﷺ ؟ وهل يكون أصحاب هذه الكرة الناهضة ، بعد تلك الفرة العارضة ، وهم أصحاب المواقف السابقة ، والفتوحات اللاحقة ، من الجبناء المستحقين لغضب الجبار . ويكون فرارهم خذلاناً للرسول وتعمداً لاسلامه للكفار ، كما افترى هذا الرافضى الكفار ؟ (١)

(١) الكفار بالفتح صيغة مبالغة من الكفر ، ونعنى به المعنى اللغوى ، وهو المبالغ فى ستر الشىء و إخفائه

وخلاصة المعنى الذى يدل عليه عطف إنزال السكينة بثم الدال على تأخره عن تولى الأدبار : أن الاضطراب المنافى للسكينة بانهزام الطلقاء كان عاماً ، إذ تبعه انهزام السواد الأعظم على غير هدى ، وهو أمر طبيعى فى مثل هذه الحال ، فان اختلف سببه فقد اتفق المآل ، فالجيش اضطرب لهزيمة عدد كثير منه ، والرسول ﷺ اضطرب باله حزنا على المسلمين ، ثم بعد أن تمت حكمة الله فى ابتلائهم بذلك أنزل سكينته على رسوله ، فأمر عمه العباس بنداء المهاجرين والأنصار ، فناداهم فاستجابوا لله وللرسول ﷺ إذ أنزل الله السكينة عليهم بدعوته والعلم بمكانه .

إن الرافضى عمد بعد أن ذكر مجمل القصة بما وافق هواه من نقل ، وما مزجه به من تأويل باطل إلى تحريف الآيتين فى هذه الغزوة . فزعم أنهما توبيخ لجميع الصحابة (رض) ماعدا الذين ثبتوا وهم فى زعمه ثلاثة بل واحد فى الحقيقة ، وخص أصحاب بيعة الرضوان بالذكر ، بل بالذم المقتضى للكفر ـ فقال ، بعد أن

زعم أنهم أسلموا صاحب الدين «لجفاة الأعراب وطغام هوازن وثقيف» ـ مانصه :

« فأين ما بايعتم به الله سبحانه وما أعطيتموه من العهد والميثاق يوم بيعة الرضوان على أن لاتفروا عنه ، ومن فر فهو فى النار ، ومن قتل فهو شهيد ؟ فما وفيتم ببيعكم الذى بايعتم به سبحانه (كذا) إذ يقول (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعداً عليه حقاً) أنقضتم العهد ؟ أم استقلتم البيع ؟ (ثم وليتم مدبرين) غير متحرفين لقتال ولا متحيزين إلى فئة (ومن يفعل ذلك فقد باء بغضب من الله) اهـ بحروفه وتحريفه لكلام الله تعالى ، إذ جعل ذلك كله تفسيراً لآية يوم حنين التى لم تكن إلا تذكيراً للمؤمنين بعناية الله تعالى بهم ونصره إياهم على ماوقع فيهم من الاضطراب والتولى فى أول المعركة . وقد أراد بهذا التحريف أن يهدم كل ما للصحابة الكرام من الثناء فى كتاب الله ، و يجعلهم من شرار الخلق عند الله ، ويحول رضوان الله عنهم إلى غضبه ، ووعدهم إياهم بالجنة إلى وعيدهم بالنار

أرأيت هذا الرافضى كيف لم يتم آية الشراء لأنها حجة عليه ومبطلة لتأويله ؟ وهو قوله تعالى (ومن أوفى بعهده من الله؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) فلو علم الله تعالى أنهم ينقضون العهد أو يستقيلون هذا البيع لما أمرهم بالاستبشار به ، ولما عبر عنه بأنه هو الفوز العظيم ، أى دون غيره وقد أشار بقوله : أم استقلتم البيع ، إلى قول الانصار (رض) عند بيعة العقبة للنبى ﷺ على منعه مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم ، ووعده لهم بالجنة — إذ قالوا : لانقيل ولا نستقيل ، وقد شهد الله ورسوله لهم بالوفاء ، وشهد عليهم الرافضى بالخيانة والغدر ، واستقالة البيع ! ! .

وقد أعاد بعد هذا القول ذكر ما زعمه من فرار عمر بن الخطاب الذى أعز الله به الإسلام ، وأنزل بموافقته القرآن ، وكان أعظم ناشر له فى الارض بعد رسوله عليه الصلاة والسلام .

ثم فسر السكينة « بتثبيت القلب وتسكينه و إيداعه الجرأة والبسالة » وقال « و إنما أنزلها الله على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين وهم الثلاثة أو العشرة الذين مرذ كرهم » وقد جهل أن هذا التفسير طعن فيهم لأنه نص على أن هذه المعانى من السكينة لم تكن للرسول ﷺ ولا لهم فى أول القتال ، لعطف نزولها على تولية الادبار بثم المفيدة للتراخى. والصواب اللائق به ﷺ و بأصحابه المؤمنين (رض) ماذ كرنا .

ثم إنه بعد هذا الطعن فى جميع الصحابة رضى الله عنهم - والاستثناء معيار العموم على أنه حصره بعد فى على وحده - قال « فإذا تدبرت حالة المسلمين وماقرعهم فيه وعاتبهم به سبحانه ، و كيف باهى الله سبحانه بأمير المؤمنين ذلك العسكر المجر والجحفل الحاشد بأعلام الصحابة وأكابر المهاجرين والأنصار وصناديدهم ومن إليهم الإيماء والإشارة — ظهرت لك عظمته ومكانته من الله ورسوله، ومبلغه من الدفاع عن الدين والدولة » إلى آخر ما أطال به وأسهب من المعاني الشعرية فى تحقير جميع المؤمنين حتى خص بالذكر

الزبير وطلحة وسعد بن أبى وقاص الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة وخالد بن الوليد سيف الله ورسوله ، وفاتح العراق والشام ، ورافع لواء الإسلام ، وأبا دجانة وسهل بن حنيف وسعد بن عبادة والحارث ابن الصمة وأبا أيوب وأمثالهم من صناديد الإسلام الاعلام ، فزعم كاذبا مفتريا أن تلك الصدمة « أطارت أفئدتهم وشردت بهم فى كل واد » ليقول فى على « وكيف قام فى وجهها وانتصب لصدها وأقدم على ردها بصدر أوسع من الفضاء وقلب أمضى من القضاء » وزعم بل أقسم أنه « لقد فاز من بين أصحاب رسول الله بأجرها ، واستولى على فضلها وطار بفخرها » كأنه يشعر شعوراً خفياً لا يدركه عقله بأنه لا يتم له إثبات غلوه فيه إلا بافتراء مناقب له مقرونة بتحقير سائر إخوانه أصحاب رسول الله ﷺ و بالكذب على الله فى الأمرين، كزعمه أنه تعالى قرعهم و باهى به ، تعالى الله عن ذلك .

ثم ذكر ، أنه يقول هذا غير مزدر لتلك العصبة الهاشمية وهم التسعة الذين ثبتوا معه ﷺ أيضاً - أى كما ازدرى سائر الصحابة و إنما استثناهم من الازدراء لنسبهم لا لشجاعتهم وفضلهم . وذلك

تحقير لهم ، فقد قال بعده : « فو الله الذى لا إله غيره ما ثبت أولئك إلا بثباته، ولا ركنوا إلا لدفاعه ومحاماته، علماً منهم بكفايته لحمايتهم والذب عنهم. فإن كل من ألم بالتاريخ وقرأ اليسير علم أن أولئك الهاشميين لم يكن لهم قبل ذلك موقف مشهور ، ولا مقام مذكور ، ولا دون لهم التاريخ قتل أحد » — إلى أن قال — غلواً فى الاطراء والمدح و إسرافا فى الازراء والقدح وتهويلا للامر

« بربك دع التكلف وخبرني منصفاً لو فر أمير المؤمنين (ع) من بين أولئك التسعة مع ما يعلمونه من بأسه وشجاعته، أكان يثبت منهم أحد؟ كلا والله وحينئذ تكون الطامة الكبرى والقارعة العظمى بقتل رسول الله ﷺ و يذهب الدين والدولة ، وفى ذلك هلاك الأمم بعد نجاتها ، وانقراضها بعد حياتها ، فثبات أمير المؤمنين ومحاماته عن رسول الله ﷺ إلى أن ثابت اليه تلك الفئة التى لم تتجاوز مائة (؟) مقاتل هو السبب فى حياة الرسول ﷺ و بقاء الدين والدولة ، ونجاة الخلق من الهلكة »

ثم فرع على هذه التخيلات الشعرية ، والتهويلات الخطابية

والمفتريات الرافضية، تخطئة الأمة الإسلامية فى تولية أمرها (يعنى الامامة العظمى) غير صاحب هذه المنة عليها وعلى الدين والدولة وعلى ...... من أستغفر الله من الاشارة اليه ، و إن كان حاكى الكفر ليس بكافر

ثم قفى على تخطئة الأمة بتخطئة الشيخين البخارى ومسلم وأمثالهما من رواة صحاح السنة لأنهما لم يفتريا فى القصة ما افتراه هو وأمثاله على الله فى كتابه ، وعلى رسوله فى سنته ، وعلى خيرة أصحابه من المهاجرين والانصار ، فقد بدأ طعنه فى الشيخين بقصد هدم السنة وصرف المسلمين عنها بقوله « واعجب للشيخين فى صحيحيهما كيف لم يذكرا لأمير المؤمنين (ع) من ذلك الموقف العظيم والنصر الباهر شيئاً ، وقد نطق بذلك الذكر الحكيم ؟ » وسنرد طعنه على الشيخين فى نحره فى المنار ، و إنما غرضنا فى التفسير الدفاع عن كتاب الله والكذب عليه

إن الله تعالى لم يذكر فى القرآن أن عليا رضى الله عنه هو الذى نصر المؤمنين فى حنين لا بمنطوق ولا مفهوم ، و إنما أسنده

ذلك إلى نفسه عز وجل فقال (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين)وقال (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) ولم يقل (وعلى على) وحده ، ولا على الثلاثة أو التسعة الذين زعم الشيعة أنه لم يثبت معه ﷺ غيرهم :.وقد مر أنه ثبت معه ثمانون رجلا عرفوا بأسمائهم ، وهو لاينفى ثبات غيرهم أيضاً لان العدد لامفهوم له . وقال (وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا) ولم يقل إن علياً هو الذى عذبهم وهو الذى هزمهم، ولم يقل ذلك أحد من المحدثين ورواة السيرة النبوية .

فان زعم أنهم كتموهـا لأنهم كانوا يكتمون فضائل على وحده (قلنا) إنهم لم يرووا من مناقب أحد من الصحابة بقدر مارووا من مناقبه رضى الله عنه وعنهم ، ومما رووه ثباته مع النبي ﷺ وتخصيص الشيخين عباسا وأبا سفيان ين الحارث بالذكر لأنه ثبت عندهما بشروطهما المعروفة ، كما أنهما لم يذكر أبا بكر وعمر أيضا ، وهو قد نقل عن البخارى رواية معلقة زعم أنها تدل على أن عمر رضى الله عنه كان من المدبرين . ولم يرو البخارى فى

صحيحه حديثاً مافى مناقب معاوية ، وروى الأحاديث الكثيرة فى مناقب على كرم الله وجهه

و إذا كان البخارى ومسلم قدتركا الرواية عمن لايثقان بعدالته من الروافض فهل يلامان ونحن نرى مثل هذا المؤلف منهم يفترى الكذب على الله ورسوله و يحرف كلام الله تعالى غلوا فى على كرم الله وجهه وأغناه بمناقبه الكثيرة الصحيحة عن ذلك وإزراء وقدحا فى خيار أصحاب رسول الله ﷺ وطعناً فيهم بالباطل ؟

ليس فى التزام الشيخين للصدق مثار للعجب و إنما العجب من هذا الرافضى كيف لم يستح من الله حيث أسند إلى كتابه ماليس فيه، بل مافيه خلافه أيضامن رضاه عن المهاجرين والانصار وحيث أقسم به أنه ماثبت أحد فى حنين إلا على و٣ أو ٩ ثبتوا بثباته ،والاعتماد على محاماته، لا بشجاعتهم ولا بإيمانهم ولا بحرصهم على حياة رسول الله ﷺ

ثم كيف لم يستح منه تعالى ومن رسوله وسيد خلقه ، الذى

لم يكن لعلى فضل إلا من فضله، حيث زعم أنه لولاه لقتل رسول الله ﷺ وذهب الدين والدولة، وهلكت الأمم وانقرضت؟ فجعل له المنة وحده على رسول الله وعلى دينه وعلى جميع خلقه بما افتراه من ثباته وحده معه! ولو ثبت ثباته وحده لما اقتضى كل هذه المنن، فان النصر لم يكن بمن كان معه ﷺ أولا بل بفضل الله ثم تأييده، و بعود المهاجرين والانصار إلى القتال، و إنزال ملائكته لتثبيتهم فى مواقف النزال.

ألم يؤمن بقول الله تعالى له ﷺ (يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) فكيف يسلط عليه من يقتله؟

أولم يعلم بأن أفراداً وجماعات قصدوا قتله ﷺ مراراً فعصمه الله منهم ولم يكن على معه؟

ألم يؤمن بما ثبت فى الكتاب والسنة من وعد الله لرسوله بالنصر و إظهار دينه على الدين كله، ومن ايعاد أعدائه بالخذلان، ومن ذلك جزمه ﷺ بأن ما جمعته هوازن لقتاله ﷺ فى حنين

غنيمة المسلمين ـ فكيف يقول: إنه لولا على لقتل رسول الله ﷺ وزالت دولة الاسلام وهلكت الامم؟ وهل كانت هوازن قادرة على ما عجز عنه سائر العرب مع أن المسلمين كانوا أقوى منهم فى كل شيء، ونصر الله فوق ذلك؟

ألم يكتف بجعل ما جاء به من الغلو والافتراء ذريعة للطعن فى جميع أصحاب رسول الله ﷺ حتى الثلاثة أو التسعة الذين اعترف بفضلهم لنسبهم و إنزال السكينة عليهم، وفى أجل رواة السنة الصحيحة وممحصيها من الكذب، حتى جعل المنة لعلى على رسول الله وخاتم النبيين فى حياته و بلوغ دعوته وتأييد الله ونصره له و بقاء دينه وأمته؟

أبمثل هذا تكون دعاية المسلمين إلى الرفض وتحقير الصحابة ورجال السنة؟

والذى يعلمه بالبداهة كل صحيح العقل مستقل الفكر مطلع على تاريخ الاسلام أن أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والانصار رضى الله عنهم لم يكونوا جبناء بل كانوا أشجع خلق الله، وأن

الله تعالى أيد رسوله ﷺ بنصره و بهم فى جملتهم لا بعلى وحده ، كرم الله وجوههم ووجهه، كما قال عز وجل (هو الذى أيدك بنصره و بالمؤمنين وألف بين قلوبهم) الآية ، وإن الذين ثبتوا معه ﷺ فى بدر، وهم أذلة جائعون، حفاة راجلون ، قليل مستضعفون فنصرهم الله على صناديد قريش وفرسانها الذين هم ثلاثة أضعافهم ما كانوا ليجبنوا عن قتال هوازن وهم على النسبة العكسية من مشركى بدر معهم ، ولكن الله تعالى ابتلاهم بما تقدم ذكره مع بيان سببه تمحيصاً لهم ليزدادوا إيمانا به و بعنايته برسوله ﷺ وتأييده بنصره ، ولا يغتروا بالكثرة وحدها

ولو أقسم مقسم بالله تعالى على خلاف ما أقسم عليه هذا الشيعى الذى ملك عليه الغلو أمره، وسلب التعصب عقله، فقال : والله الذى لا إله غيره : إن الله تعالى ما بعث محمداً خاتما للنبيين، ومكملا للدين ، ورحمة للعالمين ، إلا وهو قد كفل نصره على أعدائه الكافرين ، وعصمته من اغتيال المغتالين ، بفضله وحده لا بفضل على ولا غيره ، وأنه لو لم يخلق على بن أبى طالب ، أو لم

يكن فى جيش رسوله فى حنين لما قتل رسول الله ﷺ (١) ولا زال دين الله من الأرض ، ولا هلكت الأمم والشعوب ، ولو فى الله تعالى بوعده لرسوله بنصره على أعدائه كلهم ، لو أقسم السنى المحب لجميع أصحاب رسول الله ﷺ هذا القسم الموافق لكتاب الله وسنة رسوله وللتاريخ الصحيح والمعقول من سنن الاجتماع ، لكان قسمه أبر وأصدق ، وأرضى لله عز وجل ولرسوله ﷺ ولعلى عليه السلام والرضوان من قسم ذلك الشيعى على جهله وتعصبه المخالف لكل ماذكر (ومن يضلل الله فما له من هاد)

(١) هذا التعبير على حد « لو لم يخف الله لم يعصمه »

فضائل أبى بكر الصديق

رضى الله عنه

فى آية الغار من القرآن

﴿ وأحاديث الهجرة ﴾

قد رأيت أيها القارىء ما اجترحه أحد علماء الشيعة المعاصرين فى جبل عامل من تحريف القرآن غلواً فى إطراء على كرم الله وجهه والطعن فى جميع الصحابة من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم وخاصة عمر بن الخطاب فاتح الممالك والأمصار ، ومقيم دعائم ملك الإسلام على أمتن أساس .

وإنى أذكر لك هنا ما اجترحه سلف هذا الرافضى المتقدمون من تحريف آية الغار التى فضل الله بها الصديق الأكبر على جميع المؤمنين بعد رسول الله ﷺ وجعلهم إياها مع أحاديث الهجرة الدالة على تفضيل رسول الله إياه على جميع المؤمنين : دالين على القدح والذم ـ بعد أن أنقل لك جل ما كتبته فى تفسير الآية من

تفسير المنار لتعلم ما نشأ عليه هؤلاء الغلاة من الجهل والإلحاد فى آيات الله ، والعبث بكتاب الله وسيرة رسوله ﷺ وتاريخ الإسلام . وهو :

قال عز وجل ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ﴾ أى إلا تنصروا الرسول الذى استنفركم فى سبيل الله على من أرادوا قتاله من أولياء الشيطان فسينصره الله بقدرته وتأييده كما نصره إذ أجمع المشركون على الفتك به ، وأخرجوه من داره وبلده ، أى اضطروه إلى الخروج والهجرة ولولا ذلك لم يخرج ـ وقد تكرر فى التنزيل ذكر إخراج المشركين للرسول والمؤمنين المهاجرين من ديارهم بغير حق ، وليس المراد منه أنهم تولوا طردهم وإخراجهم مجتمعين ولا متفرقين ، فان أكثرهم خرج مستخفياً كما خرج النبى ﷺ مع صاحبه (رض) ـ أو تقدير الكلام : إلا تنصروه فقد أوجب الله له النصر فى كل حال وكل وقت حتى نصره فى ذلك الوقت الذى لم يكن معه جيش ولا أنصار منكم ، بل حال كونه ﴿ ثانى اثنين ﴾ أى أحدهما : فان مثل هذا التعبير لا يعتبر فيه

الأولية ولا الأولوية، لأن كل واحد منهما ثان للآخر ومثله ثالث ثلاثة ورابع أربعة ، لا معنى له إلا أنه واحد من ثلاثة أو أربعة به تم هذا العدد . على أن الترتيب فيه إنما يكون بالزمان أو المكان وهو لا يدل على تفضيل الاول على الثانى ولا الثالث أو الرابع على من قبله . وسيأتى فى حديث الشيخين «ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ » ﴿ إذ هما فى الغار ﴾ أى فى ذلك الوقت الذى كان فيه الإثنان فى الغار المعروف عندكم، وهو غار جبل ثور ﴿ إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ أى إذ كان يقول لصاحبه الذى هو ثانيه وهو أبو بكر الصديق (رض) حين رأى منه أمارة الحزن والجزع ، أو كلما سمع منه كلمة تدل على الخوف والفزع « لا تحزن » الحزن انفعال نفسى اضطرارى يراد بالنهى عنه مجاهدته وعدم توطين النفس عليه ، والنهى عن الحزن وهو تألم النفس مما وقع. يستلزم النهى عن الخوف مما يتوقع . وقد عبر عن الماضى بصيغة الاستقبال «يقول» للدلالة على التكرار المستفاد من بعض الروايات ولاستحضار صورة ما كان فى ذلك الزمان والمكان ليتمثل المخاطبون

ما كان لها من عظمة الشأن ، وعلل هذا النهى بقوله (إن الله معنا) أى لا تحزن لأن الله معنا بالنصر والمعونة، والحفظ والعصمة . والتأييد والرحمة ، ومن كان الله معه بعزته التى لا تغلب ، وقدرته التى لا تقهر ، ورحمته التى قام ويقوم بها كل شىء . فهو حقيق بأن لا يستسلم لحزن ولا خوف. وهذا النوع من المعية الربانية أعلى من معيته سبحانه للمتقين والمحسنين فى قوله (١٦ : ١٢٧ واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون ١٢٨ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) والفرق بينهما : أن المعية فى آية سورة النحل لجماعة المتقين المجتنبين لما يجب تركه والمحسنين لما يجب فعله ، فهى معللة بوصف مشتق هو مقتضى سنة الله فى عالم الاسباب لكل من كان كذلك، وإن كان الخطاب فى النهى عن الحزن قبلها للرسول ﷺ .وأما المعية هنا فهى لذات الرسول وذات صاحبه غير مقيدة بوصف هو عمل لهما بل هى خاصة برسوله وصاحبه من حيث هو صاحبه ، مكفولة بالتأييد بالآيات ، وخوارق العادات ، وكبير العنايات إذ اساس القيام

بتمام سنن الله فى الأسباب والمسببات ، التى يوفق لها المتقين والمحسنين المتقنين للأعمال . يعلم هذا التفاوت بين النوعين من الحق الواقع إن لم يعلم من اللفظ وحده ، وهى من قبيل قوله تعالى لموسى وهارون إذ أرسلهما إلى فرعون فأظهرا الخوف من بطشه بهما (قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى * قال لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى) وقد كان خاتم النبيين أكمل منهما ، إذ لم يخف من قومه الخارجين فى طلبه للفتك به كما سنذكره ، وكان للصديق الأكبر أسوة حسنة بهما إذ خاف على خليله وصفيه الذى شرفه الله فى ذلك اليوم الفذ بصحبته . وإنما نهاه ﷺ عن الحزن لا عن الخوف ، ونهى الله موسى وهارون عن الخوف لا عن الحزن . لأن الحزن تألم النفس من أمر واقع وقد كان نهيه ﷺ إياه عنه فى الوقت الذى أدرك المشركون فيه الغار بالفعل . روى البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أنس قال: حدثنى أبو بكر قال «كنت مع النبى ﷺ فى الغار فرأيت آثار المشركين. فقلت يارسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا تحت قدمه. فقال عليه الصلاة

والسلام : ياأبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما ؟ » وأما الخوف فهو انفعال النفس من أمر متوقع. وقد نهى الله رسوليه عنه قبل وقوع سببه، وهو لقاء فرعون ودعوته إلى ماأمرهما به . والنهى عن الحزن يستلزم النهى عن الخوف كما تقدم. وقد كان الصديق خائفاً وحزناً كما تدل عليه الروايات ، وهو مقتضى طبع الإنسان .

وحاصل المعنى : إلا تنصروه بالنفر لما استنفركم له فان الله تعالى قد ضمن له النصر ، فهو ينصره كما نصره فى ذلك الوقت الذى اضطره المشركون فيه بتألبهم عليه واجتماع كلمتهم على الفتك به — فى ذلك الوقت الذى كان فيه ثانى اثنين فى الغار ، أعزلين غير مستعدين للدفاع ؛ وكان صاحبه فيه قد ساوره الحزن والجزع — فى ذلك الوقت الذى كان يقول له فيه وهو آمن مطمئن بوعد الله وتأييده ومعيته الخاصة (لا تحزن إن الله معنا) فنحن غير مكلفين بشىء من الأسباب أكثر مما فعلنا من استخفائنا هنا . وقد بينا فى الكلام على غزوة بدر من تفسير سورة الأنفال المقارنة بين حالى الرسول

الأعظم والصديق الأكبر هنالك ، إذ كان الرسول ﷺ يستغيث ربه ، ويستنجزه وعده ، وكان الصديق (رض) يسليه ويهون الأمر عليه ، على خلاف حالهما فى الغار ، وأثبتنا أن حاله ﷺ فى الموضعين كان الأكمل الأفضل ، إذ أعطى حال الأخذ بسنن الله فى الأسباب والمسببات فى بدر حقه ، وأعطى حال التوكل المحض فى الغار حقه (١)

فتكرار الظرف « إذ » فى المواضع الثلاثة مبدلا بعضها من بعض فى غاية البلاغة ، به يتجلى تأييده تعالى لرسوله أكمل التجلى ، فهو يذكرهم بوقت خروجه ﷺ مهاجراً مع صاحبه بما كان من قريش من شدة الضغط والاضطهاد ، وقد تقدم تفصيله فى تفسير (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك) من سورة الأنفال ، وسيعاد مختصراً فى هذا السياق . ويتلوه تذكيرهم بإيوائه مع صاحبه إلى الغار

---

(١) راجع تفسير ٨ : ٩ (اذ تستغيثون ربكم) فى ص ٦٠٢ — ٦٠٥ ج ٩ تفسير

لا يملكان من أسباب الدفاع عن أنفسهما شيئاً . ثم يخص بالذكر وقت قوله لصاحبه (لا تحزن ان الله معنا) أى انه كان هو الذى يسلى صاحبه ويثبته ، لا انه كان يتثبت به (وهكذا كان شأنه ﷺ مع أصحابه فى كل وقت يشتد فيه القتال أيضاً) وكون سبب ذلك وعلته إيمانه الاكمل بمعية الله عز وجل الخاصة .

فالعبرة لهم فى هذه الذكريات الثلاث ان الله تعالى غنى عن نصرهم مع رسوله بقدرته وعزته ، وان رسوله ﷺ غنى عن نصرهم له بنصره عز وجل وتأييده ، وبقدرته على تسخير غيرهم له من جنوده وعباده ، وقد بين تعالى أثر ذلك وعاقبته بقوله

﴿ فأنزل الله سكينته عليه ﴾ أخرج ابن ابى حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل وابن عساكر فى تاريخه عن ابن عباس (رض) فى قوله (فأنزل الله سكينته عليه) قال على أبى بكر . لأن النبى ﷺ لم تزل السكينة معه . وأخرج الخطيب فى تاريخه عن حبيب بن أبى ثابت (فأنزل الله سكينته) قال على أبى بكر . فاما النبى فقد كانت عليه السكينة .

وقد أخذ بهذه الرواية بعض مفسري اللغة والمعقول ووضحوا ما فيها من التعليل بأنه ﷺ لم يحدث له وقتئذ اضطراب ولا خوف ولا حزن ، وقواها بعضهم بأن الأصل في الضمير أن يعود إلى أقرب مذكور وهو الصاحب . وليس هذا بشيء .

ـ وذهب آخرون إلى ان الضمير يعود إلى النبي ﷺ وان انزال السكينة عليه لا يقتضي أن يكون خائفاً أو مضطرباً أو منزعجاً ، وهذا ضعيف لعطف انزال السكينة على ما قبلها بالفاء الدال على وقوعه بعده وترتبه عليه ، وان نزولها وقع بعد قوله لصاحبه (لا تحزن) ولكنهم قووه بأن ما عطف عليه من قوله ﴿ وأيده بجنود لم تروها ﴾ لا يصح إلا للنبي ﷺ والمراد بهؤلاء الجنود الملائكة، لأن الاصل في المعطوفات التعانق وعدم التفكك . وأجاب عنه الآخذون بقول ابن عباس ومجاهد ـ أولا ـ بأن التأييد بالجنود معطوف على قوله (فقد نصره الله) لا على (أنزل الله سكينته) ـ وثانياً ـ بأن تفكك الضمائر لا يضر إذا كان المراد من كل منها ظاهراً لا اشتباه فيه

وثالثاً ـ بأنه لا مانع من جعل التأييد لأبي بكر . نقله الالوسي وقال كما يدل عليه ـ ما أخرجه ابن مردويه من حديث أنس أن النبي ﷺ قال لأبي بكر « ان الله تعالى أنزل سكينته عليك وأيدك » الخ وقال بعض المفسرين : ان المراد بهذه الجنود ما أيده الله تعالى به يوم بدر والاحزاب وحنين ، وقال بعضهم : بل المراد انه أيده بالملائكة في حال الهجرة يسترونه هو وصاحبه عن أعين الكفار ويصرفونها عنهما فقد خرج من داره والشبان المتواطئون على قتله وقوف ولم ينظروه . وإننا نرجع إلى سائر ما في التنزيل من ذكر إنزال السكينة والتأييد بالملائكة لنستمد منها فهم ما في هذه الآية

أما إنزال السكينة فذكر في ثلاث آيات فقط (أولاها) الآية الرابعة من سورة الفتح (والثانية) الآية السادسة والعشرون منها . وكان نزول السورة بعد صلح الحديبية الذي فتن فيه المؤمنون واضطربت قلوبهم بما ساءهم من شروطه التي عدوها إهانة لهم وفوزاً للمشركين وأمرها مشهور ، فكان

من عناية الله تعالى بهم أن ثبت قلوبهم ومكنهم من فتح خيبر وأنزل سورة الفتح مبيناً فيها حكم ذلك الصلح وفوائده وامتن بذلك على رسوله وعليهم بقوله (٤٨ : ١) إنا فتحنا لك فتحاً مبينـاً ـ إلى قوله ـ (٤) هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما) فهذه سكينة خاصة بالمؤمنين ، بين حكمتها العليم الحكيم ، وفيها إشارة إلى جنود الملائكة لا تصريح .

ثم قال بعد ما تقدمت الاشارة اليه من حكم ذلك الصلح ، وما أعقبه من الفتح : (٢٦) إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما) الأشهر فى تفسير هذه الحمية انها ما أباه المشركون فى كتاب الصلح من بدئه بكلمة بسم الله الرحمن الرحيم ومن وصف محمد ﷺ فيه برسول الله وتعصبهم لما كان من عادة الجاهلية ، وهو باسمك اللهم ، وهذا مما ساء رسول الله

ﷺ بلا شك كما ساءه كراهة جمهور المسلمين الأعظم لهذا الصلح ، ولكنه لم يكن ليضيع بذلك صلحاً عظيما كان أول فتح لباب حرية دعوة الاسلام فى المشركين ، بوضع الحرب عشر سنين ، فأنزل الله سكينته عليه وألهمه قبول شروطهم ، وأنزلها على المؤمنين بعد أن هموا بمعارضته ﷺ وأمرهم بالتحلل من عمرتهم فتلبثوا حتى خشى عليهم الهلاك واستشار فى ذلك زوجه أم سلمة فأشارت عليه بأن يخرج اليهم و يأمر حلاقه بحلق شعره ففعل، فاقتدوا به بما أنزل الله عليهم من سكينته

والآية (الثالثة) هى ما تقدم فى هذه السورة فى سياق غزوة حنين ، إذ راع المسلمين رشق المشركين إياهم بالنبل فانهزم المنافقون والمؤلفة قلوبهم واضطرب جمهور المسلمين بهزيمتهم فولوا مدبرين، وثبت رسول الله ﷺ فى وجود الكفار مع عدد قليل صار يكثر بعلمهم بموقفه ، وقد حزن قلبه لتوليهم (٩ : ٢٦ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها) وما العهد بتفسيرها ببعيد ، فهذه سكينة مشتركة

بين الرسول ﷺ والمؤمنين ، سكن بها ما عرض له ﷺ من تأثير هزيمتهم ، وسكن ما عرض لهم من الاضطراب لهزيمة المنافقين والمؤلفة قلوبهم كما تقدم

وأما ذكر الجنود التى وصفها تعالى بقوله « لم تروها » فقد جاء فى هاتين الآيتين من سورة براءة ، أى آية غزوة حنين وآية الغار من سياق الهجرة . وجاء فى الكلام على غزوة الأحزاب من السورة التى سميت باسمها وهو (٣٣ : ٩ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً) وقد كانت هذه الجنود والجنود التى أرسلت فى يوم حنين لتخذيل المشركين وتأييد المؤمنين ، وفى معناها قوله تعالى فى الكلام على غزوة بدر (٨ : ٩ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) فهذه الملائكة نزلت لإلقاء الرعب فى قلوب المشركين وتأييد المؤمنين وتثبيت قلوبهم ، كما بينه تعالى بقوله (١٠ وما جعله

الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم - إلى قوله ١٢ إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) وراجع تفسير السياق (فى ص ٦٠٧ - ٦١٤ ج ٩ تفسير) وفيه ذكر آيات سورة آل عمران التى نزلت فى الكلام على غزوة أحد - فاذا كانت الملائكة فى هذه المواقع كلها نزلت لتأييد المؤمنين على المشركين وتخذيل هؤلاء - وكان النائب عن جميع المؤمنين والحال محلهم فى خدمة رسوله يوم الهجرة هو صاحبه الأول الذى اختاره عليهم كلهم فى ذلك اليوم العظيم ، فأى بعد فى أن يكون التأييد المرافق لإنزال السكينة له لحلوله محلهم كلهم ، ومن المعلوم أنه لم يكن له هذا إلا بالتبع لرسول الله ﷺ ، كما أن جميع ما أيد به تعالى سائر أصحاب رسوله فى جميع المواطن كان تأييدا له وتحقيقا لما وعده الله تعالى من النصر على جميع أعدائه ، وإظهار دينه على الدين كله . ولذلك قال

﴿ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا ﴾

فى الآية احتمالان . أحدهما أن يكون المراد بكلمة الذين كفروا كلمة الشرك والكفر . و بكلمة الله كلمة التوحيد، وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعليه أهل التفسير المأثور، ووجهه أن عداوة المشركين للنبى ﷺ إنما كانت لأجل دعوته إلى التوحيد الخالص من جميع شوائب الشرك وخرافات الوثنية ولذلك قام أبو سفيان عند ظهور المشركين فى أحد فقال رافعاً صوته ليسمع المسلمون : اعل هبل ، اعل هبل . وهبل صنمهم الأكبر ، فأمر ﷺ أن يجاب «الله أعلى وأجل» وفى الصحيحين من حديث أبى موسى رضى الله عنه أن النبى ﷺ « سئل عن الرجل يقاتل غضبا وحمية و يقاتل رياء . وفى رواية: للمغنم وللذكر أى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله» والاحتمال الثانى أن يكون المراد بكلمة الذين كفروا ما أجمعوه بعد التشاور فى دار الندوة من الفتك به ﷺ والقضاء على دعوته، وهو ماتقدم فى سورة الأنفال من قوله تعالى (و إذ يمكر بك الذين كفروا) إلخ و يكون المراد بكلمة الله ماقضت

به إرادته ومضت به سنته من نصر رسله و دينه فى مثل قوله (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * و إن جندنا لهم الغالبون) وقوله (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى) فهذه كلمة الله الإرادية القدرية التى كان من مقتضاها وعده لرسوله الأعظم بالنصر . وفسر بعضهم كلمته هنا بما وعده من إحباط كيدهم وردمكرهم فى نحورهم وهو قوله فى تتمة الآية (و يمكرون و يمكر الله والله خير الماكرين) وما قلناه هو الأصل والقول الفصل وهذا مبنى عليه

وقد قرأ الجمهور (وكلمة الله) بالرفع لإفادة أنها العليا المرفوعة بذاتها لا بجعل وتصيير ، ولا كسب وتدبير ، وقرأها يعقوب بالنصب ، والمراد من القراءتين معاً : أنها هى العليا بالذات ثم بما يكون من تأييد الله لأهلها القائمين بحقوقها بجعلهم بها أعلى من غيرهم كما قال (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) و بجعلها بهم ظاهرة بالعلم والعمل، تعلو كل مايخالفها عند غيرهم . فان كان المراد بها ماتعلقت به إرادته تعالى ومضت به سنته من نصر رسله و إظهار دينه (وهى كلمة التكوين) فالأمر ظاهر لأن

ماتتعلق مشيئته تعالى به كائن لا محالة لا يوجد ما يعارضه فيعلو عليه أو يساويه، وكذلك إن أريد بها الخبر الإلهي بهذا النصر والوعد به الذي هو بيان لهذه السنة التي هي من متعلقات صفة الارادة بناء على أنه مما أوحاه اليهم. ومنه قوله تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) الخ (قوله الحق .: ولن يخلف الله وعده) والخبر والوعد من متعلقات صفة الكلام. فكلمة التكوين الإرادية وكلمة التكليف الخبرية متحدتان في هذا الموضوع

وأما على القول بأن المراد بها كلمة التوحيد أو دينه تعالى المبني على أساس توحيده فالنظر فيها من وجهين (أحدهما) مضمون الكلمة في الواقع وهو وحدانيته تعالى، وهذه حقيقة قطعية قامت عليها البراهين، وكذا إن أريد بها هذا الدين عقائده وأحكامه وآدابه ـ إذ يقال: إنه كلمة التكليف أو كلماته ـ فهذه من حيث كونها من متعلقات صفة الكلام الإلهية لها صفة «العليا» بيانا وبرهانا وحكمة ورحمة وفضلا، ولا بد من تمامها صدقا في الأخبار وعدلا في الأحكام، كما قال تعالى في سورة الأنعام (٦:١١٦ وتمت كلمة

ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) و (الوجه الثاني) إقامة المكلفين لها بمعنييها وهي تختلف باختلاف أحوالهم في العلم والإيمان والأخلاق وما يترتب عليها من الأعمال، فمن هذا الوجه قد تخفى علويتها على الناس في بعض الاحيان. إذ ينظرون إليها في صفات المدعين لها وأعمالهم لا في ذاتها، وقد يكون هؤلاء غير قائمين بها ولا مقيمين لها. ومن عجائب ماروى لنا من إدراك بعض الإفرنج لعلوية كتاب الله تعالى بسعة علمه وعقله أن عاهل الألمان الأخير قال لشيخ الإسلام في الحكومة العثمانية لما زار الاستانة في أثناء الحرب الكبرى: يجب عليكم ـ وأنتم دولة الخلافة الاسلامية ـ أن تفسروا هذا القرآن تفسيراً تظهر به علويته !!! كما أدرك هذه العلوية الوليد بن المغيرة من كبراء مشركي قريش بذكائه ودقة فهمه وبلاغته إذ كان مما قاله فيه: وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ماتحته. وراجع ماقلناه في تفسير (٣٣ ليظهره على الدين كله) من هذه السورة وما هو بعيد

وأما كلمة الذين كفروا فقد كانت لا مقابل ولا معارض لها قبل الاسلام من حيث القيام بها لتوصف بالوصف اللائق بها

وهو السفلية ، سواء أريد بها كلمة الشرك أو كلمة الحكم. فقد كان لاهلها السيادة فى بلاد العرب حتى مكة المكرمة ودنسوا بيت الله بأوثانهم فاذل الله أهلها وأزال سيادتهم بظهور الاسلام بعد كفاح معروف ، و إن أريد بها تقريرهم لقتل النبى ﷺ فالامر ظاهر أيضا . وكل من الامرين حصل بجعل الله وتدبيره ثم بكسب المؤمنين وجهادهم . وأما كلمة الكفر فى نفسها ، و بصرف النظر عن تلبس بعض الشعوب أو القبائل بها ، فلا حقيقة لها . أعنى أن الشرك لاحقيقة لمضمونه فى الوجود و إنما هو دعاوى لفظية صادرة عن وساوس شيطانية خيالية ، كما قال تعالى (ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) وقد ضرب الله المثل للكلمتين وأثرهما فى الوجود قوله فى سورة ابراهيم عليه السلام (١٤:٢٧ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها و يضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون (٢٨) ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها

من قرار (٢٩) يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . و يضل الله الظالمين و يفعل الله ما يشاء) وقد ختم الله هذه الآية بقوله :

﴿ والله عزيز حكيم ﴾ العزيز الممتنع الغالب والله هو الذى يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء ، والحكيم الذى يضع الأشياء فى مواضعها ، وقد نصر رسوله بعزته ، وأظهر دينه على الأديان كلها بحكمته ، وأذل كل من ناوأه وناوأ المتقين من أمته .

وإننا نقفى على تفسير هذه الآيات بكلمات تزيدها بيانا ، وتزيد الذين آمنوا بالله ورسوله إيمانا ، وتزيد المبتدعين المحرفين لكلام الله تعالى خزيا وخذلانا ، ثلاث كلمات : كلمة فى خلاصة ماصح من خبر الهجرة وصفة الغار ، وكلمة فيما تضمنته الآية وأخبار الهجرة من مناقب الصديق الأكبر رضى الله تعالى عنه وأرضاه ، وكلمة فى دحض شبهات الروافض ، بل مفترياتهم فى تشويه هذه المناقب ، وتحريف كلمات الله وأخبار الرسول عن مواضعها (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم)

الكلمة الأولى فى الهجرة المحمدية

كان من حكمة الله تعالى فى رسالة محمد خاتم النبيين ، المرسل رحمة للعالمين ، ومصلحا للناس أجمعين ، أن أعدلها فى المرتبة الأولى الأمة العربية الأمية باستقلال الفكر وقوة الإرادة وذكاء القريحة ، وارتقاء اللغة ، والسلامة مما منيت به أمم الحضارة من الإستذلال والاستعباد للملوك والأمراء ورؤساء الدين . ثم كان من حكمته تعالى أن عادى هذه الدعوة والقائم بها كبراء قومه قريش ، كبراً وبغيا وعلوا واستكباراً عن الإعتراف بضلالهم وضلال آبائهم وأجدادهم فى شركهم ، لئلا يكون فى ظهورها بالحق ، شبهة يظن بها أنها إنما قامت بعصبية قريش ، وكان له ﷺ بضعة أعمام لم يؤمن به منهم فى السابقين إلا حمزة (رض) أخوه فى الرضاع وقريبه من جهة الأم، فإن أمه ابنة عم آمنة أم النبى ﷺ وقد آمن فى السنة الثانية من بعثته. وكان أبو لهب عمه الكبير الغنى أول من صارحه العداوة فقال لقريش : خذوا على يديه ، قبل أن تجتمع العرب عليه . وحسبك

ما أنزل الله فيه وفى امرأته حمالة الحطب ، وكان عمه أبو طالب هو الذى كفله بعد وفاة جده شيبة الحمد عبد المطلب ، و إنما كان يحميه و يدافع عنه لعصبية القرابة والتربية . وكان لزوجه أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها مقام كبير فى قريش كان له تأثير سلبى كبير فى تقليل إيذائه ﷺ وقد توفيت هى وأبو طالب فى أسبوع واحد . فاشتد إيذاء قريش بعدهما ، حتى أجمعوا على قتله قتلة تشترك فيها جميع قبائل قريش بأن يأخذوا من كل قبيلة شابا نهدا قويا يعطونه سيفا فيحمل عليه هؤلاء الشبان حملة رجل واحد، فيقطعونه بسيوفهم ليضيع دمه بين القبائل و يتعذر على بنى هاشم الأخذ بثأره على حسب عادة العرب فيرضون بالدية . عند هذا أمره الله تعالى بالهجرة إلى يثرب التى صار اسمها المدينة المنورة بهجرته إليها . وكان قد آمن به و بايعه من أهلها الأنصار فى الموسم من جعلهم الله تعالى مقدمة لإيمان غيرهم من الأنصار الكرام

لم يكاشف النبى ﷺ بهجرته أحداً غير صاحبه الأول

أبى بكر الصديق الذى كان أول من آمن به ممن دعاهم إلى الإسلام بعد أهل بيته (وهم زوجه خديجة وعتيقه زيد بن حارثة وربيبه على . وكان دون البلوغ ، وهؤلاء قد علموا بنبوته ﷺ وصدقوه قبل أن يأمره الله بالدعوة) فكان أبو بكر صاحبه الملازم ومستشاره الدائم ، ووزيره الأكبر وموضع سره ، وإنما كان رضى الله تعالى عنه أول من أسلم لأنه كان أشد هذه الأمة استعدادا لنور الإسلام بسلامة فطرته وطهارة نفسه ، وقوة عقله ، وعرفانه بفضائل النبى ﷺ قبل النبوة. وقد كان صديقه من سن الشباب ، وروى ابن إسحاق أنه ﷺ لم يعرض الإسلام على أحد إلا وكان له فيه كبوة إلا أبا بكر (رض) وإننا نذكر أصح ما أورده نقاد المحدثين من خبر الهجرة . وأوضحه وأبسطه: مارواه ابن أبى شيبة والإمام أحمد والبخارى وغيرهم من حديث عائشة (رض) فنبدأ به، ونقفى عليه بأحاديث أخرى من الجامع الصحيح غير ناظرين إلى روايتها فى غيره ، ثم نشير إلى غيرها .

قال البخارى فى كتاب الهجرة من صحيحه (حدثنا

يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب فأخبرنى عروة ابن الزبير أن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ قالت : لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة (١) فقال : أين تريد ياأبا بكر ؟ فقال أبو بكر أخرجنى قومى، فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى . قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج ، إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم وتحمل الكلّ وتقرى الضيف وتعين على

(١) برك الغماد: موضع على خمس ليال من مكة بطريق اليمن وقيل أقصى هجر ، وقيل أقصى اليمن. وكان يضرب به المثل فى البعد أو المشقة، كما يفهم من كلام بعض الأنصار فى قصة بدر . وقيل إنه كان يشبه بجهنم . وبرك ـ بفتح فسكون والغماد بالكسر على الأشهر ، وضم الغين بعضهم ، والدغنة بضم الدال المهملة عند أهل اللغة وبفتح أوله وكسر ثانيه عند الرواة وتخفيف النون ، وشددها بعضهم والقارة قبيلة مشهورة كان يضرب بهم المثل فى قوة الرمى بالسهام .

نوائب الحق [1] فانا لك جار ، ارجع واعبد ربك ببلدك ، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش، فقال لهم إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ، و يصل الرحم ، و يحمل الكل، و يقرى الضيف ، و يعين على نوائب الحق؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره فليصل فيها وليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا [2] فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر ، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ فى غير داره ، ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلى فيه و يقرأ القرآن

(١) هذه الصفات هى التى وصفت بها خديجة النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث البعثة ، فاما أن تكون قد اشتهرت عنها فصار يوصف بها أفضل الناس ، و إما أن تكون مأثورة من قبل خديجة عن بعض بلغاء العرب ، و يحتمل أن تكون من توارد الخواطر . وحسب أبى بكر شرفا وصفه بها (٢) أى يحولهم عن دينهم إلى دينه بتأثير قراءته للقرآن وخشوعه و بكائه فيها .

فيتقذف عليه [1] نساء المشركين وأبناؤهم ، وهم يعجبون منه و ينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن . وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم فقالوا : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، و إنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه ، فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل ، و إن أبى إلا أن يعلن بذلك ، فسله أن يرد إليك ذمتك فإنا قد كرهنا أن نخفرك ، ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان . قالت : عائشة فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر فقال قد علمت الذى عاقدت لك عليه ، فاما أن تقتصر على ذلك و إما أن ترجع إلى ذمتى، فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدت له. فقال أبو بكر: فإنى أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله عز وجل

(١) أى يتدافعون و يزدحمون فيتقذف بعضهم بعضا من التقذيف وفى رواية :فينقذف بالنون. ويروى : يتقصف و ينقصف عليه

والنبي ﷺ يومئذ بمكة فقال النبي ﷺ للمسلمين « إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين » وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة[1] ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهز أبو بكر قبل المدينة. فقال له رسول الله ﷺ « على رِسلك [2] فإني أرجو أن يؤذن لى » فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال « نعم » فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط [3] أربعة أشهر

قال ابن شهاب [4] قال عروة قالت عائشة : فبينما نحن يوما

---

(١) الحرة بالفتح وتشديد الراء الحجارة السوداء ، وقبل المدينة جهتها وهو (بوزن عنب) (٢) الرسل بالكسر المهل (٣) السمر : واحدته سمرة بضم الميم فيهما شجرة تسمى أم غيلان والخبط بالفتح ما يخبط بالعصا من ورق الشجر ليقع وهى تسمية بالمصدر . وهذا التفسير للزهرى راوى الحديث

(٤) أى قال بالاسناد السابق ، فهو ليس تعليقا

جلوس فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة [1] قال قائل لأبى بكر هذا رسول الله ﷺ متقنعا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر: فداء له أبى وأمى والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر . قالت فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبى ﷺ لأبى بكر « أخرج من عندك » فقال أبو بكر إنما هم أهلك [2] بأبى أنت يارسول الله ، قال « فانى قد أذن لى فى الخروج » فقال أبو بكر : الصحابة بابى أنت يارسول الله ، قال رسول الله « نعم » قال أبو بكر : فخذ بابى أنت يارسول الله إحدى راحلتى هاتين . قال رسول الله ﷺ « بالثمن » [3] قالت عائشة

---

(١) أى أول الزوال (٢) يعنى (رض) أن أهله كأهل الرسول ﷺ فى الاخلاص له وكتمان سره . وإنما كان عنده وقتئذ أسماء وعائشة . ففى رواية موسى بن عقبة : «لاعين عليك إنما هما ابنتاى» وكذا فى سيرة ابن هشام عن عروة (٣) سئل بعضهم عن سبب ذلك مع العلم بأن أبا بكر أنفق ماله كله عليه ﷺ فى سبيل الله ومنه زاد السفر فى الهجرة . فأجاب أنه ﷺ أحب أن تكون هجرته من مال نفسه لما فيه من الأجر العظيم

فجهزناها أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة فى جراب فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق. قالت ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار فى جبل ثور، فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر وهو غلام شاب ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمراً يكتادان به (١) إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر ابن فهيرة مولى أبى بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء فيبيتان فى رسل، وهو لبن منحتهما ورضيفهما (٢)

---

(١) الثقف بوزن كتف الحاذق فى إدراك الشىء وفعله الذى يأخذه أو يحذقه فى أسرع وقت وأقصره. واللقن بوزن كتف السريع الفهم. والادلاج السير فى آخر الليل، وقوله: يكتادان به أى يتكلف المشركون أن يكيدوهما به (٢) المراد بالمنحة الشاة، والرسل بالكسر اللبن الطرى، والرضيف اللبن توضع فيه الحجارة المحماة لينعقد ويجمد وتذهب وخامته. وقولها ينعق بها أى يصيح بالغنم لتسرح من جانب الغار قبل طلوع النهار.

حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلا من بنى الديل وهو من بنى عبد بن عدى هاديا خريتاً ـ والخريت الماهر بالهداية ـ قد غمس حلفا فى آل العاص بن وائل السهمى وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فاخذ بهم طريق السواحل

(قال ابن شهاب وأخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى وهو ابن أخى سراقة بن مالك بن جعشم: أن أباه أخبره أنه سمع سراقة ابن جعشم يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله ﷺ وأبى بكر دية كل واحد منهما من قتله أو أسره، فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال ياسراقة إنى قد رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه، قال سراقة: فعرفت أنهم هم. فقلت له: إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى وهى من وراء

أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي [1] حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها: أضرهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره ، فركبت فرسي وعصيت الأزلام [2] تقرب بي ، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت

(١) رفعتها أسرعت بها السير ، والتقريب فوق السير المعتاد ودون العدو ، وقيل في صفته أن تضع الفرس يديها معا وترفعهما معا

(٢) الأزلام جمع زلم كقلم لفظا ومعنى ، وتسمى السهام والقداح جمع قدح بالكسر ، وهي من الخشب على أحدها « نعم » وعلى الثاني « لا » والثالث غفل . يستعملونها للاستخارة التي يسمونها الاستقسام أي معرفة القسمة والحظ كما تقدم في أوائل سورة المائدة . وقوله « خرج الذي أكره » يريد أنه خرج السهم الذي فيه النهي عن إضرارهم فعصاه لشدة حرصه على أخذ الجعل من قريش وهو مائتان من الإبل .

فلم تكد تخرج يداها فلما استوت قائمة إذ لأثر يديها عثان [1] ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالأمان . فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية . وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني [2] ولم يسألاني إلا أن قال « أخف عنا » فسألته أن يكتب لي كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم ثم مضى رسول الله ﷺ

(قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض . وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة ، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة ، فانقلبوا

(١) العثان بالضم الدخان من غير نار (٢) أي لم ينقصاني بأخذ شيء مما معي

يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم . فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من من يهود على أطم من آطامهم [١] لأمر ينظر اليه ، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين [٢] يزول بهم السراب [٣] فلم يملك اليهودى إلا أن قال بأعلى صوته: يامعاشر العرب هذا جدكم [٤] الذى تنتظرون . فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بني عمرو بن عوف . وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الاول ، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً ، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ فى بنى عمرو بن عوف [٥]

---

(١) الأطم بضمتين الحصن العالى المبنى بالحجارة (٢) مبيضين لابسين البياض أو مستعجلين (٣) ويزول بهم السراب ينقطع اتصاله بظهورهم فيه (٤) جدكم بالفتح: حظكم وبختكم (٥) كانت منازلهم فى قباء وهى على فرسخ من المسجد النبوى بالمدينة

بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذى أسس على التقوى [١] وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته فسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول بالمدينة وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين ، وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة. فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته « هذا إن شاء الله المنزل » ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا، فقالا لا بل نهبه لك يارسول الله ثم بناه مسجداً وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن فى بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن :

« هذا الحمال لا حمال خيبر   هذا أبر ربنا وأطهر »

ويقول :

« اللهم إن الأجر أجر الآخرة   فارحم الأنصار والمهاجرة »

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى قال ابن شهاب

---

(١) أى المذكور فى القرآن وهو أول مسجد بنى فى الإسلام وصلى فيه رسول الله ﷺ أول جماعة جهراً .

ولم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت

(حدثنا عبد الله بن أبى شيبة حدثنا أبوأسامة حدثناهشام عن أبيه وفاطمة عن أسماء رضى الله عنها: صنعت سفرة للنبى ﷺ وأبى بكر حين أرادا المدينة، فقلت لأبى: ما أجد شيئا أربطه إلا نطاقى، قال: فشقيه، ففعلت، فسميت ذات النطاقين.

حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى اسحاق قال: سمعت البراء رضى الله عنه قال: لما أقبل النبى ﷺ إلى المدينة تبعه سراقة بن مالك بن جعشم فدعا عليه ﷺ فساخت به فرسه (١) قال ادع الله لى ولا أضرك. فدعا له. قال: فعطش رسول الله ﷺ فمر براع قال أبو بكر: فأخذت قدحا فحلبت فيه كثبة (٢) من لبن فأتيته فشرب حتى رضيت اه

(١) فى حديث أنس وهو مما تركناه اختصارا انه قال فى دعائه « اللهم اصرعه » فصرعه الفرس حالا (٢) الكثبة بالضم القليل من اللبن أو الماء.

(أقول) هذا ما اخترت نقله من صحيح البخارى من خبر الهجرة، وفيه أحاديث أخرى تراجع فى صحيح البخارى وغيره من الصحاح والسنن والسير، وفيها عبر كثيرة؛ وإننى أقفى عليه بوصف الغار الذى شرفه الله بإيوائه إليه إتماما للفائدة.

وقد ورد فى كتب الحديث والسير أخبار وآثار كثيرة فى قصة الهجرة ودخول الغار، فيها كرامات وخوارق يتساهلون بقبول مثلها فى المناقب، وإن لم تصح بطرق متصلة يحتج بمثلها فى الأحكام العملية، ولا فى المسائل الاعتقادية بالأولى.

• قال الحافظ فى شرح حديث عائشة من الفتح: إن الإمام أحمد روى بإسناد حسن من حديث ابن عباس فى قوله تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا) الآية. قال تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق — يريدون النبى ﷺ — وقال بعضهم: بل اقتلوه وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله نبيه على ذلك، فبات على على فراش رسول الله ﷺ تلك الليلة وخرج النبى ﷺ حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون

عليا يحسبونه النبي ﷺ — يعني ينتظرونه حتى يقوم فيفعلون به ما اتفقوا عليه . فلما أصبحوا ورأوا عليا رد الله مكرهم فقالوا أين صاحبك هذا ؟ قال لا أدرى ، فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاث ليال اه .

وذكر الحافظ روايات بهذا المعنى من مراسيل الزهرى والحسن فى بعض السير وغيرها ، ونقل عن دلائل النبوة للبيهقى من مرسل محمد بن سيرين أن أبا بكر ليلة انطلق مع رسول الله ﷺ إلى الغار كان يمشى بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة فسأله (أى عن سبب ذلك) فقال : أذكر الطلب فامشى خلفك واذكر الرصد فأمشى أمامك ، فقال « لو كان شيء أحببت أن تقتل دونى ؟ » قال : إى والذى بعثك بالحق . فلما انتهى إلى الغار قال : مكانك يا رسول الله حتى استبرىء لك الغار ، فاستبرأه . وذكر أبو القاسم البغوى من مرسل ابن أبى مليكة

نحوه . وذكر ابن هشام من زياداته عن الحسن البصرى بلاغا نحوه اه .

أقول : فهذه مراسيل عن كبار علماء التابعين يؤيد بعضها بعضا . وفى الموضوع روايات أخرى . منها أن حمامتين عششتا على بابه ، وفى بعض الروايات أن أبا بكر سد كل جحر كان فى الغار بقطع من ثوبه ، وهذا مراده من استبرائه .

وقال الحافظ قبل ذلك فى شرح قول عائشة « ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار فى جبل ثور » : ذكر الواقدى أنهما خرجا من خوخة فى ظهر بيت أبى بكر . وقال الحاكم : تواترت الأخبار أن خروجه ﷺ كان يوم الإثنين ودخوله المدينة كان يوم الإثنين . إلا أن محمد بن موسى الخوارزمى قال : إنه خرج من مكة يوم الخميس (قلت) يجمع بينهما بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الإثنين لأنه أقام فيه ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد وخرج فى أثناء ليلة الإثنين اه .

«الكلمة الثانية مناقب الصديق فى قصة الهجرة»

قد دلت هذه الآية الكريمة وما يفسرها و يشرحها من الأحاديث الصحيحة وما فى معناها من الأخبار والآثار مما دونها فى الرواية على مناقب وفضائل لأبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه امتاز بها على جميع أصحاب رسول الله ﷺ نذكر منها مايتبادر إلى الفهم بغير تكلف لبداهته ومن غير مراعاة ترتيب

(الأولى) أن رسول الله ﷺ لم يأمن على سره وعلى نفسه فى هذه الحادثة التى كانت أهم حوادث رسالته وأشدها خطراً وخيرها عاقبة غير صاحبه الأول أبى بكر الصديق ، و إن شئت قلت إنه لم يختر لصحبته و إيناسه فيها غيره. و يؤيده مارواه ابن عدى وابن عساكر من طريق الزهرى عن أنس (رض) أن رسول الله ﷺ قال لحسان «هل قلت فى أبى بكر شيئا؟» قال نعم ، قال «قل وأنا أسمع» فقال :

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد ... طاف العدو به إذ صعد الجبلا
وكان حِبَّ رسول الله قد علموا ... من البرية ، لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ، ثم قال « صدقت ياحسان ، هو كما قلت » .

(الثانية) أنه ﷺ رضى أن تكون نفقة هذه الرحلة من مال أبى بكر الذى أنفق جميع ماله فى خدمته ﷺ إلا أنه أحب أن تكون الراحلة التى ركبها بالثمن يدفعه بعد ذلك . وتقدم ماقاله بعض العلماء فى تعليل ذلك. وفى صحيح البخارى أن عمر بن الخطاب غضب من أبى بكر رضى الله عنه فى محاورة بينهما فطلب منه أبو بكر أن يغفر له فأبى فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له ، فقال له النبى ﷺ « يغفر الله لك ياأبا بكر » ثلاثا — قال الراوى وهو أبو الدرداء (رض) — ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبى بكر فقال : أثم أبو بكر؟ فقالوا : لا - فأتى إلى النبى ﷺ فسلم عليه فجعل وجه رسول الله ﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر[1] فجثا على ركبتيه فقال يا رسول الله ، والله أنا كنت أظلم

(١) معر الوجه وتمعر بالتشديد للتكثير أو التدريج : تغير من الغيظ حتى خاف أبو بكر أن يكلم عمر كلاما شديدا .

— مرتين — فقال النبي ﷺ « إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر : صدق ، وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لى صاحبى ؟ » مرتين ـ فما أوذى أبو بكر بعدها

وقد صرح أيضاً بأن أمن الناس عليه فى ماله ونفسه أبو بكر رواه الشيخان وغيرهما .

(الثالثة) أن الرسول ﷺ لم يختر فى ذلك وأمثاله إلا ما اختاره الله تعالى له . فهذا تفضيل من الله عز وجل للصديق على غيره من أصحاب نبيه .

(الرابعة) ذكره عز وجل فى كتابه العزيز بهذا الثناء العظيم الذى لم يشاركه فيه أحد من المؤمنين فى مقام إطلاق الانكار عليهم والتوبيخ لهم على تثاقلهم عن إجابة استنفار رسول الله ﷺ إياهم بأمره. أخرج خيثمة بن سليمان الاطرابلسى فى فضائل الصحابة وابن عساكر من طريق الزهرى عن على بن أبى طالب (رض) قال : إن الله ذم الناس كلهم ومدح أبا بكر (رض) فقال (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا

ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا)

وأخرج ابن عساكر عن سفيان بن عيينة قال : عاتب الله المسلمين جميعاً فى نبيه ﷺ غير أبى بكر (رض) وحده، فإنه خرج من المعاتبة، ثم قرأ (إلا تنصروه فقد نصره الله) الآية . ذكرها السيوطى فى الدر المنثور ـ فهذا مادل عليه أسلوب الآية والسياق من تفضيله على جميع الصحابة (رض) بغير استثناء .

وأخرج ابن المنذر عن الشعبى قال : والذى لا رب غيره لقد عوتب أصحاب محمد ﷺ فى نصرته إلا أبا بكر فقد قال تعالى (إلا تنصروه) الآية خرج أبو بكر (رض) من المعتبة .

(الخامسة) أمره ﷺ علياً كرم الله وجهه أن يبلغ الناس فى موسم الحج هذه الآية فى جملة مابلغه من أول سورة براءة كما تقدم فى أول تفسير السورة وفى ذلك حكم بالغة ، تقطع كل وتين من قلوب الرافضة ، و إن لم تقطع ألسنتهم الكاذبة الخاطئة .

(السادسة) قوله تعالى فى رسوله ﷺ وفيه (ثانى اثنين) فهذا القول من رب العالمين فى خطاب جميع المؤمنين فى هذا

المقام والسياق فيه دلالة واضحة على فضل هذين الاثنين وكون الصديق هو الثانى فى المرتبة بعد رسول الله ﷺ فى كل ما يقتضيه المقام للهجرة الشريفة من الفضائل والمزايا

قال الفخر الرازى عند ذكر هذه المنقبة ـ وهى كون أبى بكر ثانى رسول الله ﷺ فى الغار ـ ما نصه : والعلماء أثبتوا انه (رض) كان ثانى رسول الله ﷺ فى أكثر المناصب الدينية فانه ﷺ لما أرسل إلى الخلق وعرض الإسلام على أبى بكر آمن أبو بكر ، ثم ذهب وعرض الإسلام على طلحة والزبير وعثمان ابن عفان وجماعة آخرين من أجلة الصحابة (رض) والكل آمنوا على يديه . ثم انه جاء بهم إلى رسول الله ﷺ بعد أيام قلائل فكان هو (رض) ثانى اثنين فى الدعوة إلى الله . وأيضاً كلما وقف رسول الله ﷺ فى غزوة كان أبو بكر يقف فى خدمته ولا يفارقه فكان ثانى اثنين فى مجلسه ، ولما مرض رسول الله ﷺ قام مقامه فى إمامة الناس فى الصلاة . فكان ثانى اثنين ، ولما توفى دفن بجنبه فكان ثانى اثنين هناك

أيضاً اهـ . وأخص من هذا كله أنه كان ثانيه فى الشروع فى إقامة الشرع فى دار الهجرة فلم ير الأنصار معه ﷺ أحداً قبله .

(السابعة) — وهى تؤيد ما تضمنه معنى الاثنينية من رفعة المقام — قوله ﷺ له « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ » وانها لمنقبة تتضاءل دونها المناقب ، ومرتبة تنحدر عن علياء سمائها المراتب ، أكبرَ أعلمُ رسل الله بالله أمرها ، وهو أعلم بقدرها ؛ فان قوله ﷺ « ما ظنك يا أبا بكر » يكاد يراد به أنه لا يمكن أن تحوم الظنون أو تنتهى الآراء والأفكار إلى شأن أعلى من شأنها ، ومنعة أعز من منعتها الخ

(الثامنة) حكاية رب العزة والجلال لقول رسوله الذى ختم به النبيين ، وأرسله رحمة للعالمين ، لهذا الصاحب الصديق المكين (لا تحزن إن الله معنا) فهى دليل على أنه قال له ذلك بإذنه تعالى ووحيه ، لا من حسن ظنه ﷺ بربه واجتهاد رأيه ، على انه لو كان اجتهاداً أقره ربه عليه وحكاه عنه ، وجعله مما يتعبد به المؤمنين ما دامت السموات والأرض ،

لكانت قيمته فى غايته ؛ بمعنى ما كان عن الوحى منذ بدايته ، وهذا يؤيد كون ما ذكرناه فى تفسير المعية من كونها معية خاصة من نوع المعية التى أيد الله تعالى بها موسى وهارون عليهما السلام ، الا أنها أعلى فى ذاتها وشخصها من كل أفراد هذا النوع فالمعية الإلهية معنى إضافى يختلف باختلاف موضوعه ومتعلقه ، فمعية العلم عامة ، كقوله تعالى (٥٨ : ٧ ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكبر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامه إن الله بكل شىء عليم) وهى لاتشريف فيها لأهلها بل هى تهديد لهم ؛ و إنذار بأن الله مطلع على كل مايصدر عنهم ، وأنه سيحاسبهم عليه ويجزيهم به . وأعلى منها معيته تعالى للمتقين والمحسنين ، وهى تتضمن معنى التوفيق واللطف كما تقدم ، ففيها شرف عظيم ، وأعلى منها معيته عز وجل للأنبياء والمرسلين ، فى مقام التأييد على الأعداء المناوئين وهى أعلى الأنواع كما علمت . ولم يثبت لأحد من غيرهم حظ منها

إلا ما ثبت للصديق هنا .

(التاسعة) إنزال الله تعالى سكينته عليه على ما تقدم من التفسير المنقول المعقول ؛ وهى منقبة لم يرد فى التنزيل إثباتها لشخص معين قبله ولا بعده إلا الرسول ﷺ ، وإنما ورد إثباتها لجماعة المؤمنين كما تقدم ، وقد كان رضى الله تعالى عنه قائما مقام جميع المؤمنين فى الغار وسائر رحلة الهجرة الشريفة فى خدمة الرسول ﷺ وإنما أنزل التنويه بذلك فى أواخر مدة الهجرة . أى سنة تسع منها ، وقد روينا لك ما قاله على المرتضى كرم الله وجهه وغيره من تفضيله على جميع المؤمنين بهذه الآية من قبل الله عز وجل ؛ وأنه كان المبلغ لها عن الرسول ﷺ فى موسم الحج .

(العاشرة) تأييده بجنود لم يرها المخاطبون من المؤمنين وهى الملائكة بناء على القول بعطف جملة التأييد على جملة إنزال السكينة كما تقدم شرحه ، ويأتي فى هذا ماذكرناه فيما قبله من الخصوصية وجعل أبى بكر فى مقام المؤمنين كافة مع تفضيله عليهم

(الحادية عشرة) إثبات الله تعالى صحبته لرسوله ﷺ في أعظم مواطن بعثته ، وأطوار نبوته ، فان كان النبي ﷺ قد سمى أتباعه في عهده أصحابا ، تواضعاً منه وتربية لهم على احترام جميع أفراد الأمة ومعاملتهم بالعدل والمساواة ، وإزالة لما كان في الجاهلية من احتقار بعض القبائل لبعض واحتقار الأغنياء والرؤساء لمن دونهم — وابطالا لما كان في شعوب أخرى كالهنود من جعل الناس طبقات بعضها فوق بعض بالتحكم والتوارث — وهو ﷺ مبعوث إلى الجميع لإصلاح الجميع — فان هذا لا ينافي ما جرت به سنة الله تعالى في خلقه وأقرته شريعة الحق والعدل لخاتم رسله من تفاضل أفراد الناس بعضهم على بعض بالايمان والعلم والعمل ومعالي الأخلاق (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما * درجات منه ومغفرة ورحمة) (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل

الله أعظم درجة عند الله) الخ

وقد أجمع المسلمون على أن المهاجرين السابقين الأولين أفضل من سائر المؤمنين ، وورد في فضائل الهجرة آيات وأحاديث كثيرة معروفة ، وقد ثبت بالكتاب والسنة والاجماع ان أبا بكر (رض) أول المهاجرين وأنه امتاز بهجرته مع الرسول نفسه باذن ربه ورغبته ﷺ من قبل الإذن الإلهي له ، إذ منع أبا بكر من الهجرة وحده انتظاراً منه لإذن الله تعالى له بهجرته معه ، كما تقدم في الحديث الصحيح — فلا غرو أن يكون له كل ما علمنا من المزايا في الهجرة وأن يكون بها أفضل المهاجرين بعد سيد المهاجرين ﷺ وأن تكون صحبته أفضل وأكمل من صحبة غيره . وفي قوله ﷺ في حديث مغاضبة عمر له على مسمع من الصحابة « فهل أنتم تاركوا لي صاحبي » اشعار بأنه الصاحب الأكمل له ﷺ ، فهو قد أضافه إلى نفسه كما أضافه الله تعالى اليه في كتابه ، إذ الاضافة هنا كالاضافة في قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده) إضافة تشريف واختصاص ،

فان جميع الخلق عبيد الله (إن كل ما فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) وقد قال بعض الفقهاء : ان من أنكر صحبة أبى بكر رضى الله عنه للرسول ﷺ يحكم بردته عن الاسلام لتكذيبه بنص القرآن . وهاتان منقبتان فى الصحبة والهجرة جعلناهما واحدة . وقد يثلثهما انه لم يكن معه ﷺ حين وصل إلى دار الهجرة والنصرة من أصحابه السابقين الأولين غير أبى بكر (رض) فهو أول من رآه معه جماعة الأنصار (رض) وأول من صلى معه من المهاجرين أول جماعة وأول جمعة ظهرت بها شعائر الاسلام

(الثانية عشرة) حكاية الله عز وجل عن نبيه ﷺ أنه قال له « لا تحزن » فكونه ﷺ يعنى بتسليته وطمأنينته أمر عظيم، و إخبار الله بذلك فيما يتعبد به المؤمنين إلى يوم القيامة أمر أعظم. وناهيك بتعليله بما علله به من معية الله عز وجل لهما . وهذا النهى عن الحزن لم يرد فى غير هذا الموضع من القرآن خطابا من قبله تعالى إلا للنبى الأعظم ﷺ — وورد خطابا من الملائكة

للوط عليه السلام — وقد علل فى آخر سورة النحل بمعية الله تعالى للمتقين والمحسنين ، وعلل هنا بالمعية التى هى أخص منها وأعلى كما تقدم شرحه

(الثالثة عشرة) ان القرآن العظيم كلام الله تعالى ، وهو أكمل كتاب أنزله الله تعالى على خاتم رسله لهداية البشر كافة ، فهو يمدح الايمان والأعمال الصالحة والصفات الحميدة وأهلها ، و يذم الكفر والشرك والأعمال السيئة والصفات القبيحة وأهلها ، ولا ترى فيه مدحا لشخص معين من هذه الأمة غير رسولها ﷺ إلا صاحبه الأكبر أبى بكر (رض) ولا ذما لشخص معين من الكفار غير أبى لهب وامرأته . فاختصاص أبى بكر بالمدح من رب العالمين فى هذه الآية منقبة لا يشاركه فيها أحد من هذه الأمة تدل على فضله على كل فرد من أفرادها ، وهذا المعنى ، أى الاختصاص ، غير موضوع المدح المتقدم تفصيله فهو يجعل قيمته مضاعفة إذ لو كان فى التنزيل مدح لغيره كالأحاديث الشريفة الواردة فى فضائله وفضائل آخرين من أهل بيته (ص)

وأصحابه لما كانت هذه منقبة خاصة بالصديق ، وإن كان المدح المفروض لغيره دون مدحه فى موضوعه ، كما هو شأن أحاديث المناقب ، فكيف وقد جاء هذا المدح فى سياق توبيخ المؤمنين على التثاقل فى إجابة الرسول إلى ما استنفرهم له كما تقدم شرحه والآثار فيه ؟

ولا يرد على هذه الخصوصية أن قصه الاعمى تتضمن ثناء عليه بالخشية وهو شخص معين معروف أنه عبد الله بن أم مكتوم المؤذن (رض) فان السياق فيها ليس سياق مدح ، وقوله تعالى (وهو يخشى) لا يدل على أن هذه الخشية خاصة به ، ولا أنه ممتاز فيها على غيره ، على أن فيها من إثبات الفضل له ما لا يخفى .
ولا يرد أيضاً على ذم أبي لهب ماورد فى سورة المدثر فى الوليد بن المغيرة وفى سورة العلق فى أبى جهل ، فان الذم فيهما متعلق بالوصف لا بالشخص ، مع كون الموصوف قد عرف من سبب النزول لامن النص . وهو غير متواتر كتواتر وصف الصاحب للصديق ، ودونه وصف الأعمى لابن أم مكتوم ، على أنه لا يضرنا عدم الحصر هنا ، وغير مقصود فى بحثنا

الكلمة الثالثة

(تفنيد مراء الروافض ، وتحريفهم وتبديلهم لهذه المناقب)

قال الفخر الرازى : بعد تفسير الآية واستنباط ما فيها من المناقب بدون ما ألهمنا الله تعالى إياه مانصه : واعلم أن الروافض احتجوا بهذه الآية وبهذه الواقعة على الطعن فى أبى بكر من وجوه ضعيفة حقيرة جارية مجرى إخفاء الشمس بكف من الطين

(فالأول) قالوا انه قال لأبي بكر « لا تحزن » فذلك الحزن إن كان حقاً فكيف نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عنه ، وإن كان خطأ لزم أن يكون أبو بكر مذنباً وعاصياً فى ذلك الحزن ! !
(والثانى) قالوا يحتمل أن يقال إنه استخلصه لنفسه لأنه كان يخاف منه أنه لو تركه فى مكة أن يدل الكفار عليه وأن يوقفهم على أسراره ومعايبه (؟) فأخذه معه دفعاً لهذا الشر (والثالث) أنه وإن دلت هذه الحالة على فضل أبى بكر إلا أنه أمر علياً بأن يضطجع على فراشه ، ومعلوم أن الاضطجاع على فراش رسول الله ﷺ فى

مثل تلك الليلة الظلماء مع كون الكفار قاصدين قتل رسول الله تعريض النفس للفداء، فهذا العمل من على أعلى وأعظم من كون أبي بكر صاحباً للرسول – فهذه جملة ما ذكروه في هذا الباب اهـ

هذا ما نقله الرازي بحروفه وقال : إنه أخس من شبهات السوفسطائية، ورد عليه ؛ وذكر في رده رداً آخر لأبي على الجبائي إمام المعتزلة في عصره في القرن الثالث (توفي سنة ٣٠٣) فدل هذا على قدم هذا الجهل والسخف في القوم

وقد بسط ذلك الشهاب الألوسي في تفسيره نقلا عنهم وكان كثير الاحتكاك بعلمائهم في بغداد ، فقال ما نصه : وأنكر الرافضة دلالة الآية على شيء من الفضل في حق الصديق (رض) قالوا إن الدال على الفضل إن كان (ثاني اثنين) فليس فيه أكثر من كون أبي بكر متمما للعدد – وإن كان (إذهما في الغار) فلا يدل على أكثر من اجتماع شخصين في مكان ، وكثيراً ما يجتمع فيه الصالح والطالح ، وإن كان (لصاحبه) فالصحبة تكون بين المؤمن والكافر كما في قوله تعالى (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت

بالذي خلقك) وقوله سبحانه (وما صاحبكم بمجنون) و (ياصاحبي السجن) بل قد تكون بين من يعقل وغيره ، كقوله :

إن الحمار مع الحمار مطية
وإذا خلوت به فبئس الصاحب

وإن كان (لاتحزن) فيقال : لايخلو إما أن يكون الحزن طاعة أو معصية ، لاجائز أن يكون طاعة ، وإلا لما نهى عنه ﷺ فتعين أن يكون معصية لمكان النهي ؛ وذلك مثبت خلاف مقصودكم على أن فيه من الدلالة على الجبن مافيه . وإن كان (إن الله معنا) فيحتمل أن يكون المراد إثبات معية الله الخاصة له ﷺ وحده لكن أتى بـ « نا » سداً لباب الايحاش ، ونظير ذلك الإتيان « بأو » في قوله (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) – وإن كان (فأنزل الله سكينته عليه) فالضمير فيه للنبي ﷺ لئلا يلزم تفكيك الضمائر . وحينئذ يكون في تخصيصه ﷺ بالسكينة هنا مع عدم التخصيص في قوله سبحانه (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) إشارة إلى ضد ما ادعيتموه – وإن كان

مادلت عليه الآية من خروجه مع رسول الله ﷺ فى ذلك الوقت فهو عليه الصلاة والسلام لم يخرجه معه إلا حذراً من كيده لو بقى مع المشركين بمكة ، وفى كون المجهز لهم بشراء الإبل علياً كرم الله تعالى وجهه إشارة لذلك . و إن كان شيئاً وراء ذلك ، فبينوه لنتكلم عليه . انتهى كلامهم

(قال الشهاب الألوسى إثر نقله) ولعمرى إنه أشبه شىء بهذيان المحموم ، أو عربدة السكران ، ولولا أن الله سبحانه حكى فى كتابه الجليل عن إخوانهم اليهود والنصارى ماهو مثل ذلك ورده رحمة بضعفاء المؤمنين ما كنا نفتح فى رده فما ، أو نجرى فى ميدان تزييفه قلما . ثم رد كل كلمة قالوها ردا علميا أدبيا مفحما . وما شرحناه فى تفسير الآية وما استنبطناه منها بمعونة أحاديث الهجرة من المناقب التى هى نصوص ظاهرة فى تفضيل الصديق على جميع الصحابة رضى الله عنه وعنهم ، ولعن مبغضيه ومبغضيهم ، وما سنزيده على ذلك هنا من إفحامهم يغنينا عن نقل عبارته ، فانه أقوى منها فى تفنيد هذا التحريف

لكلام الله وكلام رسوله والافتراء المفضوح المعلوم بطلانه بالبداهة و إنما أختار من كلام السيد الألوسى قوله فى آخره :

« وأيضا إذا انفتح باب هذا الهذيان أمكن للناصبى أن يقول ـ والعياذ بالله تعالى ـ فى على كرم الله وجهه : إن النبى ﷺ لم يأمره بالبيتوتة على فراشه ليلة هاجر إلا ليقتله المشركون ظنا منهم أنه النبى ﷺ فيستريح منه . وليس هذا القول بأعجب ولا أبطل من قول الشيعى : إن إخراج الصديق إنما كان حذراً من شره. فليتق الله من فتح هذا الباب ، المستهجن عند أولى الألباب » اهـ

(أقول) ومن هذا الباب فى صورة التأويل ، الذى يقوله من لا يعتقد صحته لمحض التضليل ، تأويل معاوية لحديث « ويح عمار تقتله الفئة الباغية » فانه لما علم أن فئته قتلته قال : إنما قتله من أخرجه ـ يعني عليا كرم الله وجهه ـ بل هذا التأويل الباطل أقرب إلى اللغة من تأويل الروافض لخروج الصديق مع النبى ﷺ المذكور آنفاً إن صح أن يسمى تأويلا ، و إنما هو تضليل لا تأويل ، فإن هذه الفرية التى افتجرها هؤلاء الفجرة ليس لها شبهة لغوية

لا من ألفاظ الآية ولا من ألفاظ أحاديث الهجرة ، بل هى مصادمة للنصوص كلها ، ومناقضة لما تواتر وصار معلوما بالضرورة من سيرة النبى ﷺ ونشأة الاسلام من ملازمة الصديق له من أول الاسلام إلى آخر حياته ﷺ بما لا حاجة إلى شرحه ، ولا سيما بعد ما بسطناه هنا من أمره .

وأما تأويل معاوية فله شبهة لغوية ، وهو إسناد الشىء إلى سببه مجازاً ، ومنه إخراج المشركين للنبى ﷺ والمؤمنين من مكة إنما أطلق على سببه ، وهو الاضطهاد والإيذاء الذى نالوهم به ولكن لا يحمل اللفظ على المجاز إلا عند وجود المانع من حمله على الحقيقة . ولما بلغ أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه قوله رد عليه بأنه يقتضى أن يكون النبى ﷺ هو الذى قتل عمه حمزة وابن عمه جعفر وغيرهما من شهداء بدر وأحد وسائر الغزوات ، لأنه هو الذى أخرجهم إلى القتال

ثم إن من المعلوم بالبداهة أن من يخاف من وشاية آخر عليه لا يخبره بسره ، فكيف أمن النبى ﷺ أبا بكر على سره ، ورضى

أن يعلم بذلك جميع أهل بيته ، وأن يتعاهدهما ولده وعتيقه فى الغار بالغذاء و بالأنباء كل ليلة ، وأن يكون هو الذى يتولى استئجار الدليل الذى يرحل بهما ؟؟

ثم أقول زيادة فى فضيحة هؤلاء المخرفين المحرفين :

تفنيد شبهتهم على صحبة الصديق

(أولا) إنكم تزعمون أنه لا فضيلة فى صحبة الصديق للنبى فى الغار ، و يلزم منه أنه لا فضيلة فى صحبته ولا فى صحبة سائر المؤمنين له فى غير الغار من أزمنة رسالته ﷺ بالأولى ، إذ تستدلون على ذلك بأن الصحبة تكون بين المؤمن والكافر والبر والفاجر ، و بين الانسان والحيوان أيضاً . فاذا كنتم تلتزمون هذا الاستدلال ، فانه يلزمكم خزيان ، لا مقر لكم منهما (أحدهما) أن صحبة الرسول الأعظم ﷺ أعلى الله قدره ورفع ذكره ، وصحبة الكافر أو الحمار سواء (وأستغفر الله تعالى من حكاية هذا الجهل و إن كان حاكى الكفر ليس بكافر) لأن كلا منهما تسمى صحبة فى اللغة . والعبرة عندكم بالتسمية دون متعلقها ، أى إن

ما أسند اليه الفعل وما وقع عليه وما لابسه لا شأن له عندكم فى كونه حقا أو باطلا ، أو فضيلة أو رذيلة . وما قلتموه فى الصحبة يجرى مثله فى الهجرة ، فانه ثبت فى الحديث الصحيح كما هو ثابت فى الواقع أن الهجرة قد تكون إلى الله ورسوله ، وقد تكون لأجل منفعة دنيوية أو امرأة يريد المهاجر أن يتزوجها . وإذا كان كل منهما يسمى هجرة فالمهاجرون عندكم سواء فى أنه لافضيلة لهم ولا أجر عند الله تعالى ، خلافا لنصوص القرآن

(ثانيهما) أن الايمان بالله تعالى والعبادة الخالصة له لا يعدان عندكم من الفضائل ، لأنهما مشتركان فى الاسم مع الايمان بالجبت والطاغوت وعبادة الشيطان والأوثان ، فقد قال الله تعالى (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) الآية وقال (بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) وقال (ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان) وقال (و يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم)

وإذا نحن انتقلنا إلى طبيعة الصحبة ، وما فيها من العلم

والحكمة ، نقول : إن ما هذى به الروافض من صحبة المؤمن للكافر ونحوها إنما يصح فى الصحبة الاتفاقية العارضة ، كصحبة يوسف لمن كان معه فى السجن ، والرجلين الذين ضرب المثل بهما فى سورة الكهف ، دون صحبة المودة ولا سيما الدائمة ، وذلك أن صحبة المودة الاختيارية لا تكون إلا بين المتشاكلين فى الصفات والأفكار كما يدل عليه حديث « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » رواه أحمد والبخارى ومسلم وغيرهم . وقد تعارفت روحا النبى ﷺ وأبى بكر من قبل الإسلام فائتلفتا ، وزادهما الاسلام تعارفا وائتلافا ، حتى إنهما لم يفترقا فى وقت من الأوقات ، ولا فى طور من الاطوار ، وقد مهد ﷺ السبيل لاجتماع قبريهما إذ أرشد الامة إلى دفنه فى بيت عائشة الصديقة (رض) وهو يعلم أنها لابد أن تدفن والدها بجانبه . وعلماء التربية والاخلاق يعدون الصحبة والمعاشرة ركنا من أركان اقتباس كل من الصاحبين من الآخر ، فيحثون على صحبة الاخيار ويحذرون من صحبة الاشرار ، قال الشاعر الحكيم :

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدى

وقال آخر :

وقائل كيف تفارقتما   فقلت قولا فيه انصاف

لم يك من شكلى ففارقته   والناس أشكال وألاف

تفنيد شبهتهم على منقبة : ثانى اثنين

(ثانيا) أنكم تزعمون أنه لا فضيلة للصديق الاكبر (رض) فى كونه مع الرسول الاعظم ﷺ ثانى اثنين بشهادة رب العزة، ولا فى كون الله عز وجل ثالثهما، لأن العدد لا فضيلة فيه بزعمكم مهما تكن قيمة المعدود بذلك العدد، وأنتم تعلمون أن المؤمنين بكتاب الله تعالى و برسوله لا يقولون إن لفظ « اثنين » أو لفظ « ثانى » أو « ثالثهما » له فضيلة فى حروفه أو تركيبها او النطق به، و إنما يقولون: إن الفضيلة للصديق الاكبر (رض) فى المعدود والمراد بلفظ (ثانى اثنين) فى الآية و بلفظ « ماقولك يا أبابكر فى اثنين الله ثالثهما » فى الحديث، فثلاثة رب العالمين أحدهم وسيد ولد آدم وخاتم النبيين والمرسلين ثانيهم يكون

لأبى بكر الصديق أعظم الشرف فى أن يكون ثالثهم — أو كما قلتم متمما للعدد — ويزيد هذا الشرف الذاتى قيمة: انه ليس مما يحصل مثله بالمصادفة ولا بالكسب والسعى، وانما الذى اختاره له هو رسول الله بإذن الله، والمخبر بذلك هو الله ورسوله.

ولو وردت هذه الآية وهذا الحديث فى على رضى الله عنه وكرم وجهه لقلتم فى الثلاثة حينئذ نحواً مما قالت النصارى فى ثالوثهم « الآب والابن وروح القدس » كما قلتم فى كونه كرم الله وجهه أحد الذين ثبتوا معه ﷺ فى حنين، فجعلتم هذا الثبات الذى لم يتفرد به ولم يثبت بنص القرآن، ولا بحديث متواتر مرفوع، ولا مرسل، حجة على كونه وحده دون من اعترفتم بثباتهم معه سببا للنصر، وانقاذ الرسول من القتل، و بقاء الإسلام والمسلمين فى الوجود !! وكما فعلتم فى حديث مؤاخاة النبى ﷺ له، إذ فضلتموه به على الصديق وغيره، على حين قد ثبتت تسمية النبى ﷺ الصديق أخا له بأحاديث أصح من ذلك الحديث كقوله ﷺ « لو كنت متخذاً من أمتى خليلا دون ربى لاتخذت

أبا بكر خليلا، ولكن أخي وصاحبي » رواه البخاري من حديث ابن الزبير وابن عباس وغيرهما. وهو يدل على ان أبا بكر عند الرسول أعلى منزلة من جميع أمته

وقد قرأنا وسمعنا عنكم أنكم تفخرون بعدد آخر لم تثبت روايته بمثل ماثبتت به رواية هذا العدد، ولا تبلغ درجته في عظمة المعدود. قال الفخر الرازي: واعلم أن الروافض في الدين كانوا إذا حلفوا قالوا: وحق خمسة سادسهم جبريل، وأرادوا به أن الرسول ﷺ وعليا وفاطمة والحسن والحسين كانوا قد احتجبوا تحت عباءة يوم المباهلة، فجاء جبريل وجعل نفسه سادساً لهم، فذكروا للشيخ الامام الوالد رحمه الله تعالى ان القوم هكذا يقولون فقال رحمه الله: لكم ما هو خير منه بقوله ﷺ « ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ » ومن المعلوم بالضرورة أن هذ أفضل وأكمل اه

وأقول: إن من أكبر جنايات الروافض على الإسلام والمسلمين أنهم جعلوا أبا بكر وعليا رضي الله عنهما خصمين،

وما ورد في مناقبهما معارضا بعضه ببعض، وكل هذا باطل، فما كانا إلا أخوين في الله وفي نصر رسوله وإقامة الاسلام، ولكل منهما مقام معلوم، وما ورد في مناقب علي أعلى الله مقامه أكثر مما ورد في مناقب غيره، كما قال الامام احمد رحمه الله تعالى. وقد غلط الرازي في نقله ان مسألة العباء أو الكساء وردت في قصة المباهلة، فان المعروف انها وردت في اثبات جعل علي وزوجه وولديهما من أهل البيت النبوي عليهم السلام داخلين في معني قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) والآية واردة في الازواج الطاهرات (رض) إذ روى أنه ﷺ جمعهم معه في الكساء ودعا الله بأن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيراً، والمقام لا يسمح بالبحث في هذه المسألة هنا

تفنيد شبهتهم على نهيه عن الحزن

(ثالثا) انكم زعمتم أن نهي رسول الله ﷺ للصديق عن الحزن يدل على انه (رض) كان عاصيا بذلك الحزن ومتصفا

بالجبن ، وهـذا الزعم دليل على جهلكم بالقرآن و بمقام الرسول ﷺ و باللغة و بطباع البشر ، وانما أوقعكم فى هذه الجهالات التعصب الذميم وسوء النية فيه ، وحسبى فى اثبات جهلكم مابينته فى تفسير الجملة من معني الحزن والنهى عنه ، وأن جملة «لاتحزن» لم ترد فى غير هـذه الآية من القرآن إلا فى خطاب الله لرسوله ﷺ وفى خطاب الملائكة للوط عليه السلام ، فان كنتم تقولون انها تدل على العصيان والجبن يلزمكم من الطعن فى الرسول الاعظم وفى نبى الله لوط ماهو صريح الكفر ، بل أثبت الله تعالى عروض الحزن للنبى ﷺ بالفعل فى قوله (قد نعلم انه ليحزنك الذين يقولون) ومن المتواتر: أنه ﷺ كان أشجع الناس، وحسب الصديق شرفا أن ينهاه رسول الله ﷺ عما نهاه ربه عنه ، وأى شرف أعلى من هذا ؟

تفنيد تحريفهم لقوله « إن الله معنا »

(رابعا) ان مازعمتموه من احتمال أن يكون المراد من جملة (إن الله معنا) اثبـات المعية للنبى ﷺ وحده لا يصدر مثله

إلا عنكم بالتبع للملاحدة سلفكم الباطنية الذين قالوا مثل هذا فى الصلاة والصيام ، وغيرهما من العقائد وشرائع الاسلام ، فإنه مما يأباه اللفظ والاسلوب والسياق والمقام ؛ وإنما يقصد بالكلام الافهـام ، وما زعمتموه صريح فى انه ﷺ أفهم صاحبه غير الحق ، وأنه أراد أن يغشه و يوهمه بالباطل أن الله معهما ؟ حاش لله وحاش لرسوله ، ما هـذا إلا من نوع تحريف اليهود والباطنية لكلام الله ، بما لا يليق بالله ولا برسوله . وهذه الجملة بعيدة أشد البعد عن جملة (وانا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) المراد بها استمالة الكفار المعاندين لاستماع حجج القرآن ، وكانوا (ينهون عنه و ينأون عنه) والترديد فيها حق. فان أحد الفريقين على هدى أو فى ضلال مبين ، لا مفر من ذلك فى نظر العقل ، وهو لا يمنع أن يكون الواقع بالفعل : أن المخاطب لهم وهو الرسول ﷺ على الهدى وأن يكونوا هم فى ضلال مبين

ولما كان أبو جعفر محمد بن على الطبرسى من علماء العربية ومعتمدى الشيعة أبت عليه كرامة العلم أن يسفه نفسه بنقل

جهالتهم التى نقلها الرازى والألوسى للرد عليها ، فكان كل ماضعف به مناقب الصديق (رض) فى الآية : ترجيح القول بأن الضمير فى قوله تعالى (فأنزل الله سكينته عليه) راجع إلى النبي ﷺ واحتج عليه بما احتج غيره ممن رجحوا هذا القول من اتساق مرجع الضمائر — وقد علمت مافيه — وأشار بعده إلى ما للشيعة من الكلام فى ذلك. وقال: إنه أبى أن ينقله لئلا يتهم بما لايحب أن يتهم به .

(خامسا) زعمكم أن عليا كرم الله وجهه هو المجهز لهم بشراء الإبل لم يثبت برواية صحيحة بل الثابت فى الصحيح ما تقدم فى حديث الهجرة الذى سردناه آنفا من شراء الصديق للراحلتين وأخذه ﷺ لاحداها بالثمن . ولو ثبت قولكم لم يكن دالا على ما زعمتموه كما هو ظاهر .

هذا و إننى أعتقد أن قائلى ماذكره المفسرون من تحريف الرافضة للآية الكريمة وللأحاديث الشريفة فى مناقب الصديق ليسوا من الجهل باللغة العربية بحيث يعتقدون صحة ما قالوا وما

كتبوا ، و إنما هم قوم بهت ، يجحدون ما يعتقدون ، و يفترون الكذب وهم يعلمون، و يحرفون الكلم عن مواضعه كاليهود الأولين الذين حرفوا البشارات بمحمد ﷺ وكدعاة النصرانية فى هذا العصر ، والذين وضعوا لهم قواعد الرفض وخطط التأويل والتحريف هم ملاحدة الشيعة الباطنية أعداء الإسلام الذين كانوا يتوسلون بها إلى هدم هذا الدين و إزالة ملك العرب تمهيداً لإعادة الديانة المجوسية والسلطة الكسروية. وقد وضعوا لهم من الأحاديث والآثار عن أئمة آل البيت فى تحريف القرآن والغلو فيهم ومن قواعد البدع ما كانوا به شر فرق المبتدعة فى هذه الأمة ، وقد برعوا فى تربية عوامهم على بدعهم بما فيها من الغلو فى تعظيم على وآله بما هو وراء محيط الدين والعقل واللغة ، والغلو فى بغض الصديق والفاروق وذى النورين وأكابر المهاجرين وجمهور الصحابة والطعن فيهم بما هو وراء محيط الدين والعقل واللغة أيضا . و إنما خصوا الخليفتين الأولين منهم بمزيد البغض والذم لأنهما هما اللذان جهزا الجيوش وسيراها الى بلاد الفرس ففتحاها وأزالوا

دينها وملكها من الوجود . وقد صارت هذه التقاليد راسخة بالتربية والوراثة حتى صار من يسمونهم العلماء المجتهدين يكتبون مثل ما نقلناه عن بعض المعاصرين منهم فى الكلام على غزوة حنين ، وهو أعرق فى الغلو وأرسخ فى الجهل مما نقله الرازى والألوسى هنا عن بعض متقدميهم . فاذا كان هذا حال من يسمونهم العلماء المجتهدين فكيف يكون حال من وطنوا أنفسهم على التقليد فى طلب العلم ؟ ثم كيف حال عوامهم الذين يلقنونهم هذه الأضاليل ويربونهم على بغض من أقام الله بهم هذا الدين ، وصرح فى كتابه العزيز بأنه رضى عنهم ورضوا عنه ، وعلى لعن من فضله الله ورسوله عليهم كلهم ؟ وناهيك بهذه الآية تفضيلا ، ومن أصدق من الله قيلا ؟

ألا إن هؤلاء الروافض شر مبتدعة هذه الملة وأشدهم بلاء عليها ، وتفريقا لكلمتها ، وقد سكنت رياح التفريق التى أثارها غيرهم من الفرق فى الإسلام وبقيت ريحهم عاصفة وحدها فهؤلاء الإباضية لا يزال فيهم كثرة وإمارة ، ولا نراهم يثيرون بها

مثل هذه العداوة . ولو كانوا يقفون عند حد تفضيل على على أبى بكر والقول بأنه كان أحق بالخلافة منه لهان الأمر ، وأمكن أن يتحدوا مع أهل السنة الذين يعذرونهم باعتقادهم هذا إذا لم يترتب عليه ضرر ، ويعتصموا بحبل الله ولا يتفرقوا هذا التفرق ولا يتعادوا هذا التعادى اللذين أضعفا الإسلام وأهله ومزقا ملكه كل ممزق ، حتى استذل الأجانب أكثر أهله ، وهم لا يزالون يشغلون المسلمين بالتعادى على ما مضى من التنازع فى مسألة الخلافة ، ويؤلفون الكتب والرسائل فى القدح فى الصحابة ، وياليتهم يطلبون إعادة الخلافة لاهل البيت وتجديدها لإقامة دين الله وإعادة مجد الإسلام وسيادته ، فان أهل السنة لا يختلفون فى أن آل البيت على أصح بطون قريش أنسابا ، وأكرمها احسابا وأن الخلافة فى قريش ، فان وجد فيهم من تجتمع فيه سائر شروطها ويرضاه أهل الحل والعقد من الامة فهو أولى من غيره . كلا إنهم ينتظرون تجديد الإسلام وإقامته بظهور المهدى ، وعامة المسلمين ينتظرونه معهم ، فليكتفوا بهذا ويكفوا عن تأليف الكتب فى

الطعن فى الصحابة الكرام ، و بحملة السنة وحفاظها الاعلام . و إثارة الاحقاد والاضغان ، التى لا فائدة لهم منها فى هذا الزمان إلا التقرب إلى غلاتهم من العوام ، طمعاً فى الجاه الباطل والحطام و إنما فائدتها الحقيقية للأجانب من أعداء الإسلام ، ومن العجائب أن شيعة الاعاجم فى إيران قد شعروا بضرر الغلو و بالحاجة إلى الوحدة دون شيعة العرب فى العراق وسورية . فقد بلغنا عنهم ما نرجو أن يكونوا به خير قدوة لهم والله الموفق

السنة والشيعة

وضرورة اتفاقهما

بلغنا عن بعض إخواننا من مسلمى بيروت أنهم غير راضين عن رد المنار على الشيعة فى هذا العهد الذى اشتدت فيه حاجة المسلمين إلى الاتفاق والاتحاد ، ولا سيما مسلمى سورية ولبنان والعراق الذين اشتد عليهم ضغط المستعمرين فى دينهم ودنياهم . وانني أقسم بالله وآياته لشديد الحرص على هذا الاتفاق وقد جاهدت فى سبيله أكثر من ثلث قرن ، ولا أعرف أحداً فى المسلمين أعتقد أو أظن انه أشد منى رغبة وحرصاً على ذلك ، وقد ظهر لى باختبارى الطويل و بما اطلعت عليه من اختبار العقلاء وأهل الرأى أن أكثر علماء الشيعة يأبون هذا الاتفاق أشد الإباء ، إذ يعتقدون انه ينافى منافعهم الشخصية من مال وجاه . وأول من كلمتهم فى هذا الموضوع شيخنا الأستاذ الإمام فى سنة ١٣١٥ وآخرهم الاستاذ الثعالبى السياسى الرحالة الشهير مع أستاذ ذكى من شبان الشيعة العراقيين ، وفيما بين هذين

الزمنين تكاملت مع كثيرين من الفريقين فى مصر وسورية والهند والعراق ، وأعلاهم مقاما جلالة الملك فيصل ، تكلمنا فى هذه المسألة فى دمشق سنة ١٣٢٠ ثم فى مصر عند إلمامه بها فى عودته من أوربة فى خريف سنة ١٣٤٥ ه ١٩٢٦ م

ومما علمته بالخُبر والخبر ان الشيعة أشد تعصباً وشقاقاً لأهل السنة فيما عدا الهند من البلاد الجامعة بين الطائفتين فالفريقان فيها قرنان متكافئان ، وقد اجتهدت أنا وإخوانى من محبي الإصلاح فى الهند بالتأليف وجمع الكلمة ، وخطبت فى مدينة بمبي خطبة فياضة فى ذلك . و بدأت بزيارة رئيس الشيعة الدينى فى لكنهؤ دون غيره من أمراء الهند وزعمائها ، فانهم كانوا هم الدين يبدؤننى بالزيارة ، وكنت سبب دخول الكاتب الحماسى الشعبى (الدمقراطى) المؤثر ظفر على خان صاحب جريدة زميندار الوطنية المؤثرة دار (النواب فتح على خان) لأول مرة ولم يدخلها قبل ذلك قط ، ولا دخل دور غيره من سلائل الأمراء من الشيعة ولا غيرهم ، وقد رأيت لسعيي تأثيراً حسناً فى الهند

وفى إيران ، ولما ألممت ببغداد منصرفى من الهند جاءني وفد من النجف للزيارة والدعوة إلى النجف وأخبرنى رئيسه صديقى العلامة السيد هبة الدين الشهرستانى انه يوجد هنالك كثيرون من طلبة العلم على رأيي فى الإصلاح الإسلامى يتمنون لقائى ، وما منعنى من زيارة النجف إلا المرض ، وإنما كان داعية الإصلاح فيهم الملا كاظم الخراسانى وقد توفى قبل زيارتى للعراق رحمه الله تعالى ، ولكن جمهور شيعة العراق شديدو التعصب باعتراف السيد هبة الدين و بعض المنصفين منهم . وكان يوجد فى شيعة سورية من يظهر الميل إلى الاتفاق فى عهد الدولة العثمانية أكثر مما يوجد فى العراق ، وكان المنار رواج عند بعض العصريين المستنيرين منهم ، ولذلك قام أشهر علمائهم يطعن على ويتهمنى بالتعصب والتفريق لأنهم يكرهون الاتفاق لما ذكرته آنفاً . وقد صبرت عدة سنين على طعنه على قولا وكتابة، حتى صار السكوت عنه إقراراً لهم على ما تصدوا له فى هذا العهد عهد الاستعمار الفرنسى، المسمى بالانتداب، من مناهضة النهضة العربية الحاضرة من مدنية ودينية

بما هو أكبر خدمة للأجانب السالبين لاستقلال هذه البلاد سورية والعراق .

ذلك أنهم نشطوا فى هذا العهد لتأليف الكتب والرسائل فى الطعن فى السنة السنية والخلفاء الراشدين الذين فتحوا الأمصار ، ونشروا الإسلام فى الأقطار ، وأسسوا ملكه بالعدل والقوة ، وتم بهم وعد الله عز وجل (ليظهره على الدين كله) والطعن فى حفاظ السنة وأئمتها ، وفى الأمة العربية بجملتها ، وخصوا بالطعن أول ملك عربى اعترفت له الدول القاهرة للعرب والمسلمين وغيرها بالاستقلال المطلق والمساواة لها فى الحقوق الدولية ، طعنوا فيه وفى قومه بكتاب ضخم لتنفير المسلمين، ولا سيما مسلمى العرب ، وصدهم عنه واغرائهم بعداوته والبراءة منه ، لا لعلة ولا لذنب إلا اتباع السنة و إقامة أركان دولته على أساسها ؛ مع عدم تعرضه للشيعة بعداوة ولا مقاومة ، بدليل اتفاقه مع دولة الشيعة الوحيدة فى العالم وهى دولة إيران بما حمدناه لكل منهما ، ورجونا أن يكون تمهيداً للاتفاق التام بين الفريقين ، بالتبع

للاتفاق بين الدولتين

والذى بدأ هذا الشقاق وتولى كبره منهم هو صاحب ذلك الكتاب البذيء الجاهلى ، (السيد محسن الأمين العاملى) ، الذى لم يكتف فيه بإخراج ملك العرب الجديد وقومه النجديين من حظيرة الإسلام ؛ وهو يعلم أنه لا قوة له ولا للعرب بغيرهم فى هذا الزمان ، وقد قال رسول الله ﷺ « إذا ذلت العرب ذل الاسلام » (رواه أبو يعلى بسند صحيح) ولكن الاسلام عنده هو الرفض، الذى هو الغلو فى التشيع وعداوة السنة . ولم يكتف بذلك حتى زعم أن منشأ ضلال هؤلاء الوهابية وخروجهم عن الإسلام وعليه هو كتب شيخ الاسلام ، وعلم الأئمة الأعلام، مؤيد الكتاب والسنة بأقوى البراهين النقلية والعقلية ، وناقض أركان الشرك والكفر والبدع بتشييد صرح السنة المحمدية ، الشيخ تقى الدين بن تيمية ، الذى نشرنا بعض رسائله فى جمع كلمة الأمة الإسلامية ، والأدلة على أن أهل السنة لا يكفرون أحداً من أهل القبلة ، ولا يأبون صلاة الجماعة مع المبتدعة منهم .

وزعم أيضاً أن صاحب المنار قد انفرد دون المسلمين بموافقة ابن تيمية والوهابيـة ، وزاد على ذلك الطعن فى شخصه وسيرته العملية ، بما هو محض الزور والبهتان ، ليخدع الجاهلين من أهل السنة بما بيناه فى الرد عليه

وقام فى أثره من علماء شيعة العراق من ألف كتاباً خاصا فى الرد على كتاب منهاج السنة لشيخ الإسلام ، وآخرون ألفوا كتباً ورسائل أخرى فى الطعن على السنة وأهلها ، دع ما قالوه فى مؤتمرهم المشهور من تكفير الوهابية والتحريض على قتالهم ، على ضعفهم وعجزهم !

كذلك قام بعده زعيمهم الثاني فى سورية السيد عبد الحسين فألف كتاباً آخر فى الطعن على الصحابة من كبـار المهاجرين والأنصار ، وفى الأمة العربية سلفها وخلفها ، وفى أصحاب دواوين السنة ولا سيما الحافظ البخاري رضى الله عنهم . فوجب علينا الرد عليه ، ولم نفرغ إلا للقليل منه

فصاحب المنار لم يهاجم الشيعة مهاجمة و إنما رد بعض عدوانهم

وبهتانهم لبطلانه ، ولـكون هذا الطعن فى الصحابة وأئمة السنة وحفاظها وفى الأمة العربية وملـكها فى هذا الوقت لا فائدة منه إلا لأعداء المسلمين والعرب السالبين لاستقلالهم ، وأكبر قوة للأجانب عليهم تعاديهم وتفرقهم

فلا أدرى ماذا يريد الذى استنكر هذا الرد عليهم من استنكاره ، وكيف تصور إمكان الاتفاق مع قوم يتبعون أمثال هؤلاء الزعماء ، وتنشر دعايتهم هـذه مجلة العرفان بالتنويه بكتبهم هذه والعناية بنشرها ، عدا ما تبعثه هى من دعاية التشيع التى كنا نعذرها فيها بتنزهها عن الطعن الصريح فى السنة وأهلها . ولذلك كنا نرجو أن تنكر هذه الدعاية وتأبى نشر هذه الكتب الضارة بصرف النظر عن مسألة موضوعها ؛ فقد يقول أو قال صاحب مجلة العرفان : إنه يعتقد حقية ما كتبه هذان المؤلفان ، و إن كنا نشرنا عنه من قبل ما يدل على عـدم اعتقاد ما افتراه الاول على الوهابية ، ولا نعقل أن يكون معتقدا ما افتراه الثـانى على المهاجرين والانصار من وصفهم بالجبن ، ونكثهم لما بايعوا الله عليه ... ومن زعمه الذى

أقسم عليه يمينا مغلظة انه لولا على بن أبى طالب لقتل المشركون رسول الله ﷺ ولم يقم الاسلام قائمة فى الارض، بالرغم من وعد الله تعالى بنصره، وإظهار دينه على الدين كله الخ.

فهل يريد المستنكر من إخواننا أن نسكت لهؤلاء على كل هذا الطعن فيكون سكوتنا حجة على أهل السنة كافة؛ ومعصية يأثمون بها كلهم، ولا يزيد الشيعة إلا يقينا بضلالهم، وبعداً عن الاتفاق معهم؟

وقد أخبرنى من بلغني ما تقدم من الاستنكار أن بعض مسلمى بيروت استفتانى فى تزوج كل من أهل السنة والشيعة فى الآخرين ولم أفته بشيء. وأقول: إن هذا الاستفتاء لم يصل إلى، وانى كنت استفتيت فى مثله من قبل إذ خطب أحد كبار الايرانيين بمصر فتاة من بيت بعض كبراء المصريين، فأرسل الحريم يستفتونى فى ذلك سراً فأفتيت بالجواز، واستدللت بأن هذا الخاطب من الشيعة الامامية وهم مسلمون لا من البابية ولا البهائية المارقين من الإسلام، وإنما يمتنع تزويج هؤلاء والتزوج فيهم

واما رأيى فى الاتفاق فهو قاعدة المنار الذهبية التى بيناها مرارا وهى « ان نتعاون على مانتفق عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما نختلف فيه » فأهل السنة متفقون مع الشيعة على اركان الاسلام الخمسة، وعلى تحريم الفواحش ماظهر منها ومابطن، وعلى محبة آل البيت عليهم السلام وتعظيمهم، وعلى جميع المصالح الوطنية من سياسية واقتصادية، وفى البلاد العربية على اعلاء شأن الامة العربية ولغتها الخ واستغلال بلادها وعمرانها، فيجب أن يتعاونوا على ذلك كله، وهم يختلفون فى مسألة الامامة (وقد مضى وانقضى الزمن الذى كان فيه هذا الخلاف عمليا) وفى المفاضلة بين الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم، وفى عصمة الأئمة الاثنى عشر، مع مسائل أخرى تتعلق بصفات الله تعالى وفيما دون ذلك من الفروع العملية؛ فلكل من الفريقين أن يعتقد ما يطمئن اليه قلبه، ويعمل بما يقوم عنده الدليل على ترجيحه أو يقلد فيه من يثق بهم من العلماء، وأن يبين ذلك قولا وكتابة من غير طعن فى عقيدة الآخر ولا فى الصحابة وأئمة العلماء المجتهدين والمحدثين. كما فعل بعض

أدبائهم فى قصائد نظمها فى مدح الأئمة وشرحها وجعل مقدماتها فى بيان العقيدة الإسلامية عندهم ، وفيها مالا يوافقهم عليه أهل السنة ، ولا يكفرونهم به . ولم ينكر ذلك عليه أحد منهم . فيجب على محبي الاتفاق أن يقنعوهم بقاعدتنا ويؤلفوا جمعية أو حزباً من الطائفتين للعمل بمقتضاها ، بالرغم من زعم مجلة المشرق اليسوعية أن الاتفاق متعذر ، واستدلالها عليه بالمناظرة التى دارت بين المنار والعرفان ، وما كان صاحباها إلا أخوان ، ولا يتعذر عليهما العودة إلى ما كانا عليه بمقتضى هذه القاعدة .

هذا وإنا لا نعرف أحداً من علماء أهل السنة المتقدمين ولا المعاصرين يطعن فى أحد من أئمة آل البيت عليهم السلام ، كما يطعن هؤلاء الروافض فى الصحابة الكرام ، ولا سيما أبى بكر وعمر رضى الله عنهم وفى أئمة حفاظ السنة كالبخارى ومسلم وكذا الإمام أحمد إمام أئمة السنة وشيخ كبار حفاظها وشيخ الإسلام ابن تيمية والحافظان الذهبى وابن حجر وغيرهم ، فإنهم يعدونهم من النواصب لعدم موافقتهم لجهلة الروافض على ما يفترونه من

الغلو فى مناقب آل البيت ، وقد أغناهم الله عن اختلاق المناقب لهم بكثرة مناقبهم الصحيحة الثابتة بالنقل الصحيح . وحفاظ السنة ومدونوها هم المرجع فى هذا . وكل من خالفهم من المبتدعة فهم جاهلون بنقد الروايات ، والروافض منهم أجهلهم بهذا العلم وأكذبهم فى النقل ، كما هو مشهور عنهم فى التاريخ ، وقد ذكره أحد علماء ألمانية المستشرقين فى كتاب له ، وإنما النواصب أولئك الخوارج الذين يتبرؤن من على كرم الله وجهه ، وكذلك من يتولون من بغوا عليه ومن قتلوا سبط الرسول ﷺ أو يصوبون أعمالهم ، لا أئمة السنة الذين محصوا رواياتها ، وبينوا درجاتها .

ونذكر على سبيل النموذج لجهلهم بالحديث ما انتقدته مجلة العرفان على مجلة الشبان المسلمين المصرية من الثناء على معز الاسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وما أوردته فيه من هذه النقول ، وهو :

﴿ علم عمر وعلى (رض) بالدين والقضاء ﴾

بين مجلة الشبان المسلمين ومجلة العرفان

لا يطيق أحد من الشيعة المتعصبين أن يرى فى كتاب أو مجلة ثناءاً عظيما على أبى بكر أو عمر (رض) ولا سيما إذا كان فيه صيغة اسم التفضيل مع العلم بأن إسم التفضيل كثيراً ما يستعمل فى التفضيل الإضافى أو بتقدير «من» التبعيضية

وقد كتب الأستاذ الدكتور يحيى أحمد الدرديرى مقالة فى مجلة جمعية الشبان المسلمين فى الثناء على عمر بن الخطاب (رض) قال فيها : كان عمر (رض) أعلم الصحابة بالدين وأفقههم فيه . فنقل عنه الأستاذ صاحب مجلة العرفان نبذة منها وعلق على هذه الجملة رداً عليها ، لعله لم ينقلها إلا لذلك قال : هذا مناف لقول النبى ﷺ « أقضاكم على » وقوله « أنا مدينة العلم وعلى بابها » وقول عمر نفسه : لولا على لهلك عمر ، ولا كنت لقضية ليس لها أبو الحسن اه

ونقول فى الرد على الأستاذ صاحب مجلة العرفان إن الحديثين

اللذين ذكرها وهما مما يحفظه كل شيعى وكثير من غير الشيعة ليس لهما رواية صحيحة ولا حسنة ، ولو فرضنا صحتهما لما كانا معارضين لقول من قال : كان عمر أعلم الصحابة .

أما العلم والقضاء فإنه يجوز عقلا أن يكون عمر أعلم بأصول الدين ومقاصده وحكمه وسياسته ، ولا يكون مع ذلك أقضى الصحابة وأن يكون على أقضاهم ، أى أعلم بالفصل بين الخصوم وتطبيق قضاياهم على أحكام الشرع ، ولا يكون مع ذلك أعلم من عمر به وقد كان أبو يوسف أقضى من أستاذه أبى حنيفة وزميله محمد بن الحسن ولم يكن أعلم منهما ، ومثل هذا كثير مشاهد فى كل زمان . كان الشيخ محمود نشابة فى طرابلس الشام أعلم من أحمد أفندى سلطان بكل علوم الشرع . وكان أحمد أفندى أقضى منه ، بل لم يكن الشيخ محمود نشابة علامة سورية فى زمنه الذى أدركناه فى آخره مستعداً لأن يكون قاضياً

وأما حديث «أنا مدينة العلم وعلى بابها» فليس بينه — على تقدير صحته — و بين ما قاله الكاتب فى تفضيل عمر أدنى تعارض ولا منافاة ، إذ المتبادر من معناه أن علياً (رض) موصل إلى علم

النبي ﷺ بالرواية للسنة والتفسير للقرآن والعمل بهما ، وهذا المعنى صحيح في نفسه ، معلوم من جملة سيرته كرم الله وجهه ، وإن كان الحديث المذكور غير صحيح ، ليس في لفظه ما يدل على أنه أعلم بما كان في هذه المدينة من كل من كان فيها ، ولا برواية ذلك العلم وتفسيره أيضاً . وإلا لحكمنا بأن كل ماروى عن غيره كرم الله وجهه من الحديث والتفسير والأحكام فليس من علم النبوة ولم يقل بهذا رافضي ولا غيره .

والحديث رواه الحاكم في مستدركه من طريق أبي الصلت عبد السلام بن صالح عن ابن عباس وتتمته (فمن أراد المدينة فليأت الباب) وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأبو الصلت ثقة مأمون . ونقل توثيقه عن يحيى بن معين ، وتعقبه الحافظ الذهبي في تلخيص المستدرك فقال رداً على قوله «صحيح» بل موضوع .قال « وأبو الصلت ثقة مأمون» قلت: لا والله لا ثقة ولا مأمون اه وتصحيح الحاكم للأحاديث لا يعتمد عليه أحد من المحدثين فقد صحح كثيراً من الضعاف والمنكرات وكذا

الموضوعات ، وتعقبه الذهبي وغيره فيها

وأخرج الترمذي من طريق شريك عن سلمة بن كهيل عن سويد بن غفلة عن الصنابحي عن علي قال قال رسول الله ﷺ « أنا دار الحكمة وعلي بابها » هذا حديث غريب منكر روى بعضهم هذا الحديث عن شريك، ولم يذكروا فيه عن الصنابحي ولا نعرف هذا الحديث عن أحد من الثقات غير شريك ؛ وفي الباب عن ابن عباس اه كلام الترمذي

وأقول : أبو الصلت راوي الحديث الأول وثقه ابن معين كما قال الحاكم، ولكن طعن فيه الأكثرون . والجرح مقدم على التعديل . قال مسلمة عن العقيلي : كذاب ، وكذا محمد بن طاهر قال: إنه كذاب ، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد وكلهم أنكروا حديثه هذا ، وكأنهم يتهمونه بوضعه على أبي معاوية ولكن ابن معين يقول إنه ليس ممن يكذب ، وذكر أن محمد بن جعفر الباغندي حدث به عن أبي معاوية وقال أخبرني ابن نمير قال حدث به أبو معاوية قديما ثم كف عنه اه ومراد ابن معين أن أبا الصلت

لم يكن هو الذى افتراه بل كان حدث به أبو معاوية ثم كف عنه فلعل أبا الصلت رواه عنه ، ولم يبلغه كفه عن التحديث به لعدم الثقة بصحته

وقال صاحب (تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على الألسنة من الحديث) حديث « أنا مدينة العلم وعلى بابها » رواه الحاكم فى المناقب من مستدركه عن ابن عباس مرفوعا والترمذى من جامعه عن على بمعناه وقال: إنه منكر ، وكذا قال البخارى وقال إنه ليس له وجه صحيح . وقال ابن معين: إنه كذب لا أصل له ، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات ووافقه الذهبى وغيره على ذلك ، وقال ابن دقيق العيد هذا الحديث لم يثبتوه . وقيل إنه باطل اه

وقد أورده الأستاذ الشيخ محمد الحوت الكبير علامة بيروت فى (أسنى المطالب) وذكر بعض ما نقله ابن الديبع عن أستاذه الحافظ السخاوى من قول الحفاظ بوضعه حتى ابن معين ، ثم قال قد ولع به العلماء ، وذكره من دون بيان رتبته خطأ ، ومثله « أنا دار الحكمة وعلى بابها » وزاد بعضهم «وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها»

وذلك لا ينبغى ذكره فى كتب أهل العلم ، لا سيما مثل ابن حجر الهيتمى ذكر ذلك فى الصواعق والزواجر وهو غير جيد من مثله اه

وأقول : إن ابن حجر الهيتمى هذا قد أتقن فقه الشافعية التقليدى على طريقة أهل زمنه ، وهو ليس بحافظ للحديث ولا من نقاده ، وإنما ينقله من الكتب ، فإن لم تكن له عناية خاصة بالاحتجاج به فلا يبالى أكان صحيحا أم ضعيفا أم موضوعا . فكيف إذا كان له هوى يوافق معناه كالغلو فى المدح ؟ وأخطأ من حسنه بكثرة طرقه .

وأما حديث « أقضاكم على » فقد قال الحافظ السخاوى: ما علمته بهذا اللفظ مرفوعا ، بل فى مستدرك الحاكم عن ابن مسعود قال : كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة على ، وقال إنه صحيح ولم يخرجاه اه

وأقول : إن الحافظ الذهبى أقر الحاكم على روايته له عن ابن مسعود من قوله ، ولو ورد مرفوعا إلى النبى ﷺ ولو من طريق منكر لأورده الحاكم ، ولعمرى إنه لحق فى نفسه سواء كان اسم

التفضيل على بابه أم لا ، ولكن لا ندرى متى قال ابن مسعود هذا هل قاله فى زمن عمر أو بعده

وأما ماذكره صاحب مجـلة العرفان من قول عمر فهو لم يرو بسند صحيح. وإنما ذكره بعضهم فيما يتساهلون فيه من رواية المناقب وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : إنه لم يذكر عنه إلا فى قضية إن صح ، وكان عمر يقول مثل هذا لمن دون على ، كما قال للمرأة التى عارضته فى الصداق : امرأة أصابت واخطأ عمر . و بين فى منهاج السنة بالشواهد أنه كرم الله وجهه لم يكن أقضى الصحابة (رض) وفيه نظر

وأما الأحاديث الدالة على علم عمر فى الصحاح والسنن فهى كثيرة. منها موافقات رأيه للقرآن وكونه من المحدثين (بفتح الدال المهملة) أى الملهمين ، وغير ذلك ، ولسنا بصدد تفصيل هـذه المسألة ، وكذلك ماروى فى قضائه باجتهاده وفى اتباع الصحابة له فى مسائل متعددة ، وكذلك المسـائل التى كان يستشير فيها الصحابة

هذا و إن العلم الذى يتعلق به القضاء هو الأحكام العملية من شخصية ومدنية وعقوبة ، وهو أدنى علوم الدين الإسلامى ، وأما أعلاها فهو العلم بالله تعالى وصفاته و بسننه فى خلقه من نظام العالم ، و يليه العلم بتهذيب النفس وتزكيتها بالعبادات الصحيحة والعلم بسياسة الأمم و إقامة الحق والعدل فيها ، والذين يفضلون عمر على غيره فى علوم الاسلام ــ ولا سيما بعد أبي بكر ــ يفضلونه بهذه العلوم التى هى فى الذروة العليا . وهى ماتثبتهـا له أعماله وأقواله وأحواله وسياسته و إدارته ، ولم يغمطه أحد حقه فى علم الأحكام العملية القضائية أيضا ، وما روى من تفضيل على لعمر أصح مما روى من قول عمر فى على ، وما هما إلا أخوان ، ومن مصائب التعصب جعلهما خصمين يتضادان .

فان كان قد روى عن عبد الله بن مسعود أنهم كانوا يتحدثون بأن عليا كرم الله وجهه كان أقضى أهل المدينة ، فقد روى عنه أنه قال لما مات عمر « إنى لأحسب أنه ذهب بتسعة أعشار العلم » رواه أبو خيثمة فى كتاب العلم عن جرير عن الأعمش عن ابراهيم

ابن عبد الله . وقد أورده أبو طالب المكى فى قوت القلوب والغزالى فى الإحياء . قالا : فقيل : له أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة – وفى القوت: وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون ؟ فقال : إنى لست أعنى العلم الذى تذهبون اليه إنما أعنى العلم بالله عز وجل اه وجرير الراوى لهذا الأثر هو ابن حازم وهو ثقة فيما يرويه إلا عن قتادة . وأما ابراهيم بن عبد الله فلا نعرفه فى شيوخ الأعمش و إنما يروى الأعمش عن ابراهيم النخعى فلعله هو. وناهيك به فى رواة حديث ابن مسعود وآثاره

هذا و إن علماء السنة الذين طعنوا فى رواية الحديثين المذكورين قد أثبتوا من الروايات فى مناقب على (رض) أكثر مما أثبتوه من مناقب غيره من الصحابة (رض) وصرح بذلك إمامهم الأعظم احمد بن حنبل وأقروه عليه ، فهل يعدون من النواصب ؟

وأختم هذا البحث بالتذكير بأنى كنت نوهت بشيعة العراق فى أول العهد باستيلاء الانكليز عليها لأنهم كانوا أشد من أهل

السنة فى الثورة عليهم ، ولما بلغنا عنهم من احتقار الدسيسة التى عرضها عليهم الانكليز للتفرقة بينهم و بين أهل السنة، إذ عرضوا عليهم أن يكون القضاء فى الجهات التى يكثرون فيها بمذهبهم الجعفرى ، فأجابوهم بأن الشريعة واحدة لا فرق فيها بين مذهب جعفر ومذاهب أهل السنة ، و إنما الخلاف فى كل مذهب يشبه ما فى غيره ، وهو فى مسائل اجتهادية يعذر فيها كل مجتهد . ثم نكسوا على رءوسهم وعادوا إلى خدمة الأجانب بالتفريق والتعادى من حيث لا يشعرون ، ولم يعتبروا باعتدال شيعة إيران وميلهم إلى الوحدة والاتفاق ، و إنما كان أسلافهم من أمراء الفرس وموابذتهم هم الذين أسسوا قواعد الغلو فى الرفض ونظموا جمعياته ونشروه فى العالم لإزالة ملك العرب و إعادة دين المجوس وملكهم كما شرحناه مراراً ، وقد أخبرنى الاستاذ الثعالبى الذى زار بلادهم فى العام الماضى بمثل ماأخبرنى به الاستاذ الكردى الذى ذكرت خبره من قبل وهو ناشىء فى بلادهم ، قالا : إن الميل فيهم إلى الوحدة الاسلامية والاتفاق مع أهل السنة قوى جدا ، وهذا

ما نشاهده فى جاليتهم بمصر ، فهم كأهل السنة هنا فى كراهتهم للخلاف ، وحبهم للائتلاف إلا ما شذ به صديق لنا منهم طعن علينا وافترى ، فكان قدوة للعاملى فيما امترى . ثم تصافحنا وتصالحنا ونسأله تعالى أن يصلح الجميع ، فالشقاق شر للجميع .

أفليس من أعجب العجائب أن نرى أخلاف أولئك الفرس يرجعون عن ذلك الغلو ويجنحون إلى الاتفاق مع أهل السنة من العرب وتقوية الرابطة الاسلامية ، ثم نرى مع هذا أخلاف العرب حتى المنتسبين إلى الرسول الأعظم ﷺ يزدادون غلوا فى الشقاق المذهبى والسياسى الذى كان أكبر عيوب سلفها وخلفها ، وهو الذى أضعف دولها ، وأزال ملكها ، والله ان هذا لشىء عجاب ، وعسى أن يزول قريبا بسعى أولى الألباب

اقتراح مناظرة

﴿ فى الخلاف بين أهل السنة والشيعة ﴾

(جاءنا الكتاب الآتى من حضرة صاحب الإمضاء . أحد علماء الشيعة الامامية الاعلام ننشره بنصه وحروفه ، وننشر بعده جوابنا له ، وقد سبق هو فى نشرهما فى بعض الصحف)

بسم الله تعالى

بأزكى التحية وأفضل السلام أحيي ذلك الإمام السيد الرشيد آل رضا ألهمه الله قول السداد ، وسلك به سبيل الهدى والرشاد

أما بعد ، فإنى أحمد اليك الله سبحانه الذى عرفنا أولياءه وأهل محبته ، وهدانا إلى ما سنه من شريعته (وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) وأسأله أن يوفقنا جميعاً لنصرة الحق وإرشاد الضال ، وإحياء السنة وإماتة البدعة فانه ولى ذلك والقادر عليه

ثم رأيتك قد أرهفت يراعتك ونثلت كنانتك منتصباً فى وجه الشيعة زاعما أنهم قد نشطوا فى هذه الأيام لدعاية الرفض والبدع والصد عن السنة وأعلامها ، فإن يكن ذلك منك حمية للحق

وغيرة على الإسلام (والسرائر لا يعلمها غيره سبحانه) فحقق دعواك - إن رأيت - بأن تفتح لنا بابا فى مجلتك الغراء نذكر فيها المسائل الهامة التى وقع الخلاف فيها بين الطائفتين ونحقق الحق فى ذلك متبعين البرهان ، غير متحيزين إلى فئة ، ملتزمين آداب المناظرة ، وايم الحق لئن فعلت ذلك إنها لأعظم حماية للدين . وأعود نفعاً على المسلمين ، وأكون لك بلسان أهل الحق من الشاكرين ، فأرجوك وظنى بك ستحقق رجائى ولك عهد الله سبحانه أن لا أذكر فى مناظرتى كلمة أقصد بها جرح عاطفتك والغض من كرامتك ، واحتمل لك كل قول ، وبذلك يظهر فساد ماليس من الدين مما يعتقد صحته الكثير من الطائفتين ، وتنال لقب المصلح ، ويكون لمجلتك شأن ، وإننى بانتظار الجواب وإلا فسندرج صورته فى مجلة العرفان الغراء وغيرها

صاحب الكلمات

عبد الحسين نور الدين

جواب صاحب المنار

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رشيد رضا - إلى الأستاذ الكبير ؟ والعلامة الشهير السيد عبد الحسين نور الدين ، هدانا الله وإياه إلى الصراط المستقيم ، آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد فقد ألقى إلى كتاب منك أنكرت فيه علىّ ما كتبته أخيرا فى دعاية الشيعة ؛ وما هو إلا ردى على كتاب السيد عبد المحسن العاملى فيما طعن به على أقبح الطعن الدينى والشخصى بالتبع لطعنه على الوهابية ، وعلى شيخ الإسلام ابن تيمية ، بما تضمن الطعن على سلف الأمة الصالح فى عقيدتهم - ثم انتقادى ما كتبته أنت فى الجزء الأول من كلماتك فى موضوع غزوة حنين . وقد عبرت عن ذلك تعبيراً منتقداً أغضى عنه ، وأخص بجوابى ما دعوتنى إليه من فتح باب فى المنار للمناظرة « فى المسائل الهامة التى وقع فيها الخلاف بين الطائفتين » لتحقيق الحق فيها بالبرهان « غير متحيزين إلى فئة. ملتزمين أدب المناظرة » الخ

فأقول : لبيك لبيك ، لقد دعوتنى إلى ما كنت أتمنى مثله فإننى ما كتبت ولن أكتب فى هذه المسألة ولا فى غيرها إلا ما أعتقد حقيته ، وأقصد به النصيحة لله ولكتابه ولرسوله وللمسلمين وهو ما أرشدنا الله ورسوله ﷺ بقدر ما يصل اليه علمى ورأيى.

فإننى لا أنتحل مذهباً من مذاهب الفرق الإسلامية أتعصب له ولا أقلد عالما من أئمتها أتقيد برأيه واجتهاده ، فأخشى أن يظهر بالمناظرة بطلان قوله ، بل طالما ذكرت فى المنار ماهو منتقد عندى من المذاهب الشهيرة ، وليس للمنار أدنى مساعدة مالية ولا معنوية من طائفة من الطوائف ، ولا أهل مذهب من المذاهب ، ولا من فرد من الأفراد ، فأخشى على نفسى أن تتبع الهوى فى الانتصار لمذهبهم أو شخوصهم من حيث أدرى ولا أدرى

فإن كنت تعاهد الله كما أعاهده على ما نقلته عنك آنفاً فهلم ولا أحفل بما قلت قبله ولا بعده من الأمور التى أملاها عليك سوء الظن بى من ترغيب وترهيب ، وشك مريب .

ولما كانت مسائل الخلاف ، كثيرة وكان الباب الذى نفتحه

لها مع بقاء سائر أبواب المنار مفتحة ـ ولاسيما التفسير والفتاوى والشؤون الإسلامية العصرية ـ لا يتسع لدخول هذه المسائل كلها فيه إلا فى سنين كثيرة ، وجب أن نقتصر على المسائل المهمة . وأن نلتزم فيها الاختصار غير المخل بالغرض ، وأن تكون وجهتنا جمع الكلمة ، والتأليف بقدر الطاقة ، على المنهج الذى شرحته فى الجزء الرابع من (منار) هذه السنة

فعسى أن تكتب إلى برأيك فى هذا تمهيداً للشروع فى هذا العمل . وأسأله تعالى أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه من جمع كلمة المسلمين على كتابه وسنة رسوله ﷺ ونبذ البدع . ثم على مصالحهم الدنيوية العامة والسلام

١٤ رمضان سنة ١٣٤٩

المناظرة بين أهل السنة والشيعة

قد اطلع قراء المنار فى الجزء الثامن (م ٣١) على الكتاب الذى نشرناه للعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين من أشهر علماء الشيعة الامامية فى هذا العصر الذى يطلب المناظرة – وعلى إجابتنا إياه إلى طلبه وما اشترطناه فيها ، وقد جاءنا بعد ذلك الرسالة الآتية منه فاذا هو لم يلتزم فيها الشروط فكان لنا أن نطلب منه حذف ماليس من الموضوع الذى حددناه و إن كان يمت اليه بنوع من أنواع القرابة أو المناسبة ، و إذا يظن فى الظنون و يفتح له باب من النقد يقبله الكثيرون . و إننى أنشر له هذه الرسالة على كون أكثرها خارجا من دائرة الموضوع ، ومنتقدة من عدة وجوه ، و إعلانا عن كتابه بالاحالة عليه و بيان موضع بيعه ورخص ثمنه . ولكننى أعلق عليها تعليقا وجيزا أعود فيه إلى تحديد موضوع المناظرة ولا أقبل بعده كلمة تخرج عن حدودها

وهذا نص رسالته

﴿ الرسالة الأولى للعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد جرت مناظرة بيننا و بين الأستاذ العلامة الامام حضرة صاحب مجلة المنار الغراء ونال كل منا صاحبه بما جرحه فرأينا أن ذلك يحول دون الغرض الذى يؤمه أهل الدين والعقل من إحقاق الحق وجعله الضالة المنشودة لهم فكتبت اليه راجياً منه فتح باب فى المجلة نذكر فيه المسائل الهامة بين الطائفتين ورأى كل منهما ودليله

فحقق رجائى وكان عند حسن ظنى وأتحفنى بكتاب ملأه حناناً وغيرة على الدين وأهله ، ولا عجب إذا جاء الشىء على أصله وخرج الجوهر من معدنه

وأرجو ببركة هذه المجلة ونية صاحبها أن نقف على فوائد جمة ونهتدى إلى كثير مما خفى علينا علمه ومعرفته ، فنحن بلسان أهل الحق والفضل نشكره شكراً جزيلا

ودع عنك قول بعضهم دعوا البحث فيما يتعلق بالدين والمذهب وهلم إلى التعاون على توحيد الكلمة وجمع الأمر قبالة المستعمرين فان ذلك لغو من القول وخطل من الرأى وكأنها مقالة من لايرى الاسلام دينا ، ولا يرى أن هناك حياة أخرى خالدة غير هذه الحياة ، وإنما يرى الاسلام رابطة قومية وجامعة سياسية فهو يدعو إليها ويحض عليها وهذه الدعوى لاتجدى نفعا عند من يرى الاسلام دينا ويتقرب إلى الله سبحانه بنصرته ومعاداة من يمسه بسوء .

فالدواء الناجع إذن لتوحيد كلمة المسلمين وضمهم تحت لواء واحد هو سعى عقلاء العلماء (أى علماء الدين) من كلتا الطائفتين إلى محل الخلاف وفحصه وإزالته بالبرهان ، وإصغاء كل منهما لحجة الآخر وتحكيم أهل الفضل والانصاف ، ولا ينبغى وضع هذا العبء على كاهل العلماء فحسب

بل على العقلاء ممن يهمهم أمر المسلمين القيام مع العلماء مراقبين سيرهم فى المناظرة . فان الحق لايخفى على طالبه ، وإننى

لا أنكر أن يكون فى علماء الطائفتين من تهمه نفسه ولا يميل إلى الاتفاق لما اعتاده من التعصب الأعمى . فعلى العقلاء من كلتا الطائفتين رفض أولئك والتنبه لهم

وليت شعرى كيف يمكن الاتفاق بين هاتين الطائفتين قبل دفع سبب الخلاف ، إن الشيعة من المسلمين يرون أن من أرسى قواعد الاسلام وأقوى دعائمه موالاة أهل البيت والاهتداء بهديهم والعمل برأيهم وحديثهم ، وإن المنحرف عنهم النابذ لحديثهم المهتدى بخلاف هديهم غير متبع سبيل المؤمنين ، ويرون أن أبناء السنة من المسلمين منحرفون عنهم بنبذهم علمهم وحديثهم وإعراضهم عن مذهبهم فهم على غير سبيل المؤمنين .

وإن المسلمين من أهل السنة يرون أن أرسى قواعد الاسلام وأوثق عراه موالاة أصحاب رسول الله جميعهم والعمل بكل ما حدثوا به لأنهم حملة الدين وحفظة الوحى ومبلغوه إلى الأمم فالمنحرف عنهم التارك لحديثهم غير متبع سبيل المؤمنين ، ويرون أن الشيعة

منحرفون عن أصحاب رسول الله ﷺ لتركهم حديثهم وانقطاعهم إلى أهل البيت فهم على غير سبيل المؤمنين

فعلى هذا كيف يشترك المتمسكون بالدين منهما بالعمل بإخلاص ونصح مالم يقع التفاهم بينهم ؟

فلو أن شخصين متعاديين سارا في طريق واحدة لم يجدهما نفعاً إظهارهما المجاملة وقول كل واحد منهما لصاحبه : دع العداء بيننا جانباً وهلم فلنكن يداً واحدة على من سوانا . فإن ذلك غير مستطاع لهما ، واعتمادهما في التعاون على ما أظهراه من المجاملة والاتفاق غرور وأمان باطلة ، فلو ظفر بهما عدو لهما على هذه الحال ثم استعان بكل واحد منهما على صاحبه لأعانه

فعلى هذين الرفيقين أن يقتلعا سبب العداء من عروقه ويعترف كل واحد منهما لصاحبه بما جناه ويعطيه بيده ليأخذ بحقه حتى يرضى ، وعندها تذهب الشحناء ويحل محلها الود والإخاء

أما أنا فهذه يدي رهن بما أقوله معطاة لمن يريدها وما توفيقي إلا بالله .

﴿ علم علي وعمر (رض) بالدين والقضاء ﴾

ذكرت مجلة الشبان المسلمين مقالا وهو أن عمر كان أعلم الصحابة بالدين وأفقههم فيه [١] وردته مجلة العرفان بقولها : إن هذا مناف لقول النبي ﷺ « أقضاكم علي » وقوله « أنا مدينة العلم وعلي بابها » ولقول عمر : لولا علي لهلك عمر ، ولا بقيت لقضية ليس لها أبو الحسن. ورد الأستاذ العلامة صاحب المنار في الجزء الرابع من المجلد ٣١ ص ٢٩٥ هذه الأدلة وعنون المسألة بهذا العنوان

وحاصل الرد: أن ما روى عنه ﷺ من الحديثين غير صالح للاستدلال به لعدم صحة ماروى ، وعلى فرض صحته لا دلالة فيه على المطلوب إذ كون علي أقضى لا يمنع أن يكون عمر أعلم لأن القضاء ـ أعني فصل الخصومة ـ لا يحتاج إلى كثير علم [٢] وإنما يحتاج إلى ذكاء وفطنة فبين الأعلم والأقضى عموم وخصوص من وجه .

---

(١) المنار : الصواب أن مجلة الشبان المسلمين نشرت مقالا في عمر رضى الله عنه فيه كلمة بهذا المعنى ولم يكن هذا موضوع المقال (٢) لم نقل انه لا يحتاج الى كثير علم .

وكذلك جعل على (ع) باب مدينة العلم لا يوجب الحصر لجواز أن يكون للمدينة أبواب كثيرة منها على (ع) ومنها عمر (رض) ومنها غيرها . وكذلك قول عمر إنما جاء على نحو التواضع . ثم أطال البحث فى أحوال الرواة لهذين الحديثين وتضعيفهما

أقول : ما أحسن المناظرة إذا كانت بآدابها ، وصحت نية أربابها وكان الحق ضالتهم ، والبرهان قائدهم

ولنغضى عما فى هذا الجزء من الشتم والتجهيل كما تضمنته رسالة ابن تيمية . ومقالة الأستاذ التى عنوانها (السنة والشيعة وضرورة اتفاقهما) فإنها كتبت قبل الصلح والمسالمة. وقبل الخوض فى البحث نقدم بيانا يعلم منه مناظرنا كيف يسير معنا فى المناظرة

رأى الشيعة فى الخلافة :

إن المسلمين من الشيعة يرون أن الخلافة أصل من أصول الدين كالنبوة و إن نصب الخليفة واجب على الله عقلا من باب اللطف كوجوب إرسال الرسول و يرون أن الخلفية لابد أن يكون أكمل أهل زمانه فى جميع فنون الفضل، كالنبى و إن امتاز النبى ﷺ

عن الخليفة عندهم بأمور كثيرة . و يرون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ هو على أمير المؤمنين (ع) فهو أفضل أهل زمانه

رأى السنة فى الخلافة :

إن المسلمين من السنة لا يرون الخليفة بهذه العظمة فهى عندهم فرع من فروع الدين فيجب على المسلمين أن يختاروا من بينهم خليفة ولا يشترطون امتيازه عن غيره فى الفضل والصلاح ، ولعل أكثرهم لا يشترط فيه الصلاح والعدالة

فإذا عرفت ذلك ظهر لك أن الشيعة حين ينكرون أن يكون أحد من الصحابة أفضل من على (ع) أومساويا له إنما هو لمنافاته لأصل الدين وقاعدة المذهب عندهم وقد فرغوا من إثباته بالحجج القاطعة والبراهين العقلية والنقلية وألفوا فى ذلك الكتب المطولة فإن يجهل رأيهم فى الخلافة ولم يطالع ما كتبوه فى ذلك مع وفوره وقرب مناله يظن أن ذلك منهم غلو فى على وانحراف عن غيره وليس كذلك

إن العالم الشيعى ينظر الى التفاضل بين على (ع) وعمر

(رض) كأهم مسألة دينية والعالم السنى ينظر إلى التفاضل بينهما كمسألة تاريخية وحيث كان البحث فى التفاضل من الوجهة الدينية يحتاج الى البحث فى أصل الامامة وهى مسألة ضافية الذيل فسيحة الأرجاء لا تسعها هذه العجالة فلنبحث الآن عنها من الوجهة التاريخية ونعرض ما عندنا فى ذلك على أهل الفضل والإنصاف

انني وأيم الحق لم يكن يختلج فى صدرى ان أحداً من أهل الفضل يقدم أحداً من الصحابة على على (ع) فى العلم أو يساويه فيه ، وكنت أرى أن هاتين الصفتين أعنى الشجاعة والعلم قد كملتا فيه وامتاز بهما عند أوليائه وأعدائه ، وان صفة العلم فيه أظهر من صفة الشجاعة لسبقه فيها سبقاً بعيداً

هذا كتابه قرآن العارفين وفرقان السالكين تتجلى آياته وتتلألأ أسراره ، وما أخال حضرة الأستاذ يرتاب فيه كغيره بعد ما أورده أستاذه ذلك الحبر الكبير النمير العذب من من مشار به ؛ وأوقفه على تلك الآلهية عن عجائبه

اننا لعمر الحق أبعد المسلمين عن العصبية ، وأقربهم

للاتفاق ، وأحبهم للانصاف ، وما الحيلة فى ترك ولاء هذا الرجل (أعنى أمير المؤمنين علياً) وقد تجلى لنا تقدمه فى الفضل على كافة أصحاب رسول الله ﷺ وسبقه لهم فيه سبقاً بعيداً ، وانا لنعجب لبعض العلماء من إخواننا السنيين كيف لا ينصفوننا فى على (ع) ولا يرون رأينا فيه ، وما لنا لا نعجب ؟ وإنما هذا الفضل له أخذناه منهم ، ورويناه عنهم

فمن عدم انصافهم ما ذكره هذا البعض من ان عمر أعلم الصحابة ومنهم على (ع) وهنا موقف الحيرة فإن سكتنا كان ذلك اقراراً منا بالخطأ وفساد المذهب ، وإن أوضحنا الحق فى المسألة ونصرنا رأينا قامت القيامة علينا ورمينا بالرفض والغلو والتعصب على أكابر الصحابة

لكننا نؤثر احقاق الحق ونحتمل فى سبيله كل مكروه ولعلنا لا نعدم من أهل الفضل والإنصاف أنصاراً ومحكمين

اعلم أيها الأخ المنصف ان لنا على تفضيل على على عمر (رض) وعلى كافة الصحابة (رض) براهين قاطعة من طريق العقل ومن

طريق الرواية . أما من طريق العقل فيحتاج ذلك إلى معرفة الزمان الذى تلقيا فيه ذانك التلميذان العظيمان (أعنى عليا وعمر رضى الله عنهما) العلم عن معلمهما أعنى رسول الله ﷺ ومقداره ومنزلة كل واحد منهما من الفطنة والذكاء وعندها تصدر الحكم غير مرتاب

زمن اسلام عمر رضى الله عنه

أسلم عمر رضى الله عنه فى السنة السادسة من بعثته ﷺ وعمره ست وعشرون سنة ، فعليه يكون قد قطع مرحلة من عمره فى غير طلب العلم لا يستهان بها فاذا أضفت اليها ثلاث سنوات لم يلق عمر فيها رسول الله ﷺ إلا نادراً وذلك عند حصار قريش لبنى هاشم و بنى المطلب فى شعب أبى طالب رضى الله عنه تراه قد خسر أكثر رأس ماله الذى يتجر به الإنسان فى كسب العلوم والمعارف وذلك ظاهر

لأن الزمان الذى يستفيد منه المرء و يتعلم به هو زمان الصبا

والشبيبة و بها تكون القوة الذاكرة والحافظة فى منتهى النمو والنشاط والاستعداد لتلقى العلوم والمعارف

وما سمعنا بمن طلب العلم عند بلوغ هذا السن أعنى تسعاً وعشرين سنة و برع فيه وان كان ثمة أحد فهو من شواذ الطبيعة ومنكر ذلك مكابر وحائد عن طريق الانصاف

خصوصاً فى الصدر الأول أعنى زمن رسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم فقد كان الاعتماد على الحفظ والذاكرة ولم تكن يومئذ المعلومات تدون ليؤمن تفلتها وضياعها فكان أعلمهم أكثرهم حفظاً وأقواهم ذاكرة ولولا حرص التابعين على حفظ الحديث وتدوينه لما وصل الينا من علمهم شىء

ولقد كنت زمن شبيبتى أتعجب من كل من يقول نسيت فانى لم أكن لأنسى شيئاً سمعته أو قرأته و بعد بلوغى الثلاثين انقلب الأمر وأصبحت أعجب ممن يحفظ ولا ينسى ولم يبق فى ذاكرتى غير ما استودع بها زمن الصبا والشبيبة وما شكوت هذا الداء لأحد من أبناء جيلى إلا وشكا لى نفس ذلك الداء الذى أشتكيه

ويؤيد ذلك ما روى فى سيرة عمر رضى الله عنه انه لبث فى حفظ سورة البقرة وتعلمها اثنتى عشرة سنة فلما ختمها نحر جزورا (١) ولم يكن عمر رضى الله عنه يعرف بالصحبة لرسول الله ﷺ والاتصال به قبل اسلامه ليستفيد من علومه

زمن تعلم على عليه السلام

لا يرتاب أحد ممن راجع أحوال الصحابة وقرأ تاريخ حياتهم فى أن رسول الله ﷺ ضم عليا اليه وأخذه من أبيه وهو ابن

(١) روى ذلك العلامة المتبحر عز الدين بن أبى الحديد فى شرح النهج جزء ٣ صفحة ١١١ وهذا الكتاب جليل القدر جم الفوائد يدل على غزارة علم صاحبه وتقدمه فى كثير من فنون الفضل ولا سيما الحكمة والكلام والتاريخ والحديث والأدب وهو شديد الولاء لعمر رضى الله عنه طبع هذا الكتاب فى مصر سنة ١٣٢٩

أربع سنوات (١) .

وهذا هو أول الزمن الذى يتأهل الغلام فيه لتعلم مبادىء العلوم وتلقى بذور الأخلاق الطيبة والطباع الفاضلة ، ويا ما أسعد ذلك الغلام الذى يظفر بمثل ذلك المعلم فى مثل ذلك الزمان وينقطع

(١) ذكر الامام الحافظ ابن حجر فى الاصابة صفحة ٥٠٤ أن عليا ربى فى حجر النبى ﷺ ولم يفارقه وكذلك كافة المؤرخين ممن عرفناهم كالطبرى وابن الأثير وأبى الفداء وقد أشار عليه السلام إلى ذلك بخطبته التى تسمى بالقاصعة بقوله «وقد تعلمون موضعى من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعنى فى حجره وأنا وليد يضمنى إلى صدره ويكنفنى فراشه ويمسنى جسده ويشمنى عرفه. وكان يمضغ شيئا ثم يلقمنيه وما وجد لى كذبة فى قول ولا خطلة فى فعل. وكنت أتبعه اتباع الفصيل إثر أمه يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علما ويأمرنى بالاقتداء به ولقد كان يجاور فى كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيرى الخ وقد أشبعنا ذلك بيانا فى الجزء الأول من كتاب الكلمات ص ٤١ فمن شاء فليراجعه ويطلبه من إدارة العرفان من صيدا بقيمة زهيدة

اليه عن أبيه وأمه و إخوته وكل أبناء جيله ثم لايفارقه مدة حياته بخ بخ لهذا الغلام .

ومن يستطيع تحديد مااستفاده ووعاه قلبه وطبعت عليه نفسه من العلوم والأخلاق

وقف القلم ههنا بعد نخوته معترفابالعجز عن هذه المهمة من التحديد فأين ربانيو هـذه الأمة والراسخون فى العلم منهم عن تحديدها و بيان مقدارها ؟

مل بنا نحو تلك الخلوات التى كان يكون بها مع معلمه ﷺ قبل بعثته كان رسول الله ﷺ قبل بعثته قد تيمه الوجد وأورثه ذلك وحشة من الناس ، وأنسا بالخلوات والانقطاع عن هـذا الخلق المتعوس المتردد فى دياميم الجهل والشقاء ، النائى عن الخير والسعادة ، فكان يجاور فى كل سنة بحراء ومعه هذا الغلام الشهرين والثلاثة يريض تلك النفس الزكية و يؤهلها لوصل ذلك الحبيب الذى هام به

وكان على عليه السلام يهيم بذلك الحبيب كهيام معلمه

و يشاركه فى خلواته بهو أنسه بقربه وتلقى فيوضاته وألطافه لاثالث لهما فأين الأصحاب رضى الله عنهم عن تلك المراتب السامية من هـذه المكاشفات والمشاهدات لخالقهما التى كانت تنجلى فى قلبيهما وتتلألأ على طور سـينا نفسيهما ولا نعجب بعدها من أمر هذا الغلام كيف فارق أهله و إخوته وأترابه وانقطع إلى معلمه ولم تمل به الحداثة إلى الأخذ بنصيبه من اللعب واللهو وهو منتهى لذة الأحداث وقصارى رغبتهم

فلقد ملىء قلبه بحب خالقه ولم يبق فيه فراغ لسواه فسبحان واهب العطاء يختص بكرامته من يشاء ، أتظن رعاك الله أن ساعة من الزمن كانت تمر على هـذا التلميذ بغير فائدة من ذلك المعلم الحريص (1) على التعليم

فلو ادعى مدع كهذا التلميذ بعد وفاة معلمه أنه وارث علمه

---

(١) روى فى كنز العمال على هامش مسند أحمد ص ٤٣ أن عليا سئل عن كثرة ما يرويه عن رسول الله ﷺ فقال كنت إذا سألته أنبأنى وإذا سكت ابتدأنى

أتكون دعوى غلو ومجازفة أم دعوى حق و إنصاف ؟

وقد تبين مما ذكرنا أن عليا تعلم العلم من رسول الله ﷺ زمن الصبا والشبيبة بخلاف عمر رضى الله عنه وأن عمر ابتدأ بالتعلم من رسول الله ﷺ مع على بعد أن سبقه وتعلم قبله بخمس عشرة سنة على أقل ماروى من عمره يوم بعثته ﷺ وهو عشر سنين وأما على ماروى من أن عمره يوم البعثة كان خمس عشرة سنة فيكون قد سبقه بعشرين سنة فما يقال لهذا التلميذ الذى دخل المدرسة وابتدأ بالتعلم وهو ابن تسع وعشرين سنة ولم يكن[1] معروفا بحدة الذهن وتوقد

(١) روى المحدث الجليل الموثق عند إخواننا وهو محمد ابن سعد فى الطبقات جزء ٣ صفحة ٢٧٣ باسناده عن أبى هريرة قال قدمت على عمر رضى الله عنه مْن عند أبى موسى بثمانمائة ألف درهم فقال لى : بم قدمت ؟ قلت : بثمانمائة ألف درهم . فقال : ألم أقل لك إنك يمانى أحمق إنك قدمت بثمانين ألفا . فقلت يا أمير المؤمنين إنما قدمت بثمانمائة الف درهم فجعل يعجب ويكررها فقال ويحك وكم ثمانمائة الف درهم ؟ فعددت مائة الف و مائة الف حتى عددت ثمانية وروى أيضا أنه قرأ قوله تعالى (وفاكهة وأبا) فقال =

القريحة ، ثم صحب تلميذاً شابا قد تعلم قبله بخمس عشرة سنة وداما يتعلمان مدة حياة معلمهما ، فهل يجوز فى أحكام العقول عند أهل الفضل والإنصاف أن يلحق الكهل بذلك الشاب و يفوقه بالعلم والمعرفة، خصوصا إذا كان الشاب أقوى فطنة وأكثر ملازمة وانقطاعا إلى المعلم ؟ كلا ثم كلا

ما الأب ؟ هو التكلف فما عليك أن لا تدرى ما الاب . وروى احمد فى مسنده ان عمر رضى الله عنه لم يعرف حكم الشك فى الصلاة صفحة ١٩٠

وروى فيه أيضا أنه أمر برجم مجنونه زنت فانتزعها منه على عليه السلام وأخبر عمر بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « رفع القلم عن الصبى حتى يكبر وعن النائم حتى يستيقظ وعن المبتلى حتى يعقل » فرجع الى قوله وروى ابو الفرج فى الجزء الثانى من كتابه الاغانى صفحة ٥٣ ان الزبرقان ابن بدر شكا الى عمر رضى الله عنه الحطيئة الشاعر حين هجاه فقال ماقال لك فانشده

دع المكارم لا تنهض لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسى

فقال ماأراه هجاء فقال : بل هجانى ياامير المؤمنين. فسأل حسان. فقال: بل سلح عليه

وهذا لعمرى من البديهيات الأولية ، واعلم رعاك الله أيها الأخ المنصف اننا هنا لا نعتمد فى تفضيل على عليه السلام على كافة الصحابة رضى الله عنهم إلا على أمثال هذه البراهين القاطعة والأمور المحسوسة التى سجلها التاريخ وأوضحها البحث والتنقيب والتدبر . أما الأحاديث التى وردت فى فضله عليه السلام فانما نذكرها تأييداً واستظهاراً قبالة الخصم ، وهذه طريقتنا فى الأصحاب رضوان الله عليهم لا نعتمد فى فضلهم وصلاحهم على ماروى فيهم حتى ترى ما دون لهم فى التاريخ من الأعمال ، فإن كان ثمة عمل يؤيد ما روى فيهم آمنا وصدقنا ، والا اتهمنا الراوى ولم نؤمن بحديثه

ولسنا بحمد الله ممن يبخس الناس أشياءهم ، بل نعطى كل ذى حق حقه وننعت المرء بما هو فيه ، ان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه وجهة كان يؤمها ، وغاية كان يسعى إليها هى من أشرف الغايات وأعلى المقاصد

ألا وهى اعزاز الاسلام واظهار أبهته وعظمته وتفخيم سلطانه

فمن ذلك يوم أسلم قال « لا يعبد الله بعد اليوم سراً » فكان المسلمون بعدها يصلون ظاهرين

ومنها: أنه أشار بأن يتخذ لرسول الله ﷺ مكان يمتاز به عن أصحابه ليعرفه الغريب والوافد، ولا يحتاج إلى أن يسأل عنه فان فى السؤال عن العظيم مالا يخفى

ومنها :أنه أشار بأن تحجب نساؤه ﷺ ليكون لهن الميزة عن سائر النساء . ولقد قال لبعض نساء رسول الله ﷺ وقد رأى شخصها فى ملأ من الناس « لو أطعت فيكن مار أتكن عين »

ومنها : أنه أشار بقتل الأسرى يوم بدر حتى لا تقوم لقريش بعدها قائمة فإن الأسرى كانوا هم الرؤساء والقادة ، وكان يسأل رسول الله ﷺ أن يأذن له بقتل كل من يداهن فى دين الله ، وكان شديد الحرص على قتل أبى سفيان لما رآه من شدة كيده للاسلام ، وكان يوم الحديبية شديد الإنكار للصلح قال يارسول الله « ألسنا بالمؤمنين ؟ فقال نعم. فقال أليسوا بالمشركين ؟ فقال نعم فقال فكيف نعطى الدنية من ديننا ؟ حتى سكّن أبو بكر من

هيجانه فقال له : والله إنه لرسول الله، فقال عمر وأنا أعلم والله إنه لرسول الله ، فقال له إذن فالزم غَرْزه »

وهذه الأعمال ما نشأت إلا عن نية صالحة وحرص شديد على إعزاز الإسلام وتشييد سلطانه .

ولو أردنا ذكر الأعمال التى قام بها أيام خلافة أبى بكر رضى الله عنه وأيام خلافته التى أعزت الإسلام وأرست قواعده ونشرت على البسيطة أعلامه ، وطبقتها بسلطانه ، لضاقت عنها بطون الصحف واستغرقت زمنا طويلا فجزاه الله عن الإسلام وأهله خيرا

صاحب الكلمات

النبطية (سوريا)   عبد الحسين نور الدين الحسينى

(المنار) يؤخذ من هذه الرسالة الفصيحة الصريحة المجردة من لباس الرياء والتقية أن كاتبها يعتقد ما يأتى:

(١) أن توحيد كلمة المسلمين واتفاقهم على الدفاع عن دينهم المشترك وعن أنفسهم وعن حقوقهم السياسية والوطنية وغيرها يتوقف على زوال الخلاف المذهبى بين أهل السنة والشيعة ،

برجوع أحدهما إلى مذهب الآخر الذى هو سبيل المؤمنين عنده ، وإن لم يتبعه يكون غير متبع لسبيل المؤمنين . وأنه يجب على الآخر حينئذ عداوته فى الدين ، وعدم الاتفاق معه على شىء ولو كان دفع عدو لهما كليهما ، بل ان شأنهما أن يعين كل منهما عدو الآخر عليه ، وكذا عدوهما كليهما ، أى ان مظاهرة عدو الدين والوطن والاتفاق معه أولى من مظاهرة عدو المذهب والاتفاق معه

(٣) ان الوسيلة الموصلة إلى هذه هى سعى علماء الدين من الفريقين إلى إزالة أسباب هذا الخلاف بالبرهان ، وإصغاء كل منهما إلى حجة الآخر فى المناظرة وتحكيم أهل الفضل والانصاف بينهما فيما لا يتناصفان فيه

فأنا قبل الدخول فى هذه المناظرة أقول ان أهل السنة ينكرون توقف الاتفاق على ما ذكر . وإن العقلاء من جميع الأمم ينكرون إفضاء المناظرات الدينية والمذهبية إلى رجوع أهل المذهب الذى يغلب عالمه فى المناظرة إلى مذهب الغالب كما يعلم

بالاختبار فى جميع العالم . ويؤيده فينا أن المناظرات بين الفريقين قد كثرت وتعددت فى الأجيال الماضية وفى جيلنا مراراً لا يحصيها إلا الله تعالى ، وقد ألف فيها كتب كثيرة من بسيط ووسيط ووجيز ، فلم تزد السواد الأعظم من الفريقين إلا تعصباً لمذهبه وصدوداً عن مذهب الآخر . فكانت مفرقة لا جامعة ، ومبعدة لا مقربة ، وإنما تفيد المناظرات أفراداً من مستقلى الفكر فى طلب الحق ، غير المقيدى الفكر والوجدان بالإذعان لمذهب معين لا ينظر إلى غيره إلا بعين العداوة والبحث عما يفنده به ولو بالتأويل والتحريف ، وترجيح مذهبه عليه بمثل ذلك ، وبالأقيسة المؤلفة من الخطابيات والشعريات المبنية على الظنى ومادون الظنى من الروايات ، ووصفها بالبراهين اليقينات، كما يراه قارىء هذه الرسالة فى تصوير مناظرنا لتلقى على عليه السلام للعلم من النبى ﷺ قبل النبوة وبعدها بأنه كان كتلقى تلاميذ المدارس الفنية الدنيوية للفنون فيها بحفظ المتون والقواعد الرياضية من حساب وهندسة ومساحة وفلك واللغوية والعقلية

والتشريعية ثم حكمه بأن السابق إلى هذا التلقى يجب بحكم العقل أن لا يدرك شأوه اللاحق . وفى هذا البحث من الأغلاط الدينية والتاريخية والعقلية والمنطقية والطبيعية ما لا يمكن بسطه وإيضاحه إلا فى صفحات كثيرة أو رسالة مستقلة ، وسأشير إلى المهم منه بعد .

وإنما غرضى الآن أن أحتج على صحة ما اشترطته على السيد المقترح للمناظرة من وجوب الإقتصار فى المناظرة على مسائل الخلاف الأساسية . وهى ثلاثة (١) موالاة أهل البيت النبوى . وأهل السنة يوجبون هذه الموالاة بما يفهمونه ويرونه موافقاً لهدى الشريعة (٢) موالاة أصحاب الرسول. وأهل السنة يوجبونه على غير الوجه الذى ذكره كما سنبينه (٣) الخلافة . فيجب تحرير موضع الخلاف فيها أولا ، وتحديد طريقة الاستدلال عليها ثانياً ، والاتفاق على طريقة التحكيم فى الخلاف والمحكمين ثالثاً .

بيد أننى أحب أن أعلم قبل هذا هل يوافق كبار علماء

الشيعة فى سورية والعراق والهند و إيران مناظرى الفاضل على قوله: إنه لا يمكن الاتفاق بين أهل السنة والشيعة على شيء من المصالح الإسلامية السياسية والوطنية والأدبية المشتركة المنفعة إلا إذا اتفقا قبل ذلك على رجوع إحداهما إلى مذهب الآخر فيما اختلفا فيه من المسائل الأساسية ، و إلا كان دين كل منهما يقضى عليه بعداوة الآخر على الوجه الذى قاله هذا العلامة الشجاع منهم والتعليل الذى علله به ؟

إن هذا رأى لم نسمعه من غيره، ولكن سيرة الشيعة وتاريخها قد تؤيده و يدل عليه ، و إنه لأصرح رجل عرفته فيهم ، ولذلك كبرت منزلته فى نفسى على ما أعتقد من خطئه وأغلاطه و إن ما قرأته من كتابه الكلمة الأولى يدل على أنه رجل شعور ووجدان ، لا رجل تجربة و برهان ، ولولا ذلك لم يعقد أوكد الايمان ، أنه لولا على بن أبى طالب عليه السلام ، لقتل رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، ولما بقى فى الأرض إسلام ، ثم إنه يسمى فى رسالته هذه كتاب نهج البلاغة بالقرآن والفرقان» و يقول

ما يراه القراء فى شرط الاتفاق وزوال الشنآن .

فأقترح على مناظرى العلامة وعلى زميلى الأستاذ صاحب مجلة العرفان أن يأخذا لى تصريحاً من علماء الشيعة المشهورين فى جبل عامل وغيره من سورية والعراق فى رسالة السيد عبد الحسين ولا سيما شرطه هذا ، بل أكتفى برأى علماء جبل عامل وحدهم فى ذلك ونشر عنهم فى مجلتى المنار والعرفان . وسأرد فى الجزء الآتى على هذه الرسالة على كل حال .

المناظرة بين أهل السنة والشيعة

تمهيد وتصحيح غلط

نشرنا فى الجزء الأول الماضى الرسالة الأولى لمقترح المناظرة الأستاذ السيد عبد الحسين نور الدين العاملى بنصها على ما فيه وإمضائه ، ولكن سبق القلم فى عنوانها فذكرنا أن لقبه «شرف الدين» وهذا لقب لعالم آخر من العامليين يوافقه فى إسمه وهو أشهر عندنا وعند غيرنا بالذكر والعلم والرأى . فهو لا يكتب ما كتبه نور الدين .

مطالبة علماء الشيعة برأيهم فى دعوى مناظرى

نشرت رسالة مقترح المناظرة بنصها وقلت فيما علقته عليها انه لم يلتزم فيها الشرط الذى اشترطته عليه فيها ، واننى أحب أن أعلم قبل الشروع فى المناظرة «هل يوافقه كبار علماء الشيعة فى سورية والعراق والهند و إيران على قوله : إنه لا يمكن الاتفاق بين أهل السنة والشيعة على شىء من المصالح الاسلامية . . . »

إلا بالشرط الذى اشترطه وهو رجوع أحدهما إلى مذهب الآخر للسبب الذى ذكره . ثم اقترحت عليه وعلى زميلى الأستاذ الفاضل صاحب مجلة العرفان أن يأخذا لى تصريحا من علماء الشيعة المشهورين فى المسألة

مرت على هذا الاقتراح ثلاثة أشهر لم يصدر فيها المنار للاسباب المبينة فى أول هذا الجزء ولم يرد لنا من حضرة مناظرنا ولا من غيره من علماء الشيعة شىء إلا أن زميلنا الأستاذ صاحب مجلة العرفان ذكر فى كتاب تعزيته لنا عن والدتنا انكاراً على السيد عبد الحسين نور الدين فى ذلك ، وانه سينشر هذا الإنكار فى مجلته المحجوبة الآن عند عودتها إلى الظهور ، ورسالة من سائح فاضل باسم « نظرة . . » ننشرها فى هذا الفصل

ثم إننى لما دعيت إلى المؤتمر الإسلامى العام الذى عقد فى القدس وعلمت أن ممن أجابوا الدعوة إلى حضوره الأستاذ العلامة الكبير الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء الشهير أكبر مجتهدى النجف الذى هو أظهر اخواننا الشيعة سررت جد

السرور ، ونطت أملى فى مسألة الشقاق الجديد ، أن يكون تلافيها بتلاقينا فى هذا المكان الشريف، وتعاوننا هذا على هذا العمل الشريف ، بأن يكون من أهم مقاصدنا فيه السعى للتأليف . وقد سبق لى لقاء هذا الأستاذ بمصر إذ زارها بعد الحرب الكبرى وتذاكرنا فى وجوب الاتفاق فى مكتب دار المنار فوجدت منه ما أحببت من سعة الصدر والرغبة فى الاتفاق ، وكان معه فى القدس الاستاذ الشيخ عبد الرسول من آله الكرام ونجله الشيخ عبد الحكيم حفظهم الله تعالى وحفظ بيتهم العلمى موفقا لخدمة الإسلام

تلاقينا على ما أحب وأطلعت الشيخ على رسالة السيد عبد الحسين نور الدين وسألته عن رأيه فيها فأنكر عليه أشد الانكار ، فقلت إن الانكار بالقول لا يكفى فهل تكتب رأيك فى الرد عليه لينشر فى المنار ؟ قال : نعم .

وكان من حسن الحظ أن وجد فى أعضاء المؤتمر عالمان شهيران من علماء الشيعة السوريين وهما من أصدقائنا قدماء قراء

المنار ، أحدهما الشيخ سليمان الضاهر من علماء جبل عامل ، والثانى الشيخ أحمد رضا من علماء صيدا ، وقد رأيت كلا منهما منكراً على السيد عبد الحسين نور الدين قوله: ان الشيعة بمقتضى مذهبهم لا يمكن أن يتفقوا مع أهل السنة لاعتقادهم أنهم غير متبعين لسبيل المؤمنين

فأما الإستاذ الأكبر الشيخ محمد حسين فقد كتبت إليه عند ما تفضل بتوديعى فى القدس ساعة سفرى منها كتابا سألته فيه كتابة رأيه فى المسألة فأرسل إلى جوابه بعد عودته إلى النجف وسأنشره فى مقال خاص فى موضوع الاتفاق . وأما الاستاذان السوريان فلم يطلبا منى كتابا ولم يرسلا إلى شيئا فأرجو منهما أن يكتبا إلى فى الموضوع ما أقنع به قراء المنار بما سأجدد الدعوة إليه من الاتفاق والايلاف ، وأرجو مثل هذا من الأستاذ الشيخ عارف الزين ، وإذا أمكنه أخذ كتاب أو إمضاء من العلامة المجتهد الكبير السيد عبد الحسين شرف الدين وغيره فإن الفائدة تكون أتم ، فان هذا الأستاذ قد لاقيته مراراً فى بيروت

وحدثته فى وجوب السعى للاتفاق ، فوجدت رأيه موافقاً لرأيي ، وقد اتفقنا يومئذ على كلمته فى الطائفتين « فرقتها السياسة وستجمعها السياسة » وسبق لى ذكر هذه الكلمة فى المنار

وقد علم هؤلاء وسائر قراء المنار إن الذى دعانى بل دعّني إلى الرد على الشيعة بل غلاتهم الملقبين بالرافضة ذلك الكتاب الخبيث الذى لفقه ملفقه فى تكفير الوهابية كافة وشيخ الاسلام ابن تيمية وصاحب المنار خاصة . . . وما كان من تقريظ مجلة العرفان ونشرها له وعدم سماع كلمة من علماء الشيعه فى الانكار على ملفقه . دع فتنة العراق المشهورة وذيولها بين الشيعة والنجديين وكانت بدسائس المستعمرين .

ولكن جاءتنى رسالة طويلة جداً فى مناظرة طويلة لعالم سنى مع بعض الشيعة فى المحمرة لم أنشرها لأنها تزيد الشقاق احتداما

كتاب ورسالة من سائح شيعى أديب

فى الانكار على السيد عبد الحسين نور الدين

سيدى الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا المبجل

بعد التحية : لا شك أن حضرتكم تعرفون مايوجبه الدين ويحتمه الوجدان والحق على كل منا فى مثل هذا اليوم العصيب وقد أثر المقال الذى نشرتموه فى مجلتكم الغراء بامضاء السيد عبد الحسين نور الدين العاملى فى تأثيراً اضطرنى إلى تحرير كلمة حول الموضوع رغم العناء ومشقات السفر ، واني لأنتظر أن يسارع اخوانى وأساتذتى إلى نشر حقيقة هذا الرجل وصده فيما بعد عن الخوض فى مثل موضوعه ذاك المتطرف. وأملى الوحيد أن تسارعوا فى نشر ما تجدونه طياً وأشكركم من صميم قلبى ، وأقدر أعمالكم ودعاياتكم الاصلاحية بكل عواطفى ، وتقبلوا مزيد تقدير مخلصكم واحترامه .

المخلص السائح العربى

عبد الهادى آل الجواهرى

﴿ نظرة حول مناظرة ﴾

لقد كان من الصعب على وأنا بين عوامل لا تسمح لى أن أخوض فى بحث كهذا لكثرة انشغالى وتشوش بالى من كثرة الأسفار وفراق الاوطان وتعدد المصائب والاحزان .

تكاثرت الظباء على خراش　　فما يدرى خراش ما يصيد

نعم والله تكاثرت وتعدد المؤثرات المحزنة المشجية ؛ وقد كان الاجدر والاليق بإخوانى الذين أعهد فيهم الغيرة والحمية من أبناء العروبة والاسلام ، والاساتذة الذين وقفوا أقلامهم لمكافحة الحشرات التى نخرت عظامنا وأنهكت قوانا ، ومقاومة تلك الدعايات التى يقوم بها بعض أولئك المأجورين باسم الدين والمذهب ، وأن يتصدوا للطم أولئك الأوغاد الذين ينتهزون الفرص لوصمنا بوحدتنا فى الصميم وليتصيدوا بالماء العكر ، أولئك الذين لم يجدوا لهم مورداً شريفا فى هذا المجتمع يسدون به طمعهم و يملؤن به جيوبهم وعيابهم إلا إثارة العواطف المذهبية والنزعات الطائفية

يغرن بها البسطاء الجهلة ممن لم يعرفوا للدين معنى وللشريعة قيمة

من الأسف ـ وليس يجدى نفعا ـ أن نجد بعض أولئك المتزعمين باسم الدين يستغلون (ومن دون غيرهم) التهويش باسم الدين ويحتكرون سمعته لاغراضهم وأطماعهم ، فاذا ما وجدوا مجالا ليمثلوا دورهم على مرسح المذهبية أخذوا يعرضون (فلم) روايتهم المشؤومة المحزنة على رؤوس بعض السذج البسطاء والسوقة

باسم الدين تزعم بعضهم و ياحبذا لو قام ببعض ما تقتضيه هذه المهمة (ولو كانت مدعاة) من عظيم الاعمال ، فينتهز الفرصة و يبرهن على أهليته وكفاءته لهذا المنصب الجليل المهم فيؤلفوا بين النزعات ، و يوحدوا القلوب والغايات ، و يظهروا مزايا الدين و ينشروا محاسنه ليجلبوا إليه الأنظار و يحببوه فى عين الاجنبى ، لا أن يجعلوه واسطة للتنافر والتعادى و يظهروه بأسوأ مظهر وأخزى منظر ، كى ينفر منه البعيد الاجنبى الذى يمسى وهو لا يعرف منه إلا أنه دين أحزاب وخراب ، وتنافر

و بغضاء وشقاق ، على لسان من يدعون الزعامة الدينية فى الجرائد والمجلات .

أليس كذلك أيها القارىء ؟؟ أليس أن مجلاتنا وصحفنا نراها طافحة بالسباب وشتم بعضنا بعضا ؟ وما كفانا ذلك حتى أخذنا نتحوش ونتجاسر حتى على أولئك المقبورين المدفونين منذ ألف وثلاثمائة سنة . ألسنا وقدخصصنا أوقاتنا وأوقفنا أقلامنا ، و بذلنا دراهمنا ، وأشغلنا مطابعنا ، وأنهكنا أفكارنا وأدمغتنا ، وسهرنا الليالي والأيام ، لنخلق لنا هـذه المشاكل المذهبية ولنجعل لنا عقبة لن تذلل ؟ ألسنا ونحن أصبحنا بفضل هذه كلها فى مؤخرة العالم والمجتمع وعبيداً للأجانب يفترس بعضنا الآخر وكل ذلك فى مصلحة الأجنبي الغربي

أليس نظرة واحدة إلى ماضينا المجيد حين كنا تحت راية واحدة وقد ملكنا زمام أكثر العالم ، وركزنا تلك الراية فى قلب الغرب تكفينا وتدلنا على الفرق بين ذلك الزمن والزمن الذى ابتدأت فيه نار الفتن الطائفية والنزعات المذهبية ، وما وصلنااليه

اليوم من حالة لايرجى لهـا خير ؟ أليس السبب فى ذلك كله هو التخاذل والتباغض باسم السلف الصالح والاسلام ؟ وحاشا للاسلام أن تكون هذه مبادئه ، بل حاشا للسلف الصالح أن يرضى هذه الأساليب والمبتكرات ، حاشا ثم حاشا . أوليس دين الاسلام هو دين التآخى والتآلف ؟ دين الوحدة والوئام ؟

أباسم عمر وعلى نطعن هذا الدين فى الصميم ؟ أباسمهما نمزق أوصال الدين ونشتت شمله ؟ ونثلم وحدته ونضيمه ؟ حاشاهما أن يعذرا كم ياقوم ، وأن يرضيا هـذه الأفعال والأعمال ، و باسمهما تتفرقون وتتشتتون ؟؟ فاتقوا الله ياقوم فيهما

هلموا ياقوم وأمعنوا نظركم ، وتتبعوا التواريخ ، فانكم تجدون السبب كله فى هـذا التطاحن المذهبى هو تداخل الأجانب فى أمورنا الدينية ، وتشبثهم باسم الدين فى تفريقنا وتباغضنا ، والعار كل العار أن نكون وفق مشيأتهم وتحت إرادتهم ، وأن نستسلم مذعنين لما يفرضونه علينا من التنابذ والتعادى

والأسف كل الأسف أن تلعب بنا الأهواء والنزعات ،

وتقودنا فئة ذات أطماع وأغراض باسم الدين والاسلام إلى المهاوي والمهلكات ، وهم بعيدون كل البعد (لو تحققنا) عن الاسلام ومبادئه مأجورون بدعايتهم هذه ومستخدمون بمبادئهم تلك .

وفي هـذا اليوم وقد أخذ الكل يشعر بالحاجة إلى التآلف وتوحيد الصفوف أمام الاستعمار وسيله الجارف — في هذا اليوم الذي نئن فيه من انشقاقنا وانخذالنا — في هذا اليوم الذي سهل على العدو أن يمص آخر قطرة من دمائنا وينخر عظامنا ، يظهر لنا حضرة السيد عبد الحسين نور الدين العاملي في النبطية بمقاله المنشور في المنار الجزء الأول من المجلد الثاني والثلاثين سنة ١٣٥٠ مناظراً فيه حضرة الاستاذ صاحب المنار السيد محمد رشيد رضا يمثل الشيعة ويعبر عنهم في ذلك المقال المزيف المملوء خطأ وركة والذي ينكره عليه الشيعة أنفسهم ، والذي اعتبره حضرته أساساً للصلح ، وفاتحة لعقد التفاهم والمودة ما بين أهل السنة والشيعة

وقد كنت أنتظر من إخواني الشيعة في العراق وسوريا أن يسارعوا في احتجاجهم واستنكارهم على هذا الرجل المدعي ، وأن

يعجلوا في كم فمه والضرب على يده ، كي لا يعود لمثلها أبداً ، ولا زلت انتظر من الشيعة في القطرين الشقيقين أن يعلنوا استنكارهم من هذه الفئة المتعجرفة وبراءتهم من هذا الحزب المتعصب المأجور الذي جرهم إلى الهلاك والتدهور ، وأن لا يتساهل المصلحون الذين أعيد فيهم الحرص على سمعة الاسلام في تدارك ما جاء على لسان هذا الرجل ، وينشروا حقيقة روح المسالمة والمودة الأكيدتين بين إخوانهم السنيين والشيعيين ، ويدعوا بعضهم البعض إلى حسم هذا الخلاف وإتمام فصول هذه الرواية المحزنة ، وليجعلونا نسير والكل منا ينشد :

ما مذهب السني إلا مذهب الز … يدي والشيعي والوهابي
الدين يبرأ من تطاحن أهله … والأخذ بالتهويل والارهاب
إن الشقاء وإن تطاول عهده … آبت به الأيام شر مآب
ألمذهب يتقاتلون وحولهم … إلب العداوة تهم بالأسلاب

وأعود فأقول بالرغم من شذوذ حضرة السيد عبد الحسين نور الدين عن الموضوع المتفق عليه في المناظرة، وخروجه عن الخطة

المرسومة فقد جاء فى المقال مالفظه (روى فى كنز الأعمال على هامش مسند أحمد صفحة ٤٣ أن علياً سئل عن كثرة ما يرويه عن رسول الله ﷺ فقال: كنت إذا سألته أنبأنى و إذا سكت ابتدأنى

وقد راجعنا هامش الستة مجلدات من مسند الإمام أحمد فلم نجد لذلك أثراً

وجاء أيضاً فى المقال نفسه (روى المحدث الجليل الموثق عند اخواننا وهو محمد بن سعد فى الطبقات جزء ٣ صفحة ٢٧٣ بإسناد عن أبى هريرة قال: قدمت على عمر (رض) من عند أبي موسى بثمانمائة الف درهم فقال لى: ألم أقل لك انك يمان أحمق، إنك قدمت بثمانين ألفا. فقلت يا أمير المؤمنين إنما قدمت بثمانمائة الف درهم، فجعل يعجب و يكررها، فقال ويحك وكم ثمانمائة الف درهم؟ فعددت مائة الف ومائة الف حتى عددت ثمانمائة)

وقد راجعنا أيضاً فى طبقات ابن سعد فلم نجد لذلك أثراً.

وهكذا قد لفق حضرته مقاله وادعى فيه أنه جاء يريد بذلك الاتفاق والتآخي وهو أبعد ما يكون من روح الوفاق والوئام، لما ضمنه

من جمل وكلمات لا يوافقه عليها الشيعة أنفسهم (طبعاً) وكان الأحرى بصاحب (كذا) أن ينتخب لو أراد التفاهم و إزالة الخلاف أن يختار من أولئك المصلحين القادرين الذين لا اخال حضرته يجهلهم من إخوانه (الشيعة) فى العراق وسورية

أما أن يتصدى أمثال السيد عبد الحسين نور الدين و يتزعم باسم الفرقة الشيعية والذى أعرفه منه أنه لا يملك حريته الشخصية فضلا عن الملايين، وأنه مأجور لبعض العلماء الإيرانيين (فى النجف) ثم يجيء حضرة الأستاذ صاحب المنار و يفتح له مجلته للنشر، فذاك أمر يزيد الطين بلة، و يوسع شقة الخلاف، وحينئذ يتعذر على المصلحين الحقيقيين تلافى الخطر [١]

وإنى أعلم بصفتى أحد الشيعة ومن بيت له مكانته الدينية عند الشيعة ومطمئن من أن كلمتى هذه سوف ينكرها على حضرة

---

(١) المنار: انما فتحنا الباب لمناظرة علمية يقصد بها جمع الكلمة فلما رأينا الرسالة الأولى على خلاف الشرط والقصد فوضنا أمر الحكم فيها الى علماء الشيعة

السيد عبد الحسين وأتباعه المأجورون ، ولكنى أعتقد أيضا أنها سوف تلاقى استحسانا من حضرات العلماء والأساتذة المصلحين ومن إخوانى الشيعيين جميعا الذين أخذوا يشعرون بحاجتهم إلى التعاون والتفاهم مع إخوانهم ، وأنهم ينفرون من أعمال هذه الفئة المتعصبة المعدودة ، التى لا زالت تشوه سمعتنا وتسيىء الينا فى الخارج ، وهم غير مؤيدين من عشر الشيعة ، ولم يوافقهم أحد على ما يقولون و يدعون . وأملى الأكيد أن سوف يعرف رجال الإصلاح وزعماؤه غايات أمثال السيد عبد الحسين فلا يدعوا لهم مجالا بعد هذا لبث سمومهم القتالة ، وأن يعرفوا العالم هويات هؤلاء ومراميهم ، و إن بعد هذا لنا عليهم حساب (وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون)

السائح العربى

الحجاز ١٤ رجب سنة ١٣٥٠ — عبد الهادى آل الجواهرى

(المنار) اننا نشكر لهذا السائح الكريم من هذا البيت العريق غيرته الإسلامية التى لا شك فى أن فوائد السياحة وعبرها تزيد فى إذكاء نارها ، وتألق أنوارها ، و إنى لا أوافقه على أن دعاة

التفريق بين المسلمين بعصبية المذاهب أصحاب أهواء وطلاب مال وجاه ، وأن دسائس الأجانب والمتعصبين تعبث بهم من حيث يدرون ومن حيث لا يدرون وهذا مالا يشك فيه أحد من المختبرين الواقفين على الحقائق .

و إننى على هذا العلم لأجرأ على تبرئة السيد عبد الحسين نور الدين من سوء النية أو خدمة دسائس بعض الإيرانيين أو المستعمرين الذين يستفيدون من غلوه ، ولا أزال على رأيى السابق فيه وهو أنه ذو وجدان خيالى دينى مستحوذ عليه فهو يعتقد ما يقول .

﴿ الرد على السيد عبد الحسين نور الدين ﴾

(لا على الشيعة فى المفاضلة بين الخليفتين)

لا مندوحة لى وقد نشرت هذه الرسالة على منكراتها من الرد عليها ، ليرى صاحبها قيمة حججه فى مسألة التفاضل بين عمر وعلى رضوان الله عليهما ، وأن بعض ما سماه براهين قطعية . لا يعدو أن يكون شبهات خطابية ، وتخيلات شعرية ، لا يصح

فى الشرع ولا العقل أن تجعل من عقائد الدين . ويجعل الخلاف فيها سبباً للشقاق بين المسلمين ، وأن من أكبر الخذلان ، واتباع خطوات الشيطان ، أن يجعل الخلف الطالح مسألة المفاضلة بين الخليفتين من أصول الدين ، التى يقذف فيها المخالف بأنه « غير متبع سبيل المؤمنين » مع العلم القطعى بأن علياً كان ولياً ونصيراً وظهيراً وقاضياً ووزيراً لعمر ، وأنه فضله هو وأبو بكر على نفسه وسائر أصحاب رسول الله ﷺ كما رواه أحمد والبخارى وغيرهما بالأسانيد الصحيحة ، يقابله ما علم واشتهر من تقديم عمر له فى التعظيم والشورى والقضاء ، ومن تفضيله على نفسه ما قاله عمر لابنه عبد الله حين عاتبه على تفضيل الحسن والحسين عليهما فى العطاء فقال له : ألك أب كأبيهما أو جد كجدهما ؟ كما نقله الرضى فى نهج البلاغة

أليس أمير المؤمنين على (ع.م) هو القدوة الأكبر بعد رسول الله ﷺ المعصوم عند اخواننا الشيعة فلماذا لا يتبعونه فى إجلال أبى بكر وعمر وكذا عثمان لأجل جمع كلمة المسلمين ، وإعلاء

كلمة الدين ؟ وإن كان أحق بالخلافة منه عندهم ، أو ليس هو وعمر عند أهل السنة فى درجة واحدة من الخلافة الراشدة ؟ وقد قال النبى ﷺ « فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » فما لنا فى هذا العصر لا نقتدى بهما فى الولاية والتعاون على مصلحة المسلمين ، ونتسلق إلى ما لا نبلغه من التفاضل بين عليهما ؟ ألا إننا سنفعل ذلك رغم أنوف المتعصبين الخياليين والمأجورين .

تفنيد ما سماه البراهين القاطعة على تفضيل على

خلاصة براهينه : أن عمر أسلم فى السنة السادسة من البعثة وعمره ست وعشرون سنة ، ومكث مدة ثلاث سنين لا يرى النبى ﷺ إلا نادراً وهى مدة حصار بنى هاشم و بنى المطلب فى الشعب

ونتيجة هذا أنه طلب العلم فى سن لم يسمع المعترض أن أحداً طلب العلم فيها و برع فيه - فهذا برهان عقلى عنده على أن عمر لم يبرع فى علم الاسلام (اه ص٦٦) .

وأما على فقد ضمه إليه النبى ﷺ وهو ابن أربع سنوات ولم

يفارقه فى طول حياته إلا فى أوقات قليلة ، فقد تلقى العلوم من سن الطفولة التى هى سن التحصيل ، وفى الزمن الطويل - فهذا برهان عقلى على أنه فاق عمر وسائر الصحابة فى علوم الإسلام كلها مع ذكائه النادر (اه ص ٦٧ — ٦٩)

أقول (١) إن العلم الذى دعا إليه النبى ﷺ لم يكن فيه شىء من الفنون الخاصة بالأطفال التى تؤخذ بحفظ العبارات أولا ثم تفهم بالتدريج البطىء الذى يراعى فيه سن الطفل ونمو مداركه وإنما دعا إلى علم لا يوجه إلا إلى العقلاء المكلفين، وأوله توحيد الله تعالى والإيمان بملائكته وكتبه ورسله وبالبعث والجزاء ثم بأصول الفضائل وعبادة الله تعالى بالصلاة والذكر والفكر ، وينبوع هذا العلم كله القرآن ، وقد بلغ كله الجميع ، وإنما كان النبى ﷺ مبيناً له بسنته العملية والقولية ، وكانوا يتفاضلون فى العلم بفهم القرآن . وقد سأل أبو جحيفة عليا (ع . م) هل خصكم رسول الله ﷺ بشىء من العلم ؟ فقال : لا والذى فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، إلا أن يؤتى الله عبداً فهما فى القرآن وما فى هذه

الصحيفة — يعنى كرم الله وجهه صحيفة كان ربطها بسيفه ، فيها أحكام عقل الدية وفكاك الأسير وتحريم المدينة كمكة وعدم قتل المؤمن بالكافر . والحديث صحيح رواه أحمد والبخارى فى مواضع متعددة من المسند والجامع الصحيح ورواه غيرهما أيضاً . ولم ينقل أن النبى ﷺ بلغ عشيرته فى الشعب شيئا من التشريع ولا أن عليا أو غيره قال ذلك ، بل من المعلوم الذى لا خلاف فيه أن أكثر الأحكام التشريعية كانت بعد الهجرة .

(٢) الإنسان كما يقول الأطباء لا يكتمل نموه الجسدى والعقلى الطبيعى إلا باكتمال ٢٥ سنة التى هى ربع العمر الطبيعى المعتدل ومن المعلوم بالتجارب فى المدارس وغيرها أن ابن ٢٦ سنة أقوى فهما للمسائل العقلية من اعتقادية وتشريعية من الطفل المميز واليافع الذى لم يكتمل نموه ، وان أكثر الذين يطيلون المكث فى مدارس التعليم أقلهم نبوغا . فأشهر الحكماء والنابغين لم يمكثوا فى المدارس إلا قليلا . وقد سمعت أستاذنا الشيخ حسينا الجسر يقول للسيد على الثمين نقيب الأشراف بطرابلس فى تلميذ له :

أنه ساوى فى السنة الأولى الأذكياء الذين سبقوه فى طلب العلم بسبع سنين .

(٣) من المعلوم عند علماء النفس وعلماء التاريخ أن من كان قوى الاستعداد للحفظ يزداد فى الشباب قوة باستعمال استعداده كما يعلم من تراجم حفاظ الحديث . ولما حفظ ابن عباس قصيدة عمر بن أبى ربيعة من سماعها مرة واحدة كان كهلا لا شابا ولا طفلا وعجب ممن عجب من ذلك فقال : وهل يسمع الإنسان شيئا ولا يحفظه ؟ وأملى الحافظ ابن حجر ألف درس من حفظه وكان كهلا ، ومن المعلوم أيضاً أن ملكة الحفظ فى العرب كانت قوية جداً لاعتمادهم عليها . وكذلك كانت عند غيرهم من الأمم قبل تعلم الكتابة والاعتماد عليها فى حفظ العلم ففى تاريخ اليونان القديم أن عقلاءهم اعترضوا على اقتباسهم فن الكتابة من المصريين بأن الاعتماد عليها يضعف ملكة الحفظ .

(٤) ماجعل الله لرجل من قلبين ، وزيادة بعض القوى يقابلها نقص غيرها ، فمن كان أكثر حفظا للنصوص الشرعية كالقرآن

والحديث أو اللغة قلما يساوى فى فهمها والتفقه فيها من يعني بفهمها دون حفظها .

وقد علم بالتجربة أن قوة الاستعداد للحفظ قلما تتفق مع قوة الاستعداد للفهم والحكم فى المعانى ، فأكثر حفاظ الحديث غير فقهاء فيه ، وأكثر الفقهاء غير حفاظ له . وكذا علماء المعقول فقلما تجد فى كبارهم حافظا للحديث والآثار أو من يسمى محدثا . وقد كان أبو حنيفة يعد أفقه أئمة المذاهب المشهورة وهو أقلهم حفظا. وكان احمد بن حنبل أحفظهم. وقد قال فيه الامام ابن جرير إنه محدث لا فقيه. بل يروى ان الشافعى قال لاحمد على ما اشتهر من إجلاله له : إذا صح عندكم الحديث فأخبرونا به، فأنتم أعلم بروايته ونحن أعلم بفقهه ، أو ما هذا معناه

(٥) ان فائدة حفظ النصوص تبليغها للناس ، و إنا نرى المروى عن عمر من الحديث فى البخارى وفى مسند أحمد أكثر من المروى عن على وهو لم يرو إلا عن النبى ﷺ وعن أبى بكر وأبى بن كعب . وعلى قد روى عنه وعن أبى بكر والمقداد بن

بن الاسود رضى الله عنهم . وكذا عن فاطمة عليها السلام ، والمروى عن ابى هريرة الذى اسلم فى السنة السادسة من الهجرة أكثر مما روى عن الخلفاء الأربعة ، وعن العبادلة الذين هم أكثر رواية من الخلفاء ولكنهم يلونهم فى فقه الدين وحكمه . وكان ابو هريرة دون كل واحد منهم فى علوم الاسلام الالهية والشرعية

فقول هذا السيد فى براهينه القطعية عنده « فكان أعلمهم أكثرهم حفظا وأقواهم حافظة » غير صحيح وإلا لكان أبو هريرة أعلم الصحابة على الاطلاق

ثم انه معارض ببرهانه القطعى الآخر أن المتأخر فى الزمن فى التلقى عن الرسول ﷺ لا يبلغ شأو المتقدم . ثم إن كون على أكثرهم حفظا وأقواهم ذاكرة لا دليل عليه من عقل ولا من نقل ، لأن مثله لا يثبت إلا بامتحان استقرائى تام ، وهو لم يقع تاما ولا ناقصاً ، وإن كان فى نفسه غير كثير عليه

ومن غرائب براهينه القطعية الخاصة بمنطقه استدلاله بذاكرته

وذاكرة بعض معارفه ، إذ قال انه لم يكن ينسى فى شبيبته شيئا سمعه أو قرأه ، وكان يتعجب ممن ينسى ، وبعد بلوغه الثلاثين انقلب الأمر وانعكس وأصبح يتعجب ممن يحفظ ولا ينسى ، وانه ماشكا هذا الداء لأحد إلاوشكا له مثله ، فكأنه هو وأصحابه الذين شكا لهم حاله حجة الله القطعية على البشرية والمعيار لنابغى العلماء والحفاظ ، ومثل عمر بن الخطاب . وأنا أقول له : انني بعد بلوغي الستين لم أنس شيئاً مما سمعته وقرأته إلا الامور التافهة التى لاألقى لها بالا ولا أحب أن أحفظها ، ولا أن أعيدها إذا ذكرتها ، ولكنني منذ الصغر قليل الحفظ لاسماء الاعلام والارقام واستحضار مالم يتكرر على ذهني منها ، وقوى الحفظ سريع الاستحضار للمسائل العلمية ولا سيما المعقولة منها . ومن عادتى انني إذا ألقيت خطبة أو محاضرة أو سمعتها من غيرى ونويت ان اعيدها أو أكتبها فانني اعيدها بما يقرب من ألفاظها وبتحديد معانيها ، وإذا لم أنو هذا فإنني أتذكرها بعد ذلك بالاجمال لا بالتفصيل

مثال ذلك : بعض الخطب التى ألقيتها فى سورية سنة

الدستور و بعض الخطب التى ألقيتها فى الهند فإنى كتبتها للمنار بعد إلقائها فى مدد قصيرة أو طويلة، ورأيت الذين سمعوها يقولون اننى لم أترك مما قلته شيئا . ومنها الخطبة التى ارتجلتها فى مدرسة عليكره الاسلامية الجامعة فى الهند وموضوعها التربية وأنواعها وفلسفتها — اقترحت على عند عقد الحفلة التى أقامها طلاب المدرسة لى ، ثم اقترح على بعد الاحتفال أن أكتبها فلم أجد فرصة لذلك مدة مكثى فى الهند، ولكنى كتبتها فى مسقط وأرسلتها إلى عمدة المدرسة وكانوا قد كتبوا كل ما وعوه منها بطريقة الاختزال، فلما وصل اليهم ما كتبته وجدوه أوفى وأضبط مما كتبوا ولقد رويت عن شيخنا الاستاذ الامام فى تاريخى له أموراً كثيرة سمعتها أو حضرتها بعد الثلاثين ودونتها بعد الستين ونشرت له خطبا ارتجالية فى عهده لم يستدرك على منها كلمة

(٦) لو كان التفاضل فى العلم عند الصحابة بالرواية لتنافسوا فيها ولكتب الكاتبون منهم ما سمعوه ووعوه ولم ينقل عنهم هذا بل المنقول خلافه

(٧) من المقرر عند العلماء أن العلوم والاعمال التى يتعدى نفعها أفضل وأكثر ثوابا من القاصرة على صاحبها ، ومن المعلوم الذى لا خلاف فيه بين المحدثين والمؤرخين للاسلام ودوله : أن علوم عمر وأعماله كانت أنفع من علوم سائر الخلفاء فى نشر الإسلام واهتداء الشعوب به وفتوحه ، وما اشتهر به من العدل والفضائل .

(٨) من المعلوم الذى لا مرية فيه بين الواقفين على تواريخ الامم وسنن الاجتماع البشرى : أن أرقى البشر عقلا وعلما نفسياً هم أقدرهم على سياسة الشعوب وإقامة الدول ، وأن هؤلاء مفضلون على الحفاظ والعلماء الفنيين الذين يقومون ببعض الأعمال الجزئية فى الدولة ، وهذا هو العلم الذى يرجح صاحبه على من دونه فيه لتولى الحكم العام كالخلافة والملك. ومن دعائم هذا العلم: معرفة استعداد الأفراد الذين يصلحون للسياسة والادارة والقضاء وقيادة الجيوش ، ومن المعلوم من التاريخ بالتواتر والعمل أن عمر (رض) كان فى الذروة العليا من نابغى البشر وأفذاذ

الأمم فى هذا الامر علماً وعملا، يشهد له بهذا علماء هذا الشأن من جميع الشعوب . ولبعض علماء أوروبا وفلاسفتهم أقوال فى ذلك مشهورة ومدونة .

فلو كان العلم الذى يفضل صاحبه على غيره فى الخلافة وإدارة سياسة الامة هو كثرة الحفظ للاحاديث وضبط الروايات لكان أبو هريرة وأنس بن مالك أول من ولاهم الخلفاء الراشدون، ولا سيما عمر على الأمصار ، ولو كان الذى يصلح لذلك أصحاب المبالغة فى الزهد والعبادة لكان أبو ذر وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعرى مقدمين على غيرهم للولاية والسياسة وادارة أمور الشعوب .

وجملة القول فى براهين السيد عبد الحسين نور الدين العقلية أنها ليس فيها قياس منطقى مؤلف من مقدمات يقينية تصلح لتأليف برهان عقلى ، وإنما جاء بروايات نقلية لا يمكنه إثباتها كلها ، وإنما بعضها صحيح ، كتقدم إسلام على على إسلام عمر وهو لا يدل على ما استدل به عليه ، وبعضها لا يصح وهو على فرض صحته لا ينتج مع غيره ما فهمه منه بطريقة القياس البرهانى لما بيناه من

الحقائق الفلسفية والتاريخية .

على أننا نقول : إن كلا من عمر وعلى (رض) من أفراد البشر الممتازين بالعبقرية العليا . فعمر جدير بأن يفهم فى الزمن القصير من القرآن والسنة مالم يفهمه غيره فى الزمن الطويل ، وهو الذى شهد له الرسول بأنه من المحدثين (بفتح الدال المشددة) أى الملهمين المفهمين من الله تعالى ، وبأن الله جعل الحق على لسانه وقلبه ، وهو الذى نزل القرآن مراراً موافقاً لرأيه . وقال فيه الرسول ﷺ «لو كان بعدى نبي لكان عمر» رواه أحمد والترمذى وحسنه والحاكم وصححه وأقره الذهبى . وكان فى شبابه صاحب سفارة قريش وعمدتهم فى المفاخرة والمنافرة . فلولا أنه من أحفظهم وأفصحهم وأقواهم حجة لما ولوه ذلك ، فإذا كان قد سبقه أربعون رجلا إلى الإسلام فلا يمكن لمن يفضل علياً وأبا بكر عليه فى علمهما أن يفضل عليه باقى الاربعين . والتفاضل بين الثلاثة أنفسهم لا يسهل أن يثبت بقياس برهانى — وإنما الدلائل القطعية فى فضائل عمر وعلى هى ما ثبت بالتواتر من سيرتهما العملية التى لا تحتمل التأويل .

دلائل مناظرنا النقلية

إن ماذكره الأستاذ السيد عبد الحسين نور الدين من الروايات النقلية التى بنى عليها استدلاله تدل على أنه لا يوثق بنقله ، و إن عين مواضعه بالأرقام ، ولا بتمييزه بين ما يصح من الروايات وما لا يصح ، ولا بفهمه لما ينقله . وهاك البيان مختصراً .

(١) مانقله عن مختصر كنز العمال من هامش ص٤٣ من مسند الامام أحمد، وقد أنكره عليه السائح العربى ، و إنما هو فى ص٤٦ منه ج ٥ وهو روايتان إحداهما عن على ولم ينقلها . ولفظها : كنت إذا سألت رسول الله ﷺ أعطانى و إذا سكت ابتدأنى وهذه أخرجها ابن أبى شيبة والترمذى من طريق عبد الله بن هند وهو المرادى الجملى الكوفى وقال الترمذى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وأقول : إن عبد الله بن هند لم يثبت سماعه من على وهو صدوق ـ والثانية التى نقلها وهى : عن محمد بن عمر بن على ابن أبى طالب أنه قيل لعلى : مالك أكثر أصحاب رسول الله ﷺ حديثاً ؟ فقال : إني كنت إذا سألته أنبأنى و إذا سكت

ابتدأنى . رواه ابن سعد اه. ومحمد ابن عمر هذا لم يسمع من جده على، ولم يذكر من حدثه عنه ، وفى روايته من جهة المتن أنه يثبت أن علياً كرم الله وجهه كان أكثر الصحابه حديثاً أيضاً .

(٢) مانقله عن ص ٢٧٣ ج ٣ من طبقات ابن سعد ، وهو رواية قدوم أبى هريرة من عند أبى موسى بثمانمائة ألف درهم ، وقد أنكره عليه السائح العربى أيضاً، وهو فى ص٦١٦ ج ٣(طبعة أوروبة) وهذا لفظه . أخبرنا يزيد بن هارون نا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أنه قدم على عمر من البحرين . قال أبو هريرة: فلقيته فى صلاة العشاء الآخرة فسلمت عليه فسألنى عن الناس. ثم قال لى : ماذا جئت به؟ قلت جئت بخمسمائه ألف درهم قال: هل تدرى ماذا تقول؟ قلت جئت بخمسمائة ألف درهم . قال ماذا تقول؟ قلت: مائة ألف، مائة ألف، مائة ألف حتى عددت خمساً. قال إنك ناعس فارجع إلى أهلك فنم، فاذا أصبحت فاءتنى. فقال أبو هريرة فغدوت اليه . فقال ماذا جئت به ؟ قلت: جئت بخمسمائة الف درهم قال عمر : أطيب؟ قلت: نعم لا أعلم إلا ذلك. فقال للناس: إنه قدم

عليكم مال كثير فان شئتم أن نعده لكم عداً و إن شئتم أن نكيله لكم كيلا ؛ ثم ذكر مسألة إنشائه الديوان

أقول (أولا) إن السيد نور الدين لعدم وقوفه على علوم الحديث ومصطلحات أهلها يقول إذا نقل شيئا عن كتاب : إن صاحبه موثق عند إخواننا ـ كما قال فى ابن سعد ، و إذا كان ابن سعد ثقة فلا يقتضى أن يكون كل ما يرويه صحيحا فهو يروى غير الصحيح ، كغيره من المحدثين، وعذره أنه يذكر السند الذى هو العمدة فى تمييز الصحيح من غيره . وقد قال هو نفسه فى محمد بن عمرو ـ راوى هذا الحديث : كان كثير الحديث يستضعف .وقال فيه يحيى بن معين : ما زال الناس يتقون حديثه ، قيل له : وما علة ذلك ؟ قال كان يحدث مرة عن أبى سلمة بالشىء من روايته ثم يحدث به مرة أخرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة اهأى مثل هذه الرواية

(ثانياً) إن هذه الرواية ليس فيها أدني مطعن على علم عمر (رض) ولا على فهمه، بل كل ما فيها أنه استكثر هذا المال أن يجىء من البحرين. فظن أن أبا هريرة مخطىء فى بيانه لنعاس أو

تعب طرأ عليه ـ وهو معذور فى استكثاره لما كانوا عليه من الضيق والعسر

(٣) قوله : وروى أحمد فى مسنده أن عمر لم يعرف حكم الشك فى الصلاة ـ وهذا من غرائب عدم فهمه. إذا كان قد رواه بالمعنى . و إلا كان افتراء على المسند . فإنه ليس فيه أن عمر لم يعرف حكم الشك ، و إنما فيه عن محمد بن اسحاق عن مكحول عن كريب عن ابن عباس أنه قال له عمر : يا غلام، هل سمعت من رسول الله ﷺ أو من أحد من أصحابه : إذا شك الرجل فى صلاته، ما ذا يصنع ؟ فبينما هو كذلك إذ أقبل عبد الرحمن بن عوف ، فقال : فيم أنتما ؟ فقال عمر: سألت هذا الغلام الخ فقال عبد الرحمن: سمعت : رسول الله ﷺ يقول « إذا شك أحدكم فى صلاته فلم يدر أواحدة صلى أم ثنتين و إذا لم يدرى صلى ثلاثا أم أربعاً ، فليجعلها ثلاثا ثم يسجد إذا فرغ من صلاته وهو جالس قبل أن يسلم »

وأقول (أولا) إن السؤال لايكون دائماً عن جهل بالمسؤل

عنه، بل قد يكون امتحاناً وقد يكون للتثبت فى رواية مختلف فيها أو متهم راويها ، وفى سجود السهو عدة روايات مختلفة

(وثانيا) أن هذا الحديث غير صحيح فإنه من رواية ابن اسحاق عن كريب وهو مدلس وقد عنعن ، فلا تقبل روايته ، ومكحول رواه له مرسلا . قال ابن اسحاق: فلقيت حسين بن عبد الله فقال لى هل أسنده لك ؟ قلت لا ، لكنه حدثنى أن كريبا حدثه به . وحسين ضعيف جداً . وقال ابن أبى خيثمة : سمعت هارون بن معروف يقول: إن مكحولا لم يسمع من كريب .. اه ولكن ذكر فى التهذيب أنه سمع منه والله أعلم .

فهذه أمثلة للروايات التى يعتمد عليها هذا المناظر فى الطعن فى علم عمر بن الخطاب مما ينقله عن المحدثين ، فما قولك بما ينقله عن كتاب الأغانى وابن أبى الحديد ؟

وإنى لأراه وأمثاله ممن يبحثون فى الكتب عن شىء فيه طعن ما على من لهم هوى فى نقل الطعن فيه من غير تمييز بين صحيحه وسقيمه كدعاة النصرانية (المبشرين) إذ ينظرون فى

القرآن الكريم وكتب الحديث والتفسير يتلمسون كلمة يمكن الطعن فيها أو اتخاذها حجة على الإسلام والمسلمين ولو بالتحريف فينقلونها ويعتمدون عليها فى تشكيك عوام المسلمين فى دينهم ، وإلا فما باله يختار من مسند أحمد ما نقله كما فهمه لا كما وجده . ولم يعتبر بما رواه أحمد فيه من طرق كثيرة عن على أنه قال « خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر » ومنها أنه قال ذلك وهو على المنبر ؟ ومنها أنه قاله لمن سأله ، ومنهم أبو جحيفة من جماعته ومفضليه على غيره .

هذا ومناظرنا يوجه هذا إلى صاحب المنار المشهور بالاشتغال بعلوم الحديث ونقد الروايات ، وإنما يوجهه إليه لأجل المناظرة فيه ، فلولا أنه مصدق لهذه الروايات وواثق بفهمه لها مع إقراره بضعف ذاكرته ، لما جعلها من موضوع مناظرته معه .

أكتفى بهذه المباحث فى تفنيد براهين الأستاذ عبد الحسين العقلية والنقلية ليعتبر به هو ومن يغره كلامه ، ويعلم أن مثل هذا الذى جاء به لا يوصل الى الغاية التى طلب المناظرة لأجلها

لعله يحاسب نفسه ولا يجعل شعوره الخيالى وغلوه الوجدانى حججاً علمية و براهين عقلية ، يحاول بها تحويل أهل السنة كلهم عن مذهبهم إلى مذهبه ، فيجمع به كلمة المسلمين بوهمه .

أما المناظرة العلمية فى مسائل الخلاف فطريقها الوحيد: أن تحرر مسائل الخلاف الأساسية تحريراً يمضيه أشهر علماء الشيعة فى سورية والنجف .

وأما الاتفاق بدون مناظرة فهو ما سنبينه فى جزء آخر لعله الذى يلى هذا ان شاء الله .

السنة والشيعة

(الاتفاق بينهما والوسيلة اليه ، ورأينا ورأى علامة الشيعة فيه)

قد علم قراء المنار ما سبق لى من السعى الحثيث منذ ثلث قرن ونيف للاتفاق والوحدة بين المسلمين بالقول والعمل والكتابة والتصنيف ، وانى ألجئت فى هذه الآونة الاخيرة إلى الرد على عالمين من علماء الشيعة لكتابين لهما كانا من أكبر أسباب التفريق والتعادى ، وان احدهما طعن فى كتابه على دينى وعقيدتى وأخلاقى الخ والثانى طلب مناظرتى مدعياً استحالة الاتفاق والتعاون بين أهل السنة والشيعة إلا أن ترجع إحدى الفرقتين إلى مذهب الأخرى فى مسائل الخلاف الاساسية

ويعلمون اننى لم أقبل الدخول فى المناظرة على هذه القاعدة التى وضعها الاستاذ السيد عبد الحسين نور الدين إلا أن يقره عليها جمهور علماء الشيعة ، وطالبتهم ببيان رأيهم فى زعمه هذا ، فلم يرد عليه أحد منهم — واننى افترصت لقاء مجتهد علمائهم

الاشهر فى هـذا العصر الاستاذ الكبير الشيخ محمد آل كاشف الغطاء فى القدس اثناء عقد المؤتمر الاسلامى العام ، فأطلعته على ما كتبه الاستاذ السيد عبد الحسين نو الدين وسألته رأيه فيه فأنكره أشد الانـكار ، ووعد باجابتى إلى استنكاره والرد عليه كتابة كما اقترحت، ليعلم ذلك من قرؤوا تلك الدعوى فى المنار و يقنعوا بأن اكبر علماء الشيعة يخالفونه فيه ، واشترط هو أن اسأله ذلك كتابة ففعلت

وذكرت فى الجزء الماضى أن الجواب قد جاء من حضرته وانى سأنشره فى هذا الجزء إذ كان ردى على الاستاذ السيد عبد الحسين نور الدين فى الجزء الماضى فى موضوع طعنه فى علم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) قد طال حتى انتهى بى إلى آخر الجزء وكان له بقية استغنيت عنها ، وقد قلت إن هذا الرد ليس رد على الشيعة و إنما هو رد على منكر علم عمر، ولم يكن لى بد منه بعـد نشر تلك النظريات الباطلة ، والروايات التى لا يعرف ناقلها درجتها من الضعف، وقد حملها ما تتبرأ من حمله

من سوء الفهم ، و إننى أنشر الآن جواب الاستاذ آل كاشف الغطاء ، وأقفى عليه بما يزيد الحقيقة كشفا

﴿ جواب العلامة آل كاشف الغطاء ﴾

عقيدة الشيعة فى الاتفاق

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * وله الحمد فى السموات والارض ﴾

لمـا جمعنى المؤتمر الاسلامى العام المنعقد ليلة الاسراء فى القدس الشريف بالعلامة الشهير ، إمام السنة والحديث، الاستاذ الهمام ، صاحب منـار الاسلام ، السيد محمد رشيد رضا نفع الله المسلمين بمنار علومه — دفع إلى كتابا بخطه يتضمن السؤال عن عقيدة الشيعة فى اخوانهم المسلمين من أهل السنة ، وأنه هل صحيح ما ربما يقال : من انه لا يمكن اتفاق الشيعة الامامية معهم على شىء ولو كان لصالح الفريقين إلا إذا رجعوا إلى رأى الشيعة فيما يخالفونهم فيه ؟ — إلى أن قال دام تأييده — فأنت أيهـا الاستاذ أكبر مجتهدى الامامية فيما قد اشتهر فى بلادنا ، وعلى

قولك نعتمد الخ ما كتب — ونحن نرغب اليه أن ينشر عنا فى الجواب على صفحات مناره الاغر ما يلى :

ان إجماع الشيعة الامامية من سلف إلى خلف ولعله من ضروريات مذهبهم لا يخالف فيه أحد من فضلائهم فضلا عن علمائهم — ان من دان بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ولم ينصب العداوة والبغضاء لأهل بيت النبوة سلام الله عليهم فهو مسلم وسبيله سبيل المؤمنين : يحرم دمه وماله وعرضه ، وتحل مسادرته (*) ومصاهرته ، ولا تحل غيبته ولا أذيته ، وتلزم اخوته ومودته، أخوة جعلها الله فى محكم كتابه، وعقدها فى اعناق المسلمين من عباده؛ فأصبحتم بنعمته إخوانا ، المؤمنون بعضهم أولياء بعض ، وقد استفاض فى السنة النبوية من طرق الفريقين أن المسلم أخو المسلم شاء أو أبى ، والمسلم من المسلم كالعضو من الجسد إلى كثير من أمثال هذا

وما سعد الاسلام وصعد إلى أعلى ذروات العز والمجد إلا

(*) كذا فى الاصل ولعل أصله مصحف أو محرف

يوم كان محافظا على تلك الاخوة ، وما انحط إلى أسفل دركات السقوط والذلة إلا بعد أن أضاع تلك القوة ، و يشهد الله سبحانه أن ما ذكرته من عقيدة الشيعة الامامية فى اخوانهم المسلمين هو الحقيقة الراهنة التى لا محاباة فيها ولا تقية ، و إن ظهر من كلام بعض العلماء خلافها ،فلعله من قصور التعبير وعدم وفاء البيان .

ومن شاء الزيادة فى اليقين فدونه الصحيفة السجادية للامام زين العابدين سلام الله عليه . وهى زبور آل محمد ﷺ فلينظر فى دعائه لاهل الثغور الذى يقول فى أوله : اللهم صلى على محمد وآل محمد وحصن ثغور المسلمين بعزتك ، وأيد حماتها بقوتك ، وأسبغ عطاياهم من جدتك ، الخ الدعاء على طوله - وهل يشك أحد أن حماة الثغور فى عصر الإمام زين العابدين (ع) أعنى عصر بنى أمية كانوا من جمهور المسلمين وأكثرهم بل كلهم من السنة ، والصحيفة السجادية تالية القرآن عند الإمامية فى الاعتبار وصحة السند .

والقصارى : أني أعلن عنى وعن جميع مجتهدى الشيعة

الإمامية فى النجف الأشرف وغيرها — أن اتفاق المسلمين واشتراكهم فى السعى لصالح الإسلام والمحافظة عليه من كيد الأغيار — لم يزل ولايزال من أهم أركان الإسلام وأعظم فرائضه وأهم وظائفه ، أما النزاعات المذهبية ، والنزغات الجدلية فهى عقيمة الفائدة فى الدين ، عظيمة الضرر على الإسلام والمسلمين ، وهى أكبر آلات المستعمرين .

فرجائى إلى الأستاذ صاحب (المنار) أن لا يعرد إلى مافرط منه كثيراً من التحريش بالشيعة ، ونشر الأبحاث والمجادلات مع بعض علماء الإمامية ، والطعن المر على مذهبهم الذى لايثمر سوى تأجيج نار الشحناء والبغضاء بين الأخوين ، ولا يعود إلا ببلاء الضعف والتفرقة بين الفريقين ، ونحن فى أمس الحاجة اليوم إلى جمع الكلمة ، وتوحيد إرادة الأمة ، وإصلاح ذات البين .

والأستاذ الرشيد — أرشد الله أمره — ممن يعد فى طليعة المصلحين ، وكبار رجال الدين ، فبالحرى أن يقصر (مناره

الإسلامى) على الدعوة إلى الوفاق والوئام ، وجمع كلمة الاسلام ، ويتجافى فى كل مؤلفاته — سيما فى تفسيره الخطير — عن كل مايمس كرامة ، أو يثير عصبية أو حمية ، أو يهيج عاطفة ، وأن يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فإن ذلك أنجع وأنفع ، وأعلى درجة عند الله وأرفع ، وعلى هذه خطاى وخطتى ، وهى دينى وديدنى ، عليه أحيا وعليه أموت إن شاء الله :

وإليه تعالى أرغب وأبتهل فى أن يجمع كلمتنا على الحق والهدى حتى نكون يداً واحدة فى نصرة هذا الدين الحنيف إنه أرحم الراحمين .

حرره فى زاوية النجف الأشرف المقدسة يوم النصف من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٥٠

محمد الحسين
آل كاشف الغطاء

(المنار) هذا نص الجواب الموعود من سماحة العلامة الواسع الصدر ، الجليل القدر ، وهو على حسنه ولطفه دون ما سمعت منه بالمشافهة ، ودون ما كنت أتوقع من الصراحة ، جاء مجملا ليس حزاً فى المفصل ، لم يذكر فيه كلمة الخصم الشنعاء وإنما أشار إليها

«بربما يقال» وحصر كلامه فى رأى الشيعة الإمامية فى «إخوانهم المسلمين» وقال إنها مجمع عليها بالشرط الذى ذكره ، وأنه «إن ظهر من كلام بعض العلماء خلافها فلعله من قصور التعبير وعدم وفاء البيان» فتضمن قوله هذا الاعتذار عن الأستاذ السيد عبد الحسين نور الدين بأنه ليس فيه إلا قصور التعبير عن مذهبهم وعدم وفاء البيان به ، وهذا السيد ليس ضعيف البيان بل هو فصيح العبارة قلما يوجد فى معاصريه مثله فى حسن بيانه وصراحته وهو يرى أن أكثر الصحابة والسواد الأعظم من المسلمين من بعدهم قد «نصبوا العداوة والبغضاء لأهل بيت النبوة سلام الله عليهم» من عهد أبيهم على كرم الله وجهه إلى الآن . وكذلك الأمة العربية فى جملتها ، كما يعلم من كلمته الأولى من كلماته الثلاث وحجته الكبرى على ذلك تقديم غيره عليه بالخلافة و يليها من الحجج مخالفة أهل السنة لما يفهمه هو بوجدانه من الروايات الصحيحة فى مناقبه ولما يذكره من الروايات الباطلة فيها و يطعن فى حفاظ السنة حتى البخارى ومسلما لعدم روايتها ، فهو يعدهم كلهم

من النواصب المتبعين لغير سبيل المؤمنين — فهو يسلم ما قاله العلامة آل كاشف الغطاء من أن عدم نصب العداء لأهل البيت شرط لصحة الإسلام وولاية أهله — ولا يراه رداً عليه أو تخطئة له ؟ وكذلك السيد محسن العاملى لا يعده رداً على كتابه الذى يعدني فيه مع الوهابية غير متبعين لسبيل المؤمنين لأننا ننكر الحج إلى المشاهد ، وعبادة قبور أهل البيت ، أو عبادتهم بالدعاء والطواف بقبورهم ، ولكننا نعبد الله تعالى بالصلاة على نبيه، وعلى آل بيته فى الصلاة وغيرها ، ونتقرب إليه بحبهم وولايتهم ، وبالحكم على من ينصب لهم العداوة والبغضاء بأنه عدو الله ورسوله . وبهذا القول يقول جميع أهل السنة من الوهابية وغيرهم . ولا يرون القول بصحة خلافة الراشدين كما وقعت، ووجوب حبهم وحب سائر الصحابة منافيا لذلك . فما قاله الأستاذ فى ناحية الشيعة مجمل غير كاف ولا شاف .

بيد أنه عند ماتوجه إلى ناحية السنة وأهلها تفضل على صاحب المنار بالنصيحة أن لا يعود إلى « مافرط منه كثيراً من

التحريش بالشيعة» الخ الخ . وهو يعلم أن صاحب المنار كان مبدوءاً لابادئاً ، ومدافعا لامهاجما ، ولم يكن محرشا ولا متحرشا .

ولم يكن يخفى على ذكاء الأستاذ ما يكون لهذا الجواب عندنا من كلتا ناحيتيه ، وماضمه بين قطريه — وهو ما رأينا من حسن الذوق الاكتفاء بالإشارة إليه ، فشفعه بكتاب شخصى يتضمن الاعتذار عما توقعه من تأثير الجواب السلبى ، قال فيه بعد الاعتذار عن تأخيره بما هو مقبول :

ما قاله العلامة فى كتابه الشخصى :

« نأمل من ألطافه تعالى أنكم لا تزالون ممتعين بالصحة والعافية ، والعز والكرامة ، مستمرين على منهاجكم الدائب فى خدمة العلم والدين ، وكونوا على ثقة من أننا لا نزال ندعو لكم بالتأييد والتسديد ، وأن يجعل الحق مناركم عاليا ، ونور معارفكم لظلمات الجهل ماحيا ، ولانزال ذكرى أخلاقكم الطيبة وعوارفكم الزكية ماثلة فى نفوسنا ، شاخصة أمامنا .

« وتجدون مع هذا الكتاب جواب الرقيم الذى تفضلتم به . وأرجو أن تجدوه كافيا شافيا ، وتنشروه على صفحات مناركم الزاهر ليعم النفع به ، ويكون إحدى همزات الوصل بين المسلمين وتمزيق ما نسجته عناكب الأوهام على ذلك الصرح المشيد وهى الغاية التى نتوخاها فى جهودنا ومساعينا ، ولعلكم أحرص عليها منا ، وما التوفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

« وقد تجافيت عن ذكر القائل بتلك المقالة الغريبة والتى لا يوافقه عليها أحد، نظرا لبعض الملاحظات التى لا تخفى عليكم (إن تجد عيبا فسد الخللا) اهـ المراد منه .

(المنار) إن عبارة هذا الكتاب ، تكشف لنا الغطاء عما خفى فى ذلك الجواب ، مما تنطوى عليه جوانح كاتبهما من أريحية إسلامية ، تأتلف بهامعارفه العقلية وعوارفه القلبية ، وعما رأى أنه مضطر إليه فى مقامه من الرياسة فى علماء المذهب من مداراة المدارك المتفاوتة ، والوجدانات الموروثة ، واكتفائه من صدق لقبه (كاشف الغطاء) أن يبلغ غاياته فى الدروس الفقهية

والفنون العقلية واللغوية ، و يقف فيما دونها من مهاب الاهواء
الطائفية والمذهبية ، التي تختلف فيها الافهام ، وتتزاحم الأوهام
موقف مراعاة الجامدين ، ومداواة المتعصبين ، اهتداء بما روى
في الصحيح عن أمير المؤمنين علي عليه السلام « حدثوا الناس
بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله » وروى عنه أنه كان
يقول « ان هنا لعلماً جما لاأجد له حملة» وأشار إلى صدره ـ نقله
صاحب نهج البلاغة ـ فهذا ما أشرحه من عذر صديقي في إجماله
في الجواب ، على ما فيه من موضع النظر ووصفه إياي بالتحريش
والطعن المر بالشيعة ، ومطالبتي بالكف عن العودة إلى ذلك
معبرا عنه بلفظ الرجاء ، واجتنابه الإنكار على أولئك المهاجمين
وما هو بالعذر الذي يرضاه منه جميع القارئين .

سيجدني صديقي العلامة عند رجائه إن شاء الله تعالى، بيد
أنني أرى أن ما نسعى إليه من جمع الكلمة ، ووحدة الأمة ،
لا يرجى نجاحه من طريق الدين إلا بسعي علماء الطائفتين له
على القاعدتين اللتين رفعنا بنيانهما في المنار (الأولى) «نتعاون

على ما نتفق عليه و يعذر بعضنا بعضا فيما نختلف فيه» (والثانية)
«من اقترف سيئة من التفريق والعداء أو غير ذلك من إحدى
الطائفتين بقول أو كتابة، فالواجب أن يتولى الرد عليه العلماء
والكتاب من طائفته » و إذا لم يكن صديقنا الأستاذ الكبير
آل كاشف الغطاء هو الإمام القدوة لمن ينهضون بهذا الإصلاح
وهو هو في رياسته العلمية وثقة الطائفة بإخلاصه ونصحه ، فمن ذا
الذي يتصدى له من دونه ؟ إن المبالغة في مداراة القاصرين ،
تقف بصاحبها دون ما هو أهل له من زعامة المصلحين ، كان
أستاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر نسيج وحده في علماء سورية
الجامعين بين علوم الشرع والوقوف على حالة هذا العصر ، ولولا
مبالغته في مداراة الجامدين من المعممين وكذا العوام أيضا لكان
ثالث السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في زعامة
الإصلاح ، و إنني قد صارحته باستنكار هذه المبالغة في المداراة
مشافهة له، وهو ما انتقدته على كتاب الرسالة الحميدية له من إيراد
المسائل العلمية التي لا شك فيها بعبارات تدل على الشك فيها

واحتمال صحتها بالفرض والتسليم الجدلى، ثم قلت له ـ وقد اعتذر بمداراة الجامدين : إذا لم يكن مثل مولاى الأستاذ فى مكانته من سعة العلم والصلاح يجرىء المسلمين على الجزم بالمسائل العلمية التى يستنكرها أو يجهلها الجمهور — فمن ذا الذى يجرئهم على هذا ولا يخشى اعتراض الجاهلين ؟

فأرجو من الأستاذ الكبير آل كاشف الغطاء أن يتأمل ماذكرته من توقف التوفيق والتأليف على بنائه على القاعدتين المناريتين عسى أن يجد عنده قبولا ، ولا يخفى عليه أن علماء الدين إذا لم يجمعوا كلمة المسلمين بهدايته على القيام بمصالحهم المشتركة فقد يغلبهم الملاحدة المتفرنجون على أكثرهم ، ويقنعونهم بأن الدين أكبر المصائب عليهم ؟؟

أصل الشيعة وأصولها

من تأليف علامتهم الكبير ومجتهدهم الشهير الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء النجفى ، وهى مطبوعة فى مطبعة مجلة العرفان بصيدا . وقد جعلها الأستاذ صاحب هذه المجلة هدية الذين وفوه اشتراك المجلة. وهى تباع لغيرهم بقيمة عشر فرنكات على صغرها، فان صفحاتها مع مقدمتها ١٣٨ صفحة من القطع الصغير ولكنها وصلت الينا رسالة من بغداد فيها كتاب اسمه (الشيعة) تأليف « السيد محمد صادق السيد محمد حسين الصدر »

فأما (كتاب الشيعة) فلا نتكلم فيه لأنه صدع جديد لبناء وحدة الاسلام ، بالطعن على أهل السنة والجماعة من الصحابة الكرام ، وحفاظها ومدونيها من الأئمة الأعلام ، كاد يضرم نار الثورة فى العراق . فانا أغضى عن هذا الكتاب المبارز للسنة وأهلها بالعداء و إعلان الحرب، وهو فيه كالصعو الذى يهاجم الصقر وأما الرسالة فهى دعاية فرقة ، فى دعوى وحدة ، لهذا أخصها

بكلمات من النقد والعتب ، أو التذكير والوعظ ، يظهر بها المؤلفها
الأجل ، أنه جدير فيها بضرب المثل :

أوردها سعد وسعد مشتمل   ماهكذا ياسعد تورد الابل

هي مصدرة بمقدمة وجيزة بامضاء (عبد الرازق الحسيني) كتبها ببغداد في غرة ذي الحجة سنة ١٣٥٠ خلاصتها أنه تجول في معظم القصبات والقرى الريفية في العراق ، وأنه صادف أن زار في العام الماضي مصر وفلسطين وسوريا ، واتصل بالطبقة المثقفة في هذه الأقطار العربية كلها ، فسمع منها ما كان يسمعه من أهل الدليم في العراق من الطعن الغريب في طائفة الشيعة (قال) وخلاصة ما كنت أسمعه : أن للشيعي ذنبا لا يختلف عن أذناب البهائم ، وأن لهم أرواحا تتقمص أجساد بعض الحيوانات بعد أن تفارق أجسادهم وأنهم لا يعرفون الأكل مثل ماتعرفه بقية الطوائف » وأنهم ... وأنهم ... وأنهم ... » إلى آخر ماهنالك من عجائب وغرائب »
اه بنصه ، مع حذف أكثره

ثم ذكر أنه كان ولا يزال يقرأ في كتب من يدعون البحث

والتحقيق العلمي من أهل السنة ، ماهو أغرب مما سمعه عن الشيعة وأنه كان يكاتب الامام العلامة المؤلف بذلك كله فيدله على أكثر مما قرأ ومما سمع ، وأنه في أثناء هذه المكاتبة « كان سماحته يبث الدعوة إلى الوحدة الاسلامية ، ويدعو المسلمين إلى سحق التقاطع من أجل الفوارق المذهبية ، فكان بحق أول من شق هذا الطريق المؤدي إلى فلاح الاسلام » !!!

ثم استدل على هذه الدعوى بما تجشمه سماحته من عناء السفر ووعثائه لحضور المؤتمر الاسلامي العام في القدس وعبر عنها الكاتب الحسني « بأرض الميعاد » لأجل أن يخطب لدعوة المسلمين إلى هذه الوحدة التي لم يعن بها غيره

هذه المقدمة أول شاهد في هـذا الكتاب على دعاوى القوم وغلوهم فيما لهم وما عليهم ، وقد أقره المؤلف عليها ، وبنى تأليفه هذا على صحتها وصحة ماهو شر منها ، فكانت داعية شقاق ، وإن قنعت بقناع طلب الوفاق ، لأنها تقنع كل من قرأها من الشيعة أن جميع أهل السنة عاميهم وخاصيهم أعداء لهم ، قد أخرجهم الشنآن

من حظيرة العقل والفهم . فلاعلاج لهم بما يبذله المؤلف من علاجهم بالعلم ، ومحاولة اقناعهم بأن مذهب الشيعة هو الحق، بل هو الاسلام دون ماخالفه .

إننا لم نسمع فى عمرنا الطويل كلمة واحدة مما نقله عن المثقفين فى مصر وسوريا وفلسطين ، لا من المثقفين الذين يجلون عن هذه الجهالات أن تصدقها عقولهم ، أو ترويها ألسنتهم ، ولا عن العوام الخرافيين منهم ، ونحن أعلم بهذه البلاد وأهلها منه ، ولم نر فى كتب أحد ماهو أغرب منها كما ادعى ، وأى شىء أغرب من جعل خلقة الشيعى مخالفة لخلقة سائر البشر ، فان فرض أنه سمع كلمة سخيفة كهذه جديرة بالسخرية من بعض أعراب الدليم الأميين فى العراق ، أفلم يكن له من عقله مايزع تعصبه أن يلصقها بالطبقات المثقفة فى مصر وفلسطين والشام ؟ و إننا قد سمعنا من أخبار الشيعة فى العراق و إيران وجبل عامل من الأقوال والأعمال فى عشر المحرم وغيره حتى فى البيوت مالم يخطر فى بالنا أن نكتبه تمهيداً للاتفاق إذ من الضرورى أنه مثار للشقاق

يلى هذا الشاهد على غلوه فى هجو أهل السنة فى أرقى البلاد العربية والاسلامية: غلوه فى إمامه المؤلف بجعله هو العالم المسلم الفذ الذى عني بدعوة أهل السنة إلى الاتحاد ونبذ عصبية المذاهب المفرقة بالسعى العظيم الذى انفرد به ، وقاسى الأهوال والشدائد فى سبيله ، وهو قبوله دعوة المؤتمر الاسلامى العام ومجيئه من أرض العراق إلى أرض جارته فلسطين ليلقى خطبة فيه !!

بخ بخ ، أليس لأحد من علماء أهل السنة وفضلائهم شىء من مشاركة علامة الشيعة فى هذا الفضل ، وقد جاء بعضهم من أقطار أوربة و بعضهم من أقطار الشرق ، وكانوا كلهم متفقين على جمع كلمة المسلمين ، ونبذ التفريق الذى دعا اليه بعض علماء الشيعة كالسيد عبد الحسين نور الدين ، ولم يسمع بمثله فى العالمين ؟ ولا يزالون يسعون اليه كما فعله صاحب كتاب الشيعة فى هذا العام ؟

إن أول صوت سمعه العالم الإسلامى كله فى الدعوة إلى الوحدة الإسلامية العامة ، والاتفاق بين أهل السنة والشيعة خاصة ، هو صوت الحكيمين الإمامين السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ

محمد عبده المصرى ، ومقالات العروة الوثقى فى ذلك محفوظة أعيد طبعها ، وتاريخ (الأستاذ الإمام) مفصل لها ، وقد نشرنا دعوتهما وأيدناها بمقالاتنا وسعينا العملى منذ ٣٦ سنة ، ولكننا نغضى النظر عن ذلك وننظر إلى عمل المؤتمر الإسلامى وحده

ألم يكن لرئيس المؤتمر الإسلامى الداعى اليه وأعضاء اللجنة التحضيرية التى وضعت نظامه من الفضل ما يفوق فضل علامة الشيعة بإجابة الدعوة ؟ ألم يكن للرئيس من فضل السبق إلى التأليف والاتحاد تقديمه إياه على جميع من حضر المؤتمر من علماء السنة وسادتهم بإمامة الصلاة فى الاجتماع العام للمؤتمر فى ليلة ذكرى الاسراء والمعراج ؟ وقد علمت باليقين أن السيد أمينا الحسينى شاور فى هذا التقديم له غير واحد من أعضاء اللجنة من كبار علماء السنة . فوافقوه على ذلك لأن الغرض منه التأليف والوحدة لا لسبب آخر، ولم يكن أحد منهم سمع فى هذا الغرض من سماحة آل كاشف الغطاء كلمة ، فلأهل السنة السبق إلى هذه الدعوة ، ثم فى تكريمه وتقديمه لأجل الوحدة

ومما انتقده جمهور أعضاء المؤتمر على الأستاذ الشيخ محمد آل كاشف الغطاء أنه اتخذ هذا التقديم فى تلك الليلة الحافلة حقاً له شرعياً ، أو منصباً رسمياً ، فكان يتقدم من تلقاء نفسه الجميع فى كل صلاة جماعة يحضرها ، ولم يزاحمه أحد من أهل السنة فيها . ولم يتواضع هو مرة فيدعو غيره من العلماء أو السادة الشرفاء إلى مشاركته أو النيابة عنه على فرض أنه هو صاحب الحق . ولكنه يقدم غيره من باب التواضع وحسن الذوق

أولم تكن هذه المنة المثقفين من أهل السنة ، كافية لإبطال تلك التهمة، فتمنع السيد عبد الرزاق الحسنى وأستاذه علامة الشيعة ومجتهدهم من تشهير مثقفى أهل السنة كلهم بها وجعلها سبب تأليف هذه الرسالة. و إنما هى دعوة لأهل السنة الى مذهب الشيعة

نعم إنه قد ذكر كل من مؤلفها ومؤلف كتاب (الشيعة) أن الداعى أو الدافع الداع لهما الى ما كتبا هو ما جاء فى كتاب (فجر الاسلام) فى الطعن على الشيعة لمؤلفه الأستاذ أحمد أمين ومساعده الدكتور طه حسين المصريين ولم أكن رأيت هذا

الطعن ولا طالعت هذا الكتاب ، ولكنى أعلم كما يعلم العالمان الشيعيان وغيرهما أن مؤلفى كتاب فجر الاسلام وضحى الاسلام ليسا من دعاة مذهب السنة والرد على مخالفيه فى ورد ولا صدر . وقد ذكر مؤلفها فيها أن الأستاذ أحمد أمين صاحبه اعتذر عما كتبه فى الشيعة بأنه نقله عن بعض كتب التاريخ المشهورة التى اطلع عليها، ولم يطلع على ما يخالفها . ثم أشار الى ما يبرئهما من كل تعصب مذهبى أو غرض دينى بل إلى ما هو شر من ذلك وهو ما اشتهر عن أحدهما من الطعن فى أصل الدين، إذ قال: ونحن لولا محافظتنا على مياه الصفاء أن لا تتعكر ، ونيران البغضاء أن لا تتسعر ، وأن لا تنطبق علينا حكمة القائل * لا تنه عن خلق وتأتي مثله * لعرفناه من الذى يريد هدم قواعد الاسلام بمعاول الالحاد والزندقة ، ومن الذى يسعى لتمزيق وحدة المسلمين بعوامل التقطيع والتفرقة اهـ

وجملة القول: أنه ما كان ينبغى للعلامة آل كاشف الغطاء أن يوافق تلميذه السيد الحسنى على ما رمى به أهل السنة مثقفيهم وعامتهم

من هذا الطعن غير المعقول ، وأن يزيد عليه بما يوهم أنه قليل مما يعلمه هو ، وأن يجعله هو وما كتب فى فجر الاسلام داعياً أو دافعا إلى كتابة هذه الرسالة وما فيها مما يسوء أهل السنة من الدعوى العريضة لنفسه وهضم حق غيره من أهل السنة على الاطلاق ، ثم أن يجعل ما كتبه فى أصل الشيعة وأصولها رداً عليه و إقناعا للفريقين بالاتفاق مع إقرار كل منهما للآخر على مذهبه ، فان الرسالة صريحة فى ضد ذلك . وأما ما كتبه فى أصل الشيعة وأصولها فاننا نخصه بمقال ننشره بعد

اصل الشيعة واصولها

قرظنا فيما سبق هـذه الرسالة التى ألفها علامة الشيعة ومجتهدها الشيخ محمد آل كاشف الغطاء الشهير لدعوة أهل السنة إلى مذهبـه ، ونشرها الاستاذ اللبيب الاديب زميلنا صاحب مجلة العرفان ، ورأينـا من الواجب علينا أن نكتب مقالا آخر نبين به بعض ما انتقدناه عليها من جهة الغلو الذى اعتاده علماء الشيعة حتى صارت العادة عندهم عبادة ، ومن ناحية ضعفهم فى علم الحديث ولا سيما روايته وما يصح منـه ومالا يصح بحسب أصول العلم ، وقد نشير إلى ناحية ثالثة هى ناحية التاريخ ، ولا نعرض للخوض فى مسألة الامامة ، ولا مسألة عصمة الاثنى عشر التى هى أساس مذهبهم لأنها مفروغ منهـا فى المؤلفات القديمة وليست عملية فى هذا الزمان ، وما كان الجدال فى أصول المذاهب إلا ضاراً لأهله فى دينهم ودنياهم فى كل زمان، وشر ضرره تفريق الكلمة ، وتمزيق نسيج الوحدة ، لأنه مبني على عصبية المذاهب

ولن تكون إلا تقليدية ، وما أضيع البرهان عند المقلد ؟ وأبدأ بكلمة فى الغلو فأقول :

من هذا الغلو إطراء أمير المؤمنين على كرم الله وجهه المتضمن لاحتقار الاسلام ومايستلزمه مما لايحسن التصريح به ، مما أنكرناه على السيد عبد الحسين نور الدين العاملى من قبل ، فلم يمنع ذلك الاستاذ آل كاشف الغطاء أن يعيده مقرراً له من بعد ، إذ قال فى أول ص٢١ بعد ذكره من سمى من الصحابة فى الشيعة ما نصه « ولـكن ما أدرى أهؤلاء الذين أرادوا هدم الاسلام أم إمام الشيعة على بن أبى طالب الذى يشهد الثقلان انه لولا سيفه ومواقفه فى بدر وأحد وحنين والاحزاب ونظائرها لما اخضر للاسلام عود، وما قام له عمود، حتى كان أقل ماقيل فى ذلك ماقاله المعتزلى أحد علماء السنة (!!) :

ألا إنما الاسلام لولا حسامه   كعفطة عنز أو قلامة ظافر

هذا ما كتبه مجتهد النجف الأكبر ، وعلامتهم الأشهر .

ثم فسره بمختصر مما فسره به عبد الحسين نور الدين العاملى من

قبله ، وضرب له هذا المثل الشعرى الالحادى

الله أكبر ، ودينه الاسلام أعلى وأظهر ، وأزكى وأطهر ، وأعز وأقهر ، من تشبيه هذا المعتزلى الرافضى — لا السنى — له بضرطة أنثى المعز ، وقلامة الظفر

نعم إن ديننا سماه الله دينه ، وأتمه وأكمله ، ووصفه بما وصفه ، ووعد باظهاره على الدين كله ، وإتمام نوره بقدرته وفضله ، وبعث به خير خلقه ، محمداً رسول الله وخاتم النبيين ، ورحمته للعالمين ، وجعل ملته هى الباقية إلى يوم الدين ، وأيده بملائكته فوق تأييده بالمؤمنين ، إن ديناً هذا شأنه يجب على كل مؤمن به أن يوقن أنه أجل وأكبر وأعظم وأعلى وأسمى وأرفع وأمنع من أن يتوقف ظهوره ونوره ونصره وبقاؤه على جهاد أى فرد من أفراد المؤمنين ، وأن يكون من امتهنه ـ بأنه لولا فلان من أتباعه لكان كضرطة أنثى المعز أو قلامة الظفر التى تلقى وتداس بالنعال ـ جديراً بأن يكون من أجهل الناس به ، وأبعدهم عن الايمان به واتباعه ، وإن وصفه مجتهد الشيعة بأنه من المعتزلة علماء السنة ، ومتى

كان المعتزلة من علماء السنة ؟ فأين علم هذا المجتهد الكبير بالمذاهب والتاريخ ؟

ولو كنا نريد أن نتكلم فى أصول المذاهب لبينا للقارىء أى الفريقين تبعت المعتزلة فيما خالفوا فيه السنة من تحكيم عقولهم فى تأويل كلام الله وكلام رسوله وغير ذلك

وشر من قول هذا المعتزلى بل الزنديق المحتقر للاسلام قول من جعل ذمه وإهانته له أقل ما يقال فيه ؛ فأى شىء أقل من ضرطة العنز وقلامة الظفر ؟ أهذا هو مذهب الشيعة الذى يدعى العلامة آل كاشف الغطاء أن النبى ﷺ هو الواضع له ؟ فهذا مثل من غلو القوم اللاشعورى

نعم إنه ادعى أن النبى ﷺ هو الذى وضع أصل مذهب الشيعة وأن خيار أصحابه تلقوه عنه ، ثم كان أئمة الاسلام من مدونى كتب السنة حفاظ الحديث والمفسرين وسائر علماء الملة منهم الخ

من الغريب أنه يحتج على هذا الأصل بروايات يعزوها إلى

الكتب المعتمدة عند أهل السنة ، وما أدرى أعلمه بالروايات المعتمدة عند أهل السنة كعلمه بكون المعتزلة منهم؟ أم هو يتعمد التدليس والايهام ؟ كل ذلك جائز ، وهو ماتراه فى أول ص ٤١ وما بعدها جوابا عن سؤال أو رده :

قال « إن أول من وضع بذرة التشيع فى حقل الاسلام ـ هو نفس صاحب الشريعة الاسلامية ـ يعنى أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الاسلام جنبا إلى جنب ، وسواء بسواء ، ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقى والعناية حتى نمت وأزهرت فى حياته ، ثم أثمرت بعد وفاته . وشاهدى على ذلك نفس أحاديثه الشريفة ـ لا من طريق الشيعة ورواة الامامية ، حتى يقال إنهم ساقطون لأنهم يقولون بالرجعة ، أو أن راويهم (يجر إلى قرصه) بل من نفس أحاديث علماء السنة وأعلامهم ، ومن طرقهم الوثيقة التى لا يظن ذو مسكة فيها الكذب والوضع . وأنا أذكر جملة ما علق بذهنى من المراجعات الغابرة والتى عثرت عليها عفواً من غير قصد ولا عناية :

« فمنها ما رواه السيوطى فى كتاب (الدر المنثور ، فى تفسير كتاب الله بالمأثور) فى تفسير قوله تعالى (أولئك هم خير البرية) قال :

أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال : كنا عند النبى ﷺ فأقبل على عليه السلام فقال النبى ﷺ « والذى نفسى بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة » ونزلت (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)

وأخرج ابن عدى عن ابن عباس قال : لما نزلت (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال رسول الله ﷺ لعلى « أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين » (؟)

وأخرج ابن مردويه عن على (ع) قال قال لى رسول الله ﷺ « ألم تسمع قول الله (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) هم أنت وشيعتك وموعدى وموعدكم الحوض اذا جاءت الامم للحساب تدعون غراً محجلين » انتهى حديث السيوطى . وروى بعض هذه الاحاديث ابن حجر فى

صواعقه عن الدارقطنى وحدث أيضاً عن أم سلمة ان النبى ﷺ قال « يا على أنت وأصحابك فى الجنة ، أنت وشيعتك فى الجنة »

« وفى نهاية ابن الاثير مانصه فى قمح : وفى حديث على (ع) قال له النبي ﷺ « ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين و يقدم عليه عدوك غضابا مقمحين » ثم جمع يده إلى عنقه يريهم كيف الاقماح انتهى. و ببالى أن هذا الحديث أيضاً رواه ابن حجر فى صواعقه وجماعة آخرون من طرق أخرى تدل على شهرته عند أرباب الحديث .

« والزمخشرى فى (ربيع الابرار) يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال « ياعلى اذا كان يوم القيامة أخذت بحجزة الله تعالى وأخذت أنت بحجزتى ، وأخذ ولدك بحجزتك ، وأخذ شيعة ولدك بحجزهم فترى أين يؤمر بنا »

ولو أراد المتتبع كتب الحديث مثل مسند الامام احمد بن جنبل وخصائص النسائى وامثالهما أن يجمع أضعاف هذا القدر

لكان سهلا عليه . و إذا كان نفس صاحب الشريعة الاسلامية يكرر ذكر شيعة على و ينوه عنهم بأنهم هم الآمنون يوم القيامة وهم الفائزون ، والراضون والمرضيون ، ولا شك أن كل معتقد بنبوته يصدقه فيما يقول ، وأنه لاينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ، فاذا لم يصر كل أصحاب النبى ﷺ شيعة لعلى (ع) فبالطبع والضرورة تلفت تلك الكلمات نظر جماعة منهم أن يكونوا ممن ينطبق عليه ذلك الوصف بحقيقة معناه لا بضرب من التوسع والتأويل

تعليقنا الوجيز على هذه الدعوى وأدلتها

أقول (أولا) ان هذه الاحاديث التى اعتمد عليها فى بيان أصل الشيعة لاتصح رواية لشىء منها ألبتة. ولذلك لم يخرج شيئا منها مصنفو الصحاح كالامام مالك والبخارى ومسلم ولا من بعدهم ـ ولا أحد من أصحاب كتب السنن كالاربعة المشهورة ، ولا مما قبلها من المسانيد ، كمسند الامام أحمد ومسند اسحق ابن راهويه ، ومصنف ابن أبى شيبة وسنن الطيالسى ، على ما فى

هذه السنن والمسانيد من الاحاديث الضعيفة ، بل لم يخرجها الحاكم فى مستدركه ولا عبد الرزاق فى مسنده ولا مصنفه على ما فيها من الأحاديث الموضوعة وشدة عنايتهما بجمع مناقب على وآل بيته عليهم السلام ، وانما خرجها بعض الذين عنوا بجمع كل ما روى من الشواذ والمناكير والموضوعات أيضا ولا سيما رواة التفسير المأثور التى عنى السيوطى بجمعها فى كتابه الدر المنثور و يكثر ايراد مثلها المصنفون فى المناقب والفضائل بغير تمييز ، ولا سيما الجاهلين بعلم الرواية، ومنهم الواحدى والزمخشرى الذين أوردوا فى تفاسيرهم الاحاديث الموضوعة فى فضائل السور سورة سورة ونقلها عنه البيضاوى، وكلها موضوعة اعترف واضعوها بوضعها عند سؤالهم عنها كما نقله السيوطى فى الاتقان (ص ١٥٥ ج ٢) وقد اشتهر عن الامام أحمد أنه قال: ثلاثة ليس لها أصل: التفسير والملاحم والمغازى ـ يعني من الاحاديث المرفوعة ـ وذلك أن أكثر ما روى فيها مراسيل لا يعلم الساقط من سندها وتكثر فيها الاسرائيليات وأقوال أهل الاهواء

(ثانيا) إن ما نقله السيوطى منها فى تفسيره (الدر المنثور) من الروايات عن ابن عساكر وابن عدى وابن مردويه هو حديث واحد فى موضوعه، وهو سبب نزول آية البينة، وهو لم يذكره فى كتابه (لباب المنقول فى أسباب النزول) لأنه من القشور الواهية لا من اللباب ، ولهذا لم يروها الإمام الطبرى ، ولم ينقلها الحافظان البغوى وابن كثير وأمثالها فى تفاسيرهم ولا مفسرو المعقول

(ثالثاً) ان ما ينقله السيوطى فى هذه الكتب لا يقال : إنه هو الذى رواه ، كما يقول الأستاذ آل كاشف الغطاء فيه وفى الزمخشرى وابن حجر الهيثمى و يقول مثله غيره من علمائهم فى كل ما ينقلونه عن أى كتاب ألفه أحد المنسوبين إلى مذاهب السنة ليحتجوا به على أهل السنة ، كما بيناه فى الرد على الاستاذ السيد عبد الحسين نور الدين العاملى ، فالفرق بين الراوى والناقل معروف عند جميع أهل الحديث وجميع أهل العلم ، وأكثر الذين رووا الأحاديث بأسانيدهم لم يلتزموا الصحيح منها ، بل منهم من من تعمد رواية كل ما سمعه حتى الموضوع المفترى اعتماداً على

التفرقة بينها بمعرفة رجال أسانيدها ، ومنهم من اجتنب الموضوع دون الضعيف ، وأكثر الناقلين عنهم من غير المحدثين كالزمخشري والرازى لا يميزون بين الصحيح وغيره ، وما كل المميزين يلتزمون نقل ما يصح أو يبينون درجته إلا قليلا ، ولا سيما أحاديث المناقب والفضائل حتى مناقب النبى ﷺ ودلائل نبوته ومناقب آله وأصحابه ومن دونهم ، فأكثر روايات دلائل النبوة للحافظ أبى نعيم وحلية الأولياء ضعيفة وفيها موضوعات كثيرة

(رابعاً) إن الشيخ احمد بن حجر الهيتمى وهو من أمثل الفقهاء غير المحدثين نقل فى كتابه الصواعق ما رآه من هذه الروايات التى فيها ذكر الشيعة وصرح بضعف بعضها وكذب بعض . وقال فى ص ٩٤ : إن المراد بشيعته فيها أهل السنة والجماعة لا مبتدعة الروافض والشيعة ... فانهم من أعدائه لا من شيعته ... وأورد عنه كرم الله وجهه ، ما استدل به على ذلك وأعاد هذا فى ص٩٥ ثم قال فى ٩٨ بعد الإحالة على ما تقدم فيهم

وفى رواية أحمد فى المناقب التى ذكر فيها هذا اللفظ إنما هم شيعة إبليس . ثم قال : فاحذر من غرور الضالين وتمويه الجاحدين الرافضة والشيعة . ثم ذكر حديث الدارقطنى عن على وأم سلمة وهو حجة له على الشيعة، ولذلك لم يذكر آل كاشف الغطاء نصه ، بل كشف عن بعضه وغطى بعضاً ، فنص الأول « يا أبا الحسن أما أنت وشيعتك فى الجنة و إن قوما يزعمون أنهم يحبونك يصغرون الإسلام ثم يلفظونه ، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية يقال لهم نبز ، يقال لهم الرافضة ، فان أدركتهم فقاتلهم انهم مشركون» وفى رواية أم سلمة زيادة فى علامتهم من ترك الجمعة والجماعة والطعن على السلف (قال) وشيعته هم أهل السنة لأنهم هم الذين أحبوه كما أمر الله ورسوله ، وأما غيرهم فأعداؤه فى الحقيقة الخ

(خامساً) علم من هذا أن قوله إنه ينقل الأحاديث الشريفة فى أصل مذهب الشيعة من نفس أحاديث علماء السنة وأعلامهم ومن طرقهم الوثيقة الخ ـ غير صحيح فانه لم يذكر شيئاً من طرق الأحاديث التى نقلها وانما نقلها من غير كتب رواتها، بل لا يعرف

تلك الطرق ولا رآها ، ولو رآها لما عرف صحيحها من سقيمها ، فان ادعى أنه يعرف هذا وذاك ، وأنه قال ما قال عن معرفة ، فاننا نسأله لم لم يذكرها ؟ ثم نتحداه بأن يبين لنا هذه الطرق وينقل لنا أقوال علماء الجرح والتعديل فى رجال أسانيدها ، ومن المعلوم بالبداهة أن نقل هذا بعد تحدينا إياه به لا يدل على أنه كان يعلمه قبله ، وهو على كل حال لن يكون إلا حجة عليه .

(سادساً) قوله : إنه لا ينقل من طريق الشيعة لئلا يقال ما ذكره ـ فيه أن أئمة أهل الحديث لا يقولون مثل هذا القول فيهم كلهم ، وقد عدلوا كثيراً من رجال الشيعة فى الرواية فليأتنا بما شاء من رواياتهم بطرقهم المتصلة إن وجدت

(سابعاً) ان ما نقله عن ربيع الابرار للزمخشرى المعتزلى هو باطل المتن على حسب أصول المعتزلة والشيعة الذين يحكمون عقولهم فى الروايات الصحيحة فيردونها أو يؤولونها بل يؤولون آيات القرآن التى توهم التشبيه بزعمهم ، فكيف يقبلون حديثاً لا يصح له سند ، ولا يظهر له تأويل تقبله اللغة ، وهو جعل الشيعة كقطار

آخذ كل واحد منهم بحجزة الآخر وهى معقد إزاره يكون أوله رب العالمين له حجزة يأخذ بها رسول الله ﷺ (سبحان ربك رب العزة عما يصفون)

وجملة القول: أن هذه الروايات التى أوردها الاستاذ آل كاشف الغطاء لا يصح منها شيء البتة ، ولا يعتد بأيهامه لقارىء كلامه إنها أقرب ماعلق بذهنه عرضا من روايات المحدثين الكثيرة المعتمدة أو المتواترة عند أهل الحديث ، وإنه لوشاء لأورد أضعافها وجعلها فى معنى الوحى الواجب اتباعه ، فلو كان فى كتب الصحاح أوالسنن شيء منها ولو واحداً لكان أولى منها كلها . ولو رجعنا إلى أسانيدها وبينا علة كل منها لطال الكلام فى غير طائل ، وإنما البينة على المدعى وإنا نتحداه ونتحدى غيره أن يأتونا بسند حديث واحد منها رجاله رجال الصحيح

ثم نقول (ثامنا) إن فرضنا أنه صح حديث مرفوع فى ذكر شيعة على فاننا ننقل الكلام إلى المراد منه فى اللغة وقوله تعالى فى موسى (ع . م) (هذا من شيعته وهذا من عدوه) فنقول : إنهم

هم الذين اعتقدوا أنه هو الذى كان على الحق فنصروه على من عادوه وتبرءوا منه وحاربوه من الخوارج ، وكذا معاوية وأتباعه خلافا لابن حجر الهيتمى وأمثاله الذى يخرجون هؤلاء منهم بحجة أنهم كانوا مجتهدين متأولين فلهم أجر واحد ولعلى وأتباعه أجران فان متبع الحق مستقل الفكر فيه بلا هوى ولا تعصب لمذهب يجزم بأن معاوية نفسه كان باغيا خارجا على الامام الحق كالخوارج وأنه طالب ملك ، ويؤيد ذلك إكراه الناس على جعل هذا الملك لولده يزيد المشتهر بالفسق ، وأن بعض الخوارج كانوا متأولين كبعض أصحاب معاوية الذين اعتقدوا أنه كان على حق فى مطالبته بدم عثمان ، فمجموع كل من الفريقين بغاة خارجون على إمامهم الحق ، وأفرادهم يتفاوتون فى النية والقصد ، كتفاوتهم فى العلم والجهل وحكمه كرم الله تعالى وجهه عليهم فى جملتهم هو الحق ، وهو أن بغيهم لايخرجهم من الاسلام ، وإن كلمته عليه السلام « إخواننا بغوا علينا » لكلمة لو وزنت بالقناطير المقنطرة من اللؤلؤ والمرجان لكانت ذات الرجحان فى هذا الميزان

هذا مايصح به تفسير شيعته فى عهده ، فان صح إطلاق هذا اللقب على أحد من بعده فيجب إطلاقه على كل من يقولون إنه كان هو الامام الحق فى زمن خلافته كما كان على الحق فى مبايعة الأئمة الثلاثة من قبله ، وجميع أهل السنة يقولون بهذا حتى الذين يعذرون بعض المخالفين له بالتأويل على قاعدتهم فيمن يخالف بعض ظواهر القرآن والسنة الصحيحة عندهم متأولا .

ولا يصح بوجه من الوجوه أن يفسر لفظ الشيعة فى الحديث على فرض صحته بمذهب دينى فإن أساس الدين الالهى الوحدة والاتفاق فى جميع العقائد والمقاصد والأصول القطعية ، الله يقول لرسوله ﷺ (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء) الآية ، فالشيع فى الدين باطلة والرسول ﷺ برىء منها بنص القرآن ، فكيف يكون هو الواضع لأصولها؟

كذلك لايصح أن يكون الغلاة فى على وأولاده وأحفاده عليهم السلام من شيعته ولو بالمعنى الأعم لأن الغلو فى دين الله مذموم فى كتاب الله وعلى لسان رسوله ﷺ . وقد روى عنه فى

نهج البلاغة وغيره أنه قال «هلك فى رجلان: محب غال. ومبغض قال» ولا شك فى أن من أقبح الغلو فيه أن يقال إن دين الله الإسلام لم يكن لولا سيفه إلا .... ولا نحب أن نتوسع فى بيان غلو من يبرؤن أنفسهم من الغلو ويخصون به من اتخذوه إلها. على أن الشيعة الامامية يعدون منهم خلفاء مصر العبيديين كما شهد لهم عميدها الشريف الرضى، وهم الذين يقول شاعر المعز منهم فيه

ماشئت لاما شاءت الأقدار   فاحكم فأنت الواحد القهار

دع دعايتهم الالحادية التى فصلها المقريزى فى خططه. وقال فيهم حجة الاسلام الغزالى: ظاهرهم الرفض، وباطنهم الكفر المحض فهل هذا كله مما وضعه النبى ﷺ من أصول الشيعة؟

وخلاصة الخلاصة: أن ما نقله مجتهدهم من الروايات لاثبات أصل مذهب الشيعة لايصح أن يثبت بها أى مسألة من الفروع العملية كالطهارة والنجاسة والبيع والاجارة، وأنها لاتدل على شيء من أصول هذا المذهب فى عصمة الأئمة وفى الامامة وفى تحكيم الآراء العقلية فى العقائد الدينية ولامن فروعه، كذلك لا يصح

شيء مما قاله فى عد بعض الصحابة وغيرهم من أتباع هذا المذهب

وليس من غرضنا أن نتكلم فى المذهب نفسه، ولا فى فرق الشيعة من غلاة وهم درجات من باطنية وظاهرية ومن معتدلين كالزيدية فان الخوض فى هذا كان أكبر المصائب الممزقة للأمة الاسلامية. ولا يزال الذين يثيرونها لأجل المحافظة على جاههم ومنافعهم أشد الناس جناية عليها، وإن سخر بعضهم منها بزعمه أنه داع إلى التأليف بين فرقها، وجمع كلمتها. وما هو إلا داع الى مذهبه، مضلل لمتبعي غيره، وهذا هو التفريق بعينه

أوردها سعد وسعد مشتمل   ما هكذا يا سعد تورد الابل

خاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا بهداية الاسلام دين قيما ملة ابراهيم حنيفا ، أتم الله علينا به النعمة وارتضاه لنا بفضله ورحمته دينا والصلاة والسلام على محمد عبد الله ورسوله الذى أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وعلى آله الذين آلوا اليه بصلات وأسباب رسالته وانفصلوا بأرواحهم وقلوبهم وإنسانيتهم عن الآباء والشيوخ والقبائل والأوطان ، فألغوا كل تلك العلاقات ، ولم يقيموا وزنا لشىء من هاتيك الصلات ، ولم يكن عندهم بالمقام الأسمى والمنزلة الرفيعة العليا إلا نسب الإيمان برسالة هذا الرسول الأعظم ﷺ واتباع النور الذى أنزل معه

وتعزيره وتوقيره ونصره ، فكانوا بذلك خير أمة أخرجت للناس وعلى رأس هؤلاء ودرة تاجهم أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضى الله عنهما وأرضاهما ، ورفع فى أعلى جنات النعيم درجاتهما وقد فعل بخبر الصادق المصدوق ﷺ . ونسأل الله أن يجعلنا مع أولئك الآل الذين رضى عنهم ورضوا عنه وأن يطهر قلوبنا ونفوسنا من كل صلة ونسب إلا ما كان موصولا بسبب ونسب على إيمانى بهذه الرسالة الكريمة التى حفظ الله برحمته وفضله شمسها من أن ينالها شىء من سحب الخرافات والضلات وظلمات التحريف والتبديل والافتراءات التى نسجها الشيعة المجرمون أعداء الله وأعداء رسله وأعداء كتابه ودينه ، وأعداء الحق فى كل مظاهره — من خيوط الكذب والإفك والحقد والضغن على الإسلام والمسلمين ، وموهوها — من دعوى حب على وأولاد على . بأصباغ باهتة حائلة لم تقدر مهما كثفوها على مر الأيام — أن تحجب خبيث كفرهم ، ومقيت حقدهم وضغنهم وعدائهم للهدى والحق الذى أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور وهداهم به إلى

الصراط المستقيم . وإن الله غالب على أمره وحافظ حجته فى هذه الرسالة بكتابها الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه و بسنة وبيان الرسول ﷺ التى أقام الله لها جهابذة أبطالا ينفون عنها تحريف الغالين وزيغ الزائغين وحقد الحاسدين . والله متم نوره ولو كره الرافضة الخبثاء المفسدون

وبعد . فإن شيخنا علامة وقته و إمام عصره الإمام السيد محمد رشيدرضا رحمة الله عليه ومغفرته كان قد وقف حياته لخدمة الإسلام والدفاع عنه ، و بذل فى سبيل ذلك جهداً جباراً مشكوراً آتاه الله فيه السداد والتوفيق ، بما رزقه من الفقه الدقيق فى آيات الكتاب العزيز، والتفكر الصائب لآيات الله الكونية فى الأنفس والآفاق ، والبصيرة النيرة فى دراسة ماضى الأمة وحاضرها وتطبيق سنن الله التى لا تتبدل ولا تتغير عليها فى كل عصر ومكان ، وقد كان فوق ذلك متضلعا من السنة النبوية بما كان به يعد من الحفاظ المجودين والفقهاء المستبصرين . وكان رحمه الله لا يأتي عليه يوم إلا يزداد بصيرة وعلما وحكمة ، بما أوتى من يقظة الضمير

وصفاء الروح وطيب القلب ، وقوة الحيوية الانسانية وصبرحبس به نفسه على آيات الله الكونية والعلمية ، حتى صاحبها خير صحبة، وامتزج معها أشد امتزاج ، فكانت له نعم الرفيق وخير الصديق عرف بها نعم الله عليه فى إنسانيته الكريمة وفيما أسبغ الله عليه من عقل وفهم وهدى . فقدر ذلك حق قدره وشكره حق شكره ، وتغذت به روحه ومعناه فربت ونمت ، وتدفقت فى تفسيره ومناره على المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بحارا فياضة بعناصر الحياة الطيبة القوية من العلم والحكمة والهدى والإيمان ، والعزة ورفعة السلطان . وانتفع بها من شاء الله له ورود تلك المناهل الإسلامية الصافية من كل غشى وكدر ، ووجد بها نعمة الحياة السعيدة التى طاب بها عيش المسلمين الأولين . فعزوا وسادوا . وكنت بحمد الله ممن أخذ من ذلك قسطه . فنفضت عن نفسى أكوام الأوهام وكسرت عن عنقى أغلال التقليد للشيوخ والآباء وانقشعت عن قلبى ظلمات الكفر بآيات الله ونعمه . فأحيانى الله وجعل لى نورا أمشى به فى الناس — وفقمت كما خلقنى الله

وأكرمني بالإنسانية العاقلة — أمشي سويا على صراط مستقيم . أتلو وأسمع وأعقل آيات الله الكونية فى نفسي وفى الآفاق وأفهم عنها كيف تسبح العليم الحكيم، وآياته العلمية فأتدبرها وأفقه مافيها من الهدى والحكمة ، وأعتصر من عبرها ورحمة الله فيها ما أغذى به نور قلبي فيزداد إشعاعا وقوة إيمان برب العالمين الرحمن الرحيم، فأخر ساجدا لربي مسبحا بكل جارحة فى و بكل معاني إنسانيتي هاتفا من كل قلبي : الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين . اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

***

كان أستاذنا الإمام السيد رشيد رضا أسبغ الله عليه سحائب رحمته ورضوانه -- دائب الدارسة والفحص والتحسس لعلل أمراض أمته الاسلامية ، فوقف بذلك على أن أمراضها هى مما أصابهم من الجهل والسفه والطيش والرعونة ، والخرافات والتقاليد التي قتلت فى الناس كل معانى الحياة الانسانية، وأفسدت

منهم كل عناصر العزة الايمانيه ، حتى لبسهم ليل الغفلة وغرقوا فى بحار الغرور والأمانى الكاذبة ، فهووا فرقا وأشلاء محطمة فى مكان سحيق عن الحياة الوجودية. لاتبلغ آذانهم فيها أصوات عجلة الحياة وضجيجها الصاخب ونشاطها المتدارك الذى لاينتظر المتخلفين ، ولا يقف عن السير لغفلة الغافلين ولايستأنى للنائمين والله يبعث القوارع الصاخة عليهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ومن بين أيديهم ومن خلفهم ، وكلما صاحت بهم استغشوا ثياب الغرور والغفلة والتحفوا أغشية الأمانى الكاذبة فتركتهم فى إعراضهم وغبائهم وغفلتهم يذوقون الموت ألوانا مرة المذاق . وذهبت توقظ الآخرين ، وتغذيهم بعناصر جديدة من الحياة ، وتدعوهم أن يجردوا هؤلاء الموتى من أسلابهم و ينتزعوا كل ما بأيديهم من تراث ، بل و ينتزعوا حياتهم من هياكلهم المظلمة الخاوية يغذون بها حياتهم و يعدون على تلك الأشلاء المحطمة سلطانهم وملكهم .

عرف أستاذنا الرشيد الداء والعلة التى بلغت بالمسلمين

ماحطهم إلى هذه الدركات المهينة الذليلة والسبب الذى ألقى بأعناقهم إلى أغلال الاستعمار واستغلال الأمم الأوربية الكافرة تسومهم سوء العذاب وتعتصر كل ذرة من حياتهم لتغذى به جشعها وتستصفى كل قطرة من دمائهم لتروى بها ظمأها ، وتفصل من أشلائهم لبنات تبنى بها حصونها وقصورها .

فقام الامام الحكيم السيد رشيد — رحمه الله — يطرق بقلمه ولسانه أبواب قلوب الغافلين وعقولهم طرقا عنيفا و يصيح بهم أيها النائمون هبوا من نومكم العميق فقد وطئتكم عجلة الحياة وأنتم لا تشعرون أيها الغافلون تنبهوا من غفلتكم فقد خلفكم ركب الحياة بعد أن سلبكم كل ما كنتم تملكون . أيها الناس اخرجوا من بحر الغرور إلى شاطىء الحقائق الوجودية فلعلكم تدركون مكانكم من الحياة ، أو تسبقون فأسباب الحياة لا تزال بين أيديكم من آيات الله الكونية والعلمية تناديكم أن تأخذوا بها كما أخذ سلفكم فيعيدكم الله سيرتكم الأولى من العزة والقوة والسلطان إن كنتم تعقلون .

وكان من أقوى طوارقه — رحمه الله — تفسيره للقرآن الكريم

ومقالاته الحكيمة فى المنار وغيره من الرسائل والكتب التى كان يصوغها من عصارة نفسه الزكية ، ويكتبها بمداد من حشاشة قلبه النابض بالغيرة المتوقدة على المسلمين .

وكان له رحمه الله دقة وحكمة بالغة فى تشخيص العلة وتصوير الداء وإبرازه فى صورة جلية واضحة كل الوضوح ، وفى وصف الدواء وجمع عناصره من آيات الله الكونية والقرآنية ومن هدى الرسول ﷺ وسير السلف عنهم وسير الأمم وسنن الله فيها. فكان بذلك الجدير أن يسمى حكيم الإسلام .

وهذه رسالة « السنة والشيعه » من أواخر أصواته المدوية التى كان يطرق بها أبواب العقول والقلوب يدعوها أن ترجع من طرق الهوى وضلال العصبية العمياء بلا وعى ولا تعقل إلى صراط الله المستقيم الذى يجمع الكلمة و يوحد الأمة و يبعث فيها حياة الاسلام العزيزة (فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)

ولقد كان شيخنا حكيم الاسلام — غفر الله له ورحمه — يرجو

مخلصا صادقا أن تجد دعوته من الشيعة آذانا صاغية وقلوبا واعية لتفىء إلى الرشد والجماعة ولا تتمادى فى ضلالها القديم وغيها البعيد ، بعد ما رأت ولمست ـ إن كانت تحس ـ من ضعف المسلمين ووهنهم أمام الخطر الأوربى الداهم . ولكن أنى ذلك الإحساس والفىء والرجوع والشيعة مغتبطة أشد الاغتباط بما نال الجسم الاسلامى من تمزق وموت . لأن كل ماحل به إنما هو مما صنعت يد الشيعة الأثيمة من معاول الهدم والتحطيم لعقائد المسلمين التى هى الدعامة القوية لبناء صرح الاسلام الأول ، وعليها قام عزه وعلت كلمته وعز جانبه وامتد سلطانه ينشر الهدى والرحمة ، و ينتشل الانسانية من ردغة الوثنية وخرافاتها وأوهامها التى لطختها بكل قذر وردتها إلى أسفل سافلين وحطمت كل قواها ، وعصفت بكل أسباب العزة والكرامة فيها فذهبت تتناثر كأوراق الخريف الذاوية تتقاذفها ريح الأهواء وتلقى بها فى مزابل الحياة ومقاذرها .

ولقد كشفت الأيام عن حقيقة ماتنطوى عليه الشيعة من

شديد الضغن على الإسلام وعناصره القوية التى قام عليها مجده الغابر : من شرائعه وعقائده ، ومن رجاله الصادقين الذين قدموا أنفسهم وأموالهم لبنات زكية طاهرة لبناء صرح الإسلام و إعلاء سلطانه لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الشيطان وحزبه هى السفلى

نعم قد كشفت الأيام عن حقيقة ماتنطوى عليه الشيعة ، بما تناثر من كتبهم ومؤلفاتهم التى كانوا حريصين أشد الحرص على إخفائها وكتمانها عن المجتمع الإسلامى ، عملا بقاعدة «التقية» التى هى عندهم رأس الأمر وأساس دينهم والذى يصغر بجانبها و يتلاشى كل شىء من دينهم

فلقد كان هذا الستر والاخفاء الشديد لكتبهم ، والظهور أمام العالم الإسلامى بغير حقيقتهم سبباً فى أن كثيراً من العلماء المسلمين الصادقين فى مختلف العصور حسبوا الشيعة فرقة من المسلمين ضلوا بعض الضلال ، فخاطبوهم بلسان الأخوة الإسلامية ودعوهم بذلك إلى أن يفيئوا إلى ظل الوحدة الإسلامية تحت راية الكتاب والسنة ، وأخذ أولئك العلماء يبذلون فى ذلك قصارى جهدهم بتأليف

الكتب والرسائل والمقالات فى الصحف والمجلات ، و بعقد المؤتمرات والاجتماعات ولجان التقريب والشيعة يلقونهم بجلد الحية الرقطاء فى لين ملمسها وجمال لونها . حتى إذا حان الوقت نهشت بأنيابها وأفرغت سمومها الفتاكة فى جسم الأمة الإسلامية قتهرأ وتساقط لقما لذيذة شهية لمعدات دول أعداء الإسلام فى القديم والحديث . والحية الخبيثة تنتهز فرص هذه المؤتمرات والاجتماعات واللجان وفرص هذه المخاطبات باسم الأخوة الإسلامية ، و باسم الجامعة الإسلامية ، وتفرح أشد الفرح إذ يتيح لها أولئك الذين يلصقونها بجسم المسلمين أن تتمكن منهم وتنهشهم نهشها العنيف وتفرغ كل سمها الخبيث فى هـذا الجسم الذى رضى أن يلصقها به و يحتويها تحت طياته الواهنة الضعيفة .

لكننا نستطيع اليوم أن نؤكد فى صدق و يقين جازم أن تلك الحية الخبيثة ـ لن تجد هـذه الفرصة إلا عند من عرفت الأمة العاقلة الرشيدة أنهم أدعياء اصلاح ، بل أدعياء إسلام ، مهما زعموا لأنفسهم من صور وألقاب وأنهم قلة قد ولتهم الأمة ظهرها

نقول ذلك بعد أن خرجت كتب الشيعة من وثاق التقية والكتمان

ووقعت فى أيدى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وعرفوا منها حقيقة هذه الحية الخبيثة « الشيعة »

ولعلك تسأل متعجباً : ما هو السر الذى حمل هؤلاء الشيعة أن يستهينوا فى هذه الأعصر الأخيرة بأصل دينهم ورأس أمرهم « التقية » حتى فكوا عقل كتبهم و بعثوا بها أوعية ملئت بعصارة سموم الحية الخبيثة ، ثم أطلقوها تسعى مشرقة ومغربة وهم آمنون أن تنالها نعال المسلمين فتسحقها وتهريق سمومها فى مجرى القاذورات ؟

أجيبك عن ذلك فتدبر ما أقول لك جيـداً . إنهم توهموا ـ أو تحققوا ـ أن سمومهم التى طالما نفثوها فى استخفاء على ألسنة الصوفية وغير الصوفية من الذين تسمع الأمة لنعيقهم بدون وعى ولا تعقل ـ قد بلغت غايتها فى الأمة فمزقتها بالوثنية والتقاليـد الخرافية والأوهام والأماني الكاذبة ، وأن الأمة قد انحلت عنها عرى الدين والحق . وتقطعت من أيديها كل أسباب الحياة . وآية ذلك : ماحل بها من الاستعمار الأوربي الذى قيدها بأغلال ثقيلة زعمت منها ـ لشدة موتها ـ أن تلك الأغلال قلائد السعادة

وأوسمة الرقى فى المدنية والحضارة ، وذهبت تهتف من أعماق نفسها المحطمة العفنة : هنيئاً لنا بما نلنا على يد سادتنا الأور بين من الحضارة والتمدين .

رأت الشيعة ذلك ، وهى ترقب بمكر وخبث من وكرها ما ستفعل سمومها . ومثلهم فى ذلك مثل اليهود الذين هم أصلهم وأساتذتهم وملقنوهم من القديم ، بل صانعوهم حية تلتصق بجسم المسلمين ، فتؤدى كل ما يبعثه فيها اليهود من خبث و إفساد وتنكيل . ألا ترى الى اليهودى اليوم قد كشفوا هم كذلك القناع وخرجوا من جحورهم يحاولون فى وضح النهار أن ينهشوا من جسم المسلمين فلسطين . ثم غيرها لو استطاعوا الى ذلك سبيلا . لأنهم رأوا كذلك الجسم قد خدر تمام التخدير بما حقنوه بيد ولسان أبنائهم وصنائعهم الشيعة والصوفية والمقلدة من سموم الوثنية والخرافات والأوهام والأمانى الكاذبة ؟

زعم الشيعة لذلك أنه قد آن الأوان أن يبعثوا بأوعية سمومهم جهة مشرقة ومغربة ظانين أنها ستجد الجو مهيئا. فتقضى قضائها

الأخير على الأمة . وتأتى على الإسلام من أساسه فينطفىء نور الله من بينهم و تحيط بهم ظلمات عقائد الشيعة من كل جانب ليسهل على اليهود وغيرهم من ذئاب البشرية أن يلتهموا البقية الباقية و يهدأ بال الشيعة و يطمئنوا بما قدموا لأساتذتهم وصانعيهم من مكافأة على ما أسدوا اليهم على يد عبد الله بن سبأ و إخوانه من فلول اليهود والمجوس من مبادىء وعقائد امتازوا بها فى كل العصور عن كل المسلمين ، وكانوا بها أبداً من أهل الشمال .

ولقد زعمت اليهود أنهم شعب الله المختار وأبناؤه لأن فيهم من نور الله الذى ورثوه — كذبا و بهتانا — من يعقوب الذى هو أول نور انبثق من الله بزعمهم الفاجر الكافر . وزعموا أنهم لذلك أحق الناس أن تكون لهم الدولة والصولة والتحكم فى رقاب بقية الشعوب التى ليس لها من هذا السر الآلهى الموروث مثل مالهم . (قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق) كبقية البشر .

ولقد زعمت الشيعة كذلك أنهم الشعب المختار ، لأنهم

الوارثون للنور والسر الإلهى الذى حل فى على بن أبى طالب — برأه الله مما يقول أولئك الكافرون. ولقد وقع جمهور الناس ودهماؤهم صرعى هذا الأفك والبهتان ، حتى لقل أن تجد ممن يدعى الإسلام من لا يدين بهذه العقيدة الوثنية اليهودية الخبيثة فى على وأولاده ؛ بل لقد زعموها للرسول ﷺ . وبرأه الله مما يفترى الكافرون . فما كان إلا كما وصفه الله بشرا مثل كل البشر فى خلقته وولادته وحياته البشرية كلها . امتاز بأن الله أوحى إليه : إنما إلهكم إله واحد وأنه ليس كمثله شىء . وأنه الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

ثم أليس لليهود مبكى يحتفلون كل عام به يندبون مجدهم الموهوم ، وحظهم الذى يصرحون بأن الله سبحانه ظلمهم به وهضمهم حقوقهم المكتسبة لهم وحدهم بأصل خلقهم الذى هو من عناصر النور الالهى الموروث . ويلعنون كل الشعوب

كذلك الشيعة مبكى الحسين يصنعون فيه ما يصنع اليهود

ويقولون ما يقولون ويلعنون ما يلعنون . العقيدة واحدة والعمل واحد ولا يؤثر اختلاف الاسماء شيئا عند من يتفكر ويعقل .

وقد آن الأوان أن أسوق لك ولكل من يعقل الأدلة على كل ما قلت فى الشيعة مما بين يدى من كتبهم واقرأ واحكم والله خير الحاكمين .

قال فى كتاب مفتاح الجنات [١] :

« دعاء صنمى قريش »

(من كلام أمير المؤمنين على [٢])

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآل محمد والعن صنمى قريش وجبتيها

---

(١) هو كتاب مقدس عندهم كالقرآن أو أشد ، إذ لابد لكل حاج أن يصحبه معه فى كل المناسك والمشاعر ، وهو جامع لادعيتهم فى كل المناسبات وقد طبع عدة طبعات تنقل من طبعته سنة ١٣٢٤ ببلاد العجم

(٢) هما أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وأرضاهما . ومن عظيم كفر الشيعة ووقاحتهم نسبة هذا الكفر القذر لعلى رضى الله عنه وبرأه منهم

وطاغوتيها و إفكيها وابنتيهما اللذين خالفا أمرك وأنكرا
وحيك وجحدا إنعامك وعصيا رسولك وقلبا دينك وحرفا
كتابك وأحبا أعداءك وجحدا آلائك وعطلا أحكامك
وأبطلا فرائضك وألحدا فى آياتك وعاديا أوليائك ووالیا أعدائك
وخربا بلادك وأفسدا عبادك . اللهم العنهما وأتباعهما وأوليائهما
وأشياعهما ومحبيهما وأنصارهما ، فقد أخربا بيت النبوة وردما
بابه ونقضا سقفه وألحقا سماءه بأرضه وعاليه بسافله وظاهره
بباطنه واستأصلا أهله وأبادا أنصاره وقتلا أطفاله وأخليا منبره
من وصيه ووارث علمه وجحدا إمامته وأشركا بربهما ، فعظم
ذنبهما. وخلدهما فى سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقى ولا تذر .
اللهم العنهم بعدد كل منكر أتوه ، وحق أخفوه ، ومنبر علوه ،
ومؤمن أرجوه ، ومنافق ولوه ، وولى آذوه ، وطريد آووه ، وصادق
طردوه ، وكافر نصروه ، و إمام قهروه ، وفرض غيروه ، وأثر
أنكروه ، وشر أثروه ، ودم أراقوه ، وخير بدلوه ، وكفر نصبوه
ووارث غصبوه ، وفىء اقتطعوه ، وسحت أكلوه ، وخير استحلوه

و باطل أسسوه ، وجور بسطوه ، ونفاق أسروه ، وغدر أضمروه
وظلم نشروه ، ووعد أخلفوه ، وأمان خانوه ، وعهد نقضوه ،
وحلال حرموه ، وحرام أحلوه ، و بطن فتقوه ، وجنين أسقطوه ،
وضلع رفوه ، وصك مزقوه ، وشمل بددوه ، وعزيز أذلوه ، وذليل
أعزوه ، وحق منعوه ، وكذب دلسوه ، وحكم قلبوه ، و إمام
خالفوه . اللهم العنهم بكل آية حرفوها ، وفريضة تركوها ،
وسنة غيروها ، ورسوم منعوها ، وأحكام عطلوها ، و بيعة نكثوها
ودعوى أبطلوها ، و بينة أنكروها ، وحيلة أحدثوها ، وخيانة
أوردوها ، وعقبة ارتقوها ، ورباب دحرجوها ، وأزياف لزموها ،
وشهادات كتموها ، ووصية ضيعوها . اللهم العنهما فى مكنون
السر وظاهر العلانية لعناً كثيراً أبداً دائماً دائباً سرمداً
لا انقطاع لأمده ، ولا نفاد لعدده لعناً يغدو أوله ولا يروح آخره
لهم ولأعوانهم وأنصارهم ومحبيهم ومواليهم ، والمسلمين لهم
والمائلين إليهم ، والناهضين باحتجاجهم ، والمقتدين بكلامهم ،
والمصدقين بأحكامهم . بس جهار مرتبه بكو . اللهم عذبهم عذاباً

يستغيث منه أهل النار . آمين يا رب العالمين

وهذا الدعاء ينطق بما انطوت عليه قلوبهم المجرمة الفاجرة من شديد الضغن والعداء للاسلام مركزاً فى وزيرى الرسول صلى الله عليه وسلم للذين بهما أعز الله الإسلام ، وأعلى كلمته ورفع منـاره ، وعلى يدهما كان القضاء على وثنيـة الفرس والعرب وخبائث اليهود وتطهير الجزيرة من ذلك

---

(1) هذا دعاء يرتله الشيعة فى الصباح والمساء وفى مشاعر الحج و يعتقدونه أقرب القربات وأقدس العبادات . لا فرق بين عالمهم المجتهد وعاميهم المقلد . الـكل يدين هذا الدين . و يعقد عقيدته على أساس هذا الدعاء الـكفرى الخبيث القذر . فهل بعد هذا يتصور عاقل فى هذه الشيعة المجرمة الخبيثة : أنها من فرق المسلمين التى يمكن أن نقربها منا ونحاول إلصاقها بجسم الأمة الإسلامية؟

اعتقد أن بعد ذلك قد انـكشف الغطاء وأنه أصبح من أ كبر الجرائم اعتبار هؤلاء من فرق المسلمين الزائغة.

وفى كتاب العيون والمحاسن لأبى عبدالله محمد بن محمد النعمان الشهير بالمفيد ما نصه فى الرجعة التى معناها حلول الأرواح فى أجسام جديدة للعذاب والنعيم :

ومن كلام الشيخ فى الرجعة : ص ١١٢ ج ١

سأل بعض المعتزلة شيخاً من أصحابنا الإمامية . . . إذا كان من قولك : أن الله جل إسمـه يرد الأموات إلى دار الدنيا قبل الآخرة عند قيام القائم (يعنى عند رجعة على) ليشفى المؤمنين كما زعمتم من الـكافرين ، و ينتقم لهم منهم كما فعل ببنى إسرائيل فخبرنى : ما الذى يؤمنك أن يتوب يزيد وشمر وعبـد الرحمن ابن ملجم و إخوانهم فيرجعوا عن كفرهم وضلالهم و يصيروا فى تلك الحال إلى طاعة الإمام ، فيجب عليك طاعـة ولايتهم والقطع بالثواب لهم . وهذا نقض لمذاهب الشيعة ؟

فأجاب الشيخ المسئول :

القول فى الرجعة إنما قبلته من طريق التوقيف — يعني عن أئمتهم المعصومين الذين يوحى إليهم كما يوحى إلى الأنبياء —

وليس للنظر فيه مجال . وأنا لا أجيب عن هـذا السؤال لأنه لا نص عندى فيه . وليس يجوز أن أتكلف من غير جهة النص

وفى صفحة ٦٣ ج ١ منه ايضا

يحكى عن إسماعيل بن محمد الحميرى الشاعر الرافضى الخبيث فى محاورة له مع القاضى سوار بين يدى أمير المؤمنين المنصور، وقد أنكر القاضى على الحميرى وشنع عليه بالقول بالرجعة وسب الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال الحميرى : فالرجعة التى نذهب إليها هى أني أعتقد أن الله يرد هذا ـ يعنى القاضى سوارا ـ إلى الدنيا كلباً أو قرداً أو خنزيراً أو ذرة . فانه والله متجبر كافر . ا هـ

ويعنى بقوله إن الرجعة عندهم هى أن كل روح ترجع بحسب عملها فى جسد يناسب ما كانت عليه من العقيدة والعمل فتنال نعيمها أو عذابها فى هذا الجسد . وهى العقيدة التى بذر بذورها عبدالله بن سبأ اليهودى إذ قال حين مات على بن أبى طالب : إنه ما مات ولكنه غاب وسيرجع . ففكرة الرجعة قد تسربت اليهم من الأوساط اليهودية . والمسيحية وهما قد أخذاها من

الوثنية القديمة فى تقديس آلهتهم . وعند الشيعة أن عليا الآن فى السحاب يسوقه بالماء والأمطار إلى ما يشاء ويحب من البلاد والعباد .

فمن أهم عقائدهم الرجعة : بمعنى أن الله لابد أن يعيد إلى الدنيا عليا وشيعته وأبا بكر وعمر وشيعتهما لينتقم على وشيعته المؤمنين من أبى بكر وشيعته الكافرين الظالمين . فهم يروون عن الصادق فى قوله (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) قال : ليس أحد من المؤمنين إلا يرجع حتى يموت ، ولا أحد من المؤمنين مات إلا يرجع حتى يقتل . هذا وقد ألفوا فى الرجعة كتباً مستقلة منها كتاب «النجعة فى الرجعة» تأليف محمدرضا الطس الخراسانى

وهم لا يعتمدون القرآن وكتب الحديث المعروفة بين المسلمين ، لأنهم يعتقدون أن القرآن الحقيقى ما كان يحفظه إلا فاطمة وأولادها . وأن عندهم من كتب العلم ما يتلاشى بجانبه هذا القرآن . ففى كشف الإرتياب وأعيان الشيعة لمحسن العاملى ص ٨٨ ـ ١٩٣ عن الصادق «عندنا مصحف فاطمة ، وما يدريهم

ما مصحف فاطمة فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات . وليس فيه من قرآنكم حرف واحد ، إنما هو شىء أملاه الله عليها » وذكر أيضاً أنه نزل عليها مصحفان واحد فى حياة أبيها وآخر بعد موته . وهم يقررون فى كتبهم أن علياً وفاطمة وآلهما أنبياء يوحى إليهم كما يوحى إلى الأنبياء وليس هناك إلا فرق طفيف : هو أن رسول الله كان يرى ملك الوحى ويسمعه . ومعصوموهم يسمعونه ولا يرونه ، كما فى الكافى للكلينى ص ٢ /

ودينهم لا يقوم إلا على المناحات والمحازن الحسينية ، بل المخازى الشيطانية . ففى كتاب « الآيات البينات فى قمع البدع والضلالات » تأليف الشيخ محمد عبد الحسين آل كاشف الغطاء سئل عن « المواكب المشجية التى تقيمها الشيعة فى يوم عاشوراء تمثيلا لفاجعة الحسين وعما يصحب تلك المواكب من ندب ونداء وعويل وبكاء وضرب بالأكف على الصدور وبالسلاسل على الظهور . هل هذه الأعمال مباحة فى الشرع ؟ فأجاب قال «ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع»

وما أحسب التعرض للسؤال عن تلك الأعمال التى استمرت عليها الفرقة الجعفرية ـ وهى من أعظم شعائرها ـ مئات السنين وذلك بمشاهدة أعاظم العلماء ، مع عدم النكير ـ ما أحسب وضعها فى مجال السؤال والتشكيك إلا دسيسة أموية ، أو نزعة وهابية ، يريدون أن يتوصلوا بذلك إلى إطفاء النور الذى أبى الله إلا أن يتمه ولو كره الكافرون ، كما أنى لا أرتاب فى أنه لو تمت لهم هذه الحيلة ، وعدمت تلك المواكب لسرى الداء واستفحل الخطب ، وجعلوا ذلك بابا إلى إماتة تلك المحافل التى بإحيائها إحياء الدين ، وبإماتتها إماتة ذكرى الأئمة الطاهرين . ثم قال : والرجاء ترك هذه الخوض فى هذه الأمور . التى هى من أعظم الوسائل إلى نيل الشفاعة والدخول فى سفينة النجاة وأبواب الرحمة . ثم قال : فلا إشكال فى أن اللطم على الصدور وضرب السلاسل على الظهور . وخروج الجماعات فى الطرقات بالمشاعل والأعلام مباحة مشروعة ، بل راجحة مستحبة ، وهى وسيلة من الوسائل الحسينية وباب من أبواب سفينة النجاة .

وأما الضرب بالسلاسل والخناجر والادماء فهو كذلك مستحب بقصد إعلان الشعار للأحزان الحسينية ـ إلى أن قال ـ : وفى ذلك اللطم والضرب و إسالة الدماء فى هذه المحافل من الحكم والأسرار المقدسة . مايقصر عنه اللسان و يضيق به البيان

ثم قال أيضا : ولولا خروج المواكب فى الطرقات لبطلت الغاية وانتفى الغرض من التذكار الحسينى ، بل ومن الشهادة الحسينية ـ ثم قال أخيرا ـ ولعمر الله إن تعطيل هذه المظاهرات لايلبث رويدا حتى يعود ذريعة إلى سد أبواب المآتم الحسينية وعندها لايبقى للشيعة أثر ولاعين ، ولتذهبن الشيعة ذهاب أمس الدابر ـ اللهم حقق ذلك وطهر الأرض من رجسهم ـ فان الجامعة الوحيدة والرابطة الوثيقة لها هى المنابر الحسينية . وما تلك المنابث والوساوس إلا من جراء هاتيك الدسائس نزعة أموية ونزعة وهابية ـ يريدون إحياء بنى أمية و إزهاق الحقيقة المحمدية ، و يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون ، اهـ باختصار من كتاب ألفه حجة الشيعة و إمامهم محمد عبد الحسين

آل كاشف الغطاء سما بوقاحته وفجوره : الآيات البينات فى قمع البدع والضلالات طبع فى النجف سنة ١٣٤٥ وهذا العبد الحسين هو الذى كان مندوبا فى مؤتمر القدس ، وأشار اليه أستاذنا الرشيد رحمة الله عليه . وكان المندوبون الآخرون يقدمونه للصلاة بهم إذ كان يلبس لهم ثياب الحية الرقطاء و يزعم أنه يحب جمع الكلمة وتوحيد صفوف المسلمين . فكيف يخدع المسلمون بهؤلاء الذين يدينون بأن دين الله لايتم إلا باحياء المآتم ، بل المخازى الحسينية الإجرامية الوثنية . و يقولون أنها أساس دينهم ، و بذهابهم يذهب دينهم جملة و يطردون من الرحمة التى يرجونها ، فأى رحمة هذه التى تنزل على هذه المخازى الاجرامية ؟ ماهى إلا لعنات الله . نسأل الله العافية

وهذا العبد الحسين هو الذى ألف «أصل الشيعة وأصولها» يموه فيه و يداجى و يلبس برقع النفاق والتقية الشفاف الرقيق محاولا أن يستر هذه المخازى والآثام

وهم يعتقدون ويقررون أن أئمتهم أعلم من الأنبياء والرسل ، ففى الكافى للكلينى :

وعند الأئمة جميع الكتب التى نزلت من عند الله وهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها . وما من غائبة فى السماء والأرض إلا فى كتاب مبين . ثم أورث الله الأئمة الكتاب الذى فيه تبيان كل شىء ... وعندهم الجفر : وعاء من أدم فيه علم الذين مضوا . وقال أبو جعفر : نحن نعلم ماعلمه الله ملائكته ورسله .

وفى كتاب الوشيعة . قال الصادق : إنى لأعلم مافى الجنة والنار وأعلم كل ما كان وكل مايكون .

وفى الكافى : قال أبو جعفر : نحن خزان علم الله . ونحن تراجمة وحى الله . وليس من الحق فى أيدى الناس إلاماخرج من عند الأئمة . وكل شىء لم يخرج من عندهم فهو باطل .

وهم يعتقدون أن كل من ليس برافضى على دينهم الخبيث فهو ولد زنا وهو رجس ونجس وهو لابد فى النار مهما كان منه من دين و إيمان وتقوى وعمل صالح ، فلن ينفعه شىء من ذلك ما دام يوالى أبا بكر وعمر و يدين بأنهماخليفتان راشدان. وأنهما أفضل المؤمنين

ففى كتاب الوافى وغيره عن الصادق «مامن مولود يولد إلا وإبليس من الأبالسة بحضرته . فان علم الله أن المولود من شيعتنا حجبه من الشيطان . و إن لم يكن من شيعتنا أثبت الشيطان إصبعه فى دبر الغلام فكان مأبونا وفى فرج الجارية فكانت فاجرة »

وفى الوافى أيضا « الجهاد مع غير الإمام حرام مثل حرمة الميتة والخنزير ولا شهيد إلا الشيعة . والشيعى شهيد ولو مات على فراشه حتف أنفه . والذين يقاتلون فى سبيل الله من غير الشيعة فالويل يتجلون . .

وفى الكافى : قول الله «ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت » هم الصحابة الذين بايعوا أبا بكر وعمر . . وقوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا) هم أولياء أبى بكر وعمر . وقوله تعالى (إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا — الآية) أبو بكر وعمر وعثمان آمنوا بالنبى ثم كفروا حيث عرضت عليهم ولاية على ثم آمنوا بالبيعة

لعلى ثم كفروا بعد موت النبى ، ثم ازدادوا كفرا بأخذ البيعة بخلافهم من كل الأمة .

وفى الكافى : قال الله تبارك وتعالى : لأعذبن كل رعية فى الاسلام دانت بولاية كل إمام جائر ليس من الله . و إن كانت الرعية فى أعمالها برة تقية . ولأعفون عن كل رعية فى الاسلام دانت بولاية كل إمام عادل من الله و إن كانت الرعية فى أنفسها ظالمة مسيئة .

وفى الكافى أيضا : قال قائل للصادق : إنى أخالط الناس، فيكثر عجبى من أقوام لا يتولونكم و يتولون أبا بكر وعمر لهم أمانة وصدق ووفاء . ومن أقوام يتولونكم ليس لهم أثر من صدق ولا وفاء ولا أمانة ؟ فاستوى الصادق جالسا وأقبل كالغضبان ثم قال : لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر . ولا عتب على من دان الله بولاية إمام عادل . قلت لا دين لاولئك . ولا عقوبة ولا ذنب على هؤلاء ؟ قال الصادق : نعم . ألا تسمع إلى قول الله (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) من

ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة بولاية إمام عادل من الله (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) كانوا على نور الإسلام فلما تولوا كل إمام جائر ليس من الله خرجوا من نور الاسلام إلى ظلمات الكفر .

وفى الكافى أيضا : قلت للصادق : أأنزل مكة ؟ قال : لاتفعل . أهل مكة يكفرون بالله جهرة . قلت : أنزل فى حرم النبى ؟ قال : هم شر منهم . أهل المدينة أخبث من أهل مكة سبعين ضعفا . عليك بالعراق بالكوفة : أهل الشام شر من الروم . والمخالف شر من سائر الكفار . لعنة الله عليهم وعلى أسلافهم .

وفى كتاب الوشيعة روت كتب الشيعة مثل الوافى والكافى والتهذيب : إن الله خلق محمدا وعليا وفاطمة أول ما خلق فمكثوا ألف دهر . ثم خلق العالم وأشهد هؤلاء الثلاثة خلق العالم ، ثم فرض طاعة هؤلاء على العالم . وفوض أمور العالم إليهم . فهم يفعلون مايشاءون ، و يحلون مايشاءون و يحرمون ما يشاءون .

وعند الشيعة كر بلاء أفضل من مكة وضم الحسين بها أفضل من الكعبة المشرفة . والحج اليه أفضل من الحج إلى بيت الله .
ففي رسالة « الشيعة والمنار » التي ألفها محسن العاملي واحمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان وعبد الحسين شرف الدين يحث بعنوان « وجه تفضيل كر بلاء على مكة عند الشيعة » صفحة ٢٥ ذكروا فيه أن وجه هذا التفضيل أن كر بلاء تضم رفات آل البيت . وأنها لذلك كانت زيارتها أفضل من حج بيت الله .

ومن ثم لاتجد شيعيا يصلي في أي بقعة من الأرض حتى المسجد الحرام بمكة ومسجد الرسول ﷺ إلا و يضع وثنا من شقفة من طين كر بلاء تحت جبهته يسجد عليها تقديسا لها واعتقادا أنها أفضل بقاع الأرض ، لأن دم الحسين اختلط بها ولايزال مختلطا بها إلى يوم القيامة ، فياللسخافة الجاهلية و ياللجرأة الوقحة الفاجرة على الباطل الذي ينادي كل شيء في الوجود أنه باطل وكفر بعيد وسفالة ماتحتها سفالة .

هذا قل من كثر وقطرة من بحر تجري به كتبهم وتفيض به

أوعيتهم وتنضح به ألسنتهم وأقلامهم من سموم خبيثة تنطق بأصرح لسان أن هذه العقارب والحيات والحشرات الخبيثة القذرة التي تأوي كلها إلى جحر « الشيعة » هي أعدى أعداء الإسلام وأنها لاتفتأ تكيد له في كل عصر وتحاربه بكل سلاح ، وأن أحب شيء إلى نفوسها المجرمة أن يتلاشى من الوجود هذا الإسلام الذي قضى حقه على إفك و باطل الفرس واليهود أئمة الشيعة وسلفهم .

وإنه لمن أغبى الغباء وأجهل الجهل بحق الإسلام و باطل الشيعة : ومحاولة ضم هؤلاء الحشرات السامة والعمل على تقريبهم و إلصاقهم إلى جسم الأمة الأسلامية المصاب بكثير من العلل والأمراض التي تيسر لسموم هذه الحشرات السبيل وتفتح له من الأبواب مايعجل بموته وهلاكه ، بل الذي ينبغي و يجب على كل ناصح لأمته أن يجنبها هذه المذاهب والسموم ويحذرها من قربانها فانها رجس من عمل الشيطان .

فليتدبر وليعقل وليفقه الحق والباطل أولئك الذين وضعوا

أنفسهم موضع الزعامة الاسلامية وليأخذوا السبيل السوى بالرجوع بأنفسهم وبالأمة ـ التى يحاولون إصلاحها ـ إلى مورد الاسلام الصافى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة السلف الصالح متعظين بوقائع الله فى الماضين منتعين من الحوادث التى حلت بالأمة بما صنع الشيعة فى قتل عمر وعثمان . وإيقاد العداوة وتاريخها فى حرب صفين ، ثم فى مخادعة الحسين واللعب به وجره إلى حتفه ليصوغوا من ذلك أوتاراً يضربون عليها أنغام الكفر وتمزيق جسم المسلمين ، ثم فى مكايد وخبث البرامكة ومجوسيتهم التى نشرها فى الاوساط الاسلامية ، ثم فى معاونة التتار وفتح أبواب عاصمة الدولة الإسلامية وتسليم عنق خليفة المسلمين لهولاكو الطاغية

كل ذلك وغيره كثير جداً مما صنعته الشيعة فى جسم الامة الإسلامية . ولا تزال تتحين الفرص لتمثل أدوارها مع كل عدو للأمة الاسلامية .

فالواجب أشد الواجب أن يعتبر المسلمون ومن يدعون

الاصلاح لهذه الحوادث والسوابق معتبرين بسنن الله وآياته . مؤمنين بقول سبحانه (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ومصدقين الامام مالك بن أنس رضى الله عنه الناصح إذ قال « والله لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها » وما صلح أولها بالمذاهب والتفرق . وإنما صلح أولها بما قال رسولها الصادق الأمين « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله وسنتى »

(ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام . ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء . كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون . لهم دار السلام عند ربهم . وهو وليهم بما كانوا يعملون)

جعلنا الله من هؤلاء المهتدين .

ورحم الله أستاذنا حكيم الإسلام السيد رشيد وأسكنه فسيح جناته ، فلقد بذل كل عناصر حياته فى البحث والمعرفة

وقضى عمره فى الصدع بما عرف من الحق والحرب العنيفة لكل ماعرف من الباطل . ولو أنه وقف على ما وقفنا عليه وعرف عن الشيعة من كتبهم ماعرفناه لقال أكثر مما نقول وأعلن بأشد مما نعلن من التحذير من القرب منهم ومن تقريبهم . لكنه رحمه الله عرفنا الطريق وأناره لنا ودفعنا إليه بكلتا يديه ، فسرنا على هداه فى البحث والتمحيص ، ونطقنا بلسانه فى الحق نمحصه ونجلوه من جميع جوانبه ونؤمن به وندعو اليه فى صراحة وقوة . وفى الباطل نخلع عنه أستار الزخارف والبهرج ونهتكه ليظهر بحقيقته القذرة فنحذر منه ونهدمه بكل سلاح ، لا نخشى لومة لائم ، ولا غضب غاضب (إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله) نريد للأمة الاسلامية من الصلاح والعزة ما كان يريد ، ورجاؤنا فى رحمة الله سبحانه ان يحقق للأمة ما كان يصبو ويدعو إليه من الهداية واتحاد الكلمة على الحق الذى أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ومن القلة إلى الكثرة ومن الذلة إلى العزة ، ومن الكفر

إلى الايمان ومن الشرك إلى التوحيد ، وأن يهىء لها من أسباب الحياة والقوة بالعلم والفقه فى كتاب الله والتفكر والتدبر لآياته وسننه الكونية ماتعود به إلى عزها الغابر ومجدها القديم . وأن يحقق لها من الايمان ماينزع عنها به نير ظلم أعداء الله وأعداء الاسلام والمسلمين ، فلا يكون للدول عليها من سبيل فى اقتصاد ولا سياسة ولا علم ولا تربية ولا شأن من الشئون .

(وقل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شىء قدير)

وصلى الله وسلم و بارك على محمد عبد الله ورسوله ، إمام المهتدين وعلى آله الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه إلى يوم الدين . ونسأل الله أن يجعلنا منهم بفضله ورحمته وكرمه وهو أرحم الراحمين .

وكتبه : محمد حامد الفقى

تلميذ حكيم الاسلام السيد رشيد رضا

فهرس

صواب خطأ السنة والشيعة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣	١١	إمام	إمامها
٩	١١	يبلغ	يبلغ ذلك
١٠	٥	جميع	جمهور
١٢	٢	هنها	ههنا
٢٧	١١	الحر	المجر
٣٧	٣	يوعده	بوعده
٥٩	٦	قريش	قريش له
٥٩	٨	شابا	شابا شابا
٧٩	٩	حرج	خرج
٨٥	١٢	تاركوا	تاركو
٨٦	١	ما	من

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨٨	٤	شرحه	شرحه
٨٨	١٦	وغير	وهو غير
٨٩	٥	أبى بكو	أبى بكر
٩٣	٩	سورة	سوء
٩٨	١٣	والمراد	المراد
١٠٥	١٤	الفرس	فارس
١٠٧	١١	البيت	على
١١٣	١٣	نشرنا	نشرنا فى هذا الجزء
١١٨	٩	و إنا	و إننا
١٣١	٧	أحيي	أحيي مقام
١٣١	١٣	ثم	ثم إنى
١٣٤	٤	ما أشدنا	ما أرشد إليه
١٣٧	١٣	وتهتدي	ونهتدى
١٤٠	٣	المتمسكون	المستمسكون
١٤٢	١٤	الخلقية	الخليقة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤٣	١٢	فان	فمن
١٤٤	٨	الصفئين	الصفتين
١٤٤	١٤	الآلهية	الآلهيات
١٤٩	١١ هامش	امن	من
١٥٤	٨	ترى	نرى
١٥٤	١١	يحمد	بحمد
١٥٥	١	لا يعيد	لا يعبد
١٦٠	٤	إحداهما	أحدهما
١٦١	٦	ونشر	ونشر ذلك
١٦٤	٦	ما أحببت	ما أحب
١٦٨	٢	لا تسمخ	لا تسمح
١٦٨	٥	خر إش	خراش
١٦٩	١	يغرن	يغرون
١٧٠	٥	نتحوش	نتحرش

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٧١	١٣	مشأتهم	مشيئتهم
١٧١	١٤	مذهنين	مذعنين
١٧٢	٩	٣٥٠	١٣٥٠
١٧٣	٧	و يدعوا	و يدعو
١٧٣	١٣	المداواة	العداة
١٧٤	٧	بإسنا	بإسناده
١٧٦	١٠	ومراميهم	ومرامهم
١٧٧	٦	أو خدمة	وخدمة
١٧٨	١٠	عليهما	عليهما السلام
١٨٠	٥	أقون	أقول
١٨٠	١٤	نقال	فقال
١٨٣	٣	نتفق	تتفق
١٨٤	١١	المنقدم	المتقدم
١٨٦	٧	ولكنى	ولكننى
١٨٨	١٥	الغياس	القياس

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٨٩	٧	وهو	وهو هو
١٩١	٢	أنه	أنه لم
١٩١	١١	تدرى ماذا	تدرى ما
١٩٤	٧	خبثمة	خيثمة
١٩٤	١٤	تميير	تمييز
١٩٦	٣	يوهمه	بوهمه
١٩٩	١٣	وأبيده	تأييده
٢٠٢	٧	لا يعرد	لا يعود
٢٠٢	١١	وتحن	ونحن
٢٠٥	١٠	وعيرهم	وغيرهم
٢٠٦	١١	رالدين	والدين
٢٠٨	٣	ومداواة	ومداراة
٢٠٩	٥	هر	هو
٢١١	٩	تتكلم	نتكلم
٢١٢	٤	الرازق	الرزاق